

الطالبة تمامة بنصير الملقب مشرا
الشرف
د. محمد صالح
المؤلف
د. محمد صالح
المؤلف

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله

رسالة مقدمة
لنيل درجة الدكتوراة من قسم العقيدة

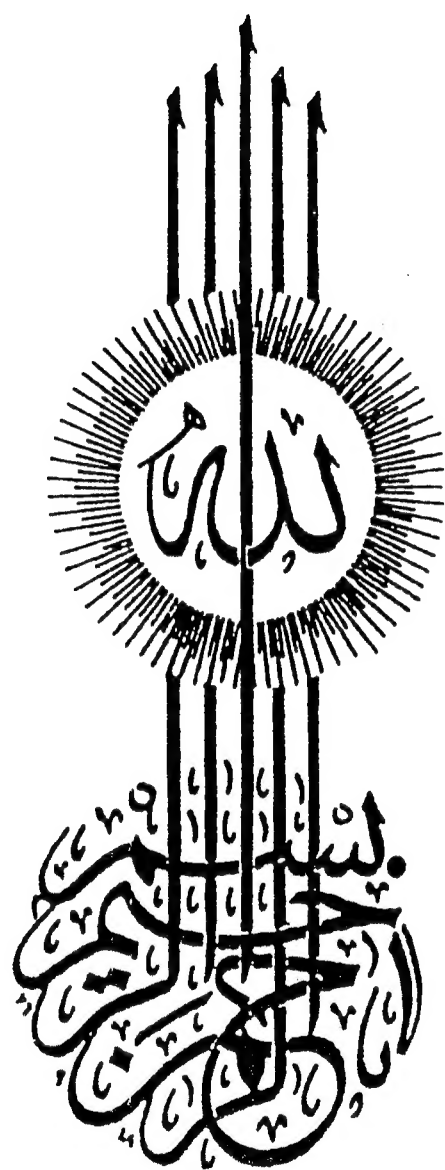
إعداد
ساره حامد محمد الغنادي
المحاضرة بكلية التربية فرع جامعة الملك
عبد العزيز بالمدينة المنورة



إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد المهدي

المجلد الأول

عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م



ملف الرسالة

تحتوي هذه الرسالة على عرض لمزاعم وأباطيل وشبه اليهود والنصارى ضد المسيح وأمه - عليهما السلام - ثم ابطالها وتلافها بالعقل والنقل ، وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : كان الحديث فيه من (المسيح وأمه - عليهما السلام - عند اليهود) وقد تحقق من هذا الباب التأكيد على الحق الدفين من قبل اليهود ضد المسيح وأمه عليهما السلام وهذا ما صرح به تلمودهم وظهور ذلك في أسفار اليهود ومؤلفاتهم ودواشر معارفهم .

الباب الثاني : كان الحديث فيه من (المسيح وأمه - عليهما السلام - عند المسيحيين) وقد تحقق في هذا الباب التأكيد من أسفار النصارى المقدسة على موقف اليهود العدائي من المسيح عليه السلام كما أكدت ذلك آيات الذكر الحكيم .

الباب الثالث : فقد خصته للكلام من (المسيح وأمه - عليهما السلام في الكتاب والسنة) وقد تحقق من خلال هذا الباب بيان الخلف الجوهري بين الاسلام والنصرانية حول معجزات المسيح - عليه السلام - فبينما يؤمن المسلمون بأنها بإرادة من الله تعالى وبأذنه قبل كل شيء ، يؤمن النصارى بأنها بالقدرة المسيح وارادته وهذه ، كما تحقق في هذا الباب بيان فضل المسيح وأمه عليهما السلام من خلال آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة .

الباب الرابع : فلقد كان بعنوان (ابطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام) وقد تحقق في هذا الباب ما يلي :-

- ابطال شبهات ومقائيد اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام .
- ابطال شبهات ومقائيد النصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام .
- والخصها فيما يلي :-
- ابطال مقيدة بنوة المسيح لله تعالى وأكروهيته .
- ابطال مقيدة التثليد .
- ابطال مقيدة الطلول والاتحاد عند النصارى .
- ابطال مقيدة الحلب والغداء عند النصارى .
-

وعلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين
د. علي بن نفيح العلياني

المشرف
د. أحمد المهدي

د. محمد العبادي

الحر

العبادي

قال الله تعالى :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

سورة آل عمران : آية ٦٤

قال الله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

سورة النساء : آية ١٧١، ١٧٢

شكر و تقدير

بعد الشاء والحمد والشكر لله سبحانه وتعالى على عظيم نعمائه يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد المهدي (المشرف على الرسالة) لما قام به من جهودٍ مشكورةٍ في تذليل الصعاب بتوجيهي وإرشادي.

✽ أتقدم بالشكر الجزيل لوالديّ الجليلين، وأرفع أكف الضراعة لله تعالى أن يحفظهما من كل سوء ومكروه، لما قدماه لي من دعم وتشجيع ودعوات صالحات.

✽ كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لزوجي سعادة الدكتور/ أحمد عابدين مُلا لمراقفته لي في أسفاري، وتشجيعي أثناء كتابة رسالتي.

✽ أشكر كلية التربية بالمدينة المنورة، فرع جامعة الملك عبدالعزيز والقائمين عليها لمنحي (بعثة داخلية) للتحضير لدرجة الدكتوراه في مجال تخصصي.

✽ أشكر كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة والقائمين عليها.

✽ أشكر كل من ساهم في اعانتني وارشادي، وادعوه تعالى أن يجزيه خير الجزاء أنه على ما يشاء قدير.

المقدمة

الحمد لله {الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون} (١)

الحمد لله المستحق للعبادة والمتفرد بالخلق وحده دون سواه. والذي قد حرم الشرك في عبادته على خلقه، وجعله ظلماً عظيماً حيث قال تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم} (٢)

والحمد لله الذي جعل عبادته على خلقه شرفاً عظيماً وأي شرف.. وخضوعهم له كرامة وأي كرامة {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون} (٣).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين.

وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله المبعوث رحمةً إلى بني إسرائيل ليكمل لهم دينهم، وليحل لهم بعض ما حرم عليهم، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى نبينا محمد الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

(١) سورة الحشر : آية ٢٣

(٢) سورة لقمان : آية ١٣

(٣) سورة الذاريات : الآيات ٥٥ ، ٥٦

وبعد ..

فلما كان موضوع رسالتي - السابقة - للماجستير (التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة) .. وفيه وضحت مدى ما احتوته هذه الأناجيل من التحريف ومظاهره، وما احتوته أناجيل النصارى الأربعة: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا - من تناقض. سواء أكان التناقض في كل إنجيل على حده، أو التناقض فيما بين نصوص الأناجيل الأربعة أو تناقضها في موضوع بذاته اشتركت في روايته، وبما أن الأناجيل الأربعة جزء من العهد الجديد، وهو جزء من الكتاب المقدس، فما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل وما جاز لأحد المثليين جاز للآخر، لذلك رأيت أن أواصل البحث في موضوع يُعد امتداداً له وهو: >> موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله <<.

والمسيح عليه الصلاة والسلام - يُعد المحور الذي تدور حوله جميع أبواب وفصول، بل وفقرات هذه الرسالة، ولا أعتقد أن هناك شخصية اختلفت وتباينت فيها الآراء والمعتقدات كشخصية المسيح عليه السلام حيث تباينت آراء أرباب الديانات الكبرى الثلاث تبايناً واضحاً، والبون في ذلك شاسع وكبير، حيث أن اليهود يتهمونه وأمه باتهامات يندى لها الجبين، ومما يتهمون به أمه - تلك السيدة الطاهرة البتول - بأنها أتت به من الفاحشة !! ، وأنه مُخلد في لجات الجحيم بين الغار والنار !! وأما معجزاته فقد كانت بفعل السحر !! إلى آخر السباب والتهم الفاحشة الآثمة التي احتواها تلمودهم المزيف الحاقد الآثم.

أما النصارى - وهم أرباب هذه النحلة، واصحاب هذا الكتاب، وإليهم يُنسب هذا الدين، والأجدر بهم أن يبحثوا عن الإعتقاد الصائب السليم المستقيم فيلتزموه - فكانوا على عكس اعتقاد اليهود فيه تماماً، فقد اعتقدوا فيه الألوهية وأنه إله ابن إله، قديم كقدم الإله !! وأن الإله قد حلّ فيه !! فأصبح جزء منه لاهوتيا وآخر ناسوتيا !! وأنه نزل وتجسد وعاش بين البشر ليُصلب تكفيراً عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم وراثياً من أبيهم آدم، لأكله من الشجرة المحرمة المنهي عنها !! وأنه لا يمكن تكفير هذه الخطيئة الشنيعة إلا بصلب ابن الإله ليكون فداءً عن البشرية الآثمة !! هذا ما يعتقده فيه النصارى.

أما المسلمون فهم أمةٌ وسطٌ، ليكونوا شهداء على الناس { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا } (١) واعتقاد المسلمين في المسيح عليه السلام هو الاعتقاد الحق بدون إفراط ولا تفريط، يعتقدون ما جاء به الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ومصدرهما الوحي من الله تعالى { وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى } (٢).

يعتقد المسلمون فيه ما أمرهم الله تعالى به من أنه نبي كريم بل من أولي العزم من الرسل، مؤيد بالمعجزات وأنه عبد الله ورسوله.

{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون } (٣).

(١) سورة البقرة : آية ١٤٣

(٢) سورة النجم : الآيات ٣ ، ٤

(٣) سورة المائدة : آية ٧٥

وكان من دوافع إختياري لهذا الموضوع - أيضاً - المساهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ورداً لكيد المبشرين إلى نخورهم حيث أنهم لا يألون جهداً في نشر دينهم هذا في كل مكان وبين جميع الشعوب وخاصة تلك الشعوب المغلوبة على أمرها والمستعمرة والفقيرة والمنكوبة، فهم يأتون بالغذاء والكساء والعلاج مقروناً بالتبشير إلى دينهم، وإن لم يكن عملهم ذاك دعوةً دينيةً خالصةً، وكان حركةً سياسية استعمارية واستخدام الدعوة إلى الدين كوسيلة للسيطرة على الشعوب لاستعمارها واستنزاف خيراتها واستعبادها، وهم يستخدمون في ذلك وسائل كثيرة كبناء الكنائس والملاجئ والمدارس والمستشفيات التبشيرية، وكتأليف الكتب والمجلات والنشرات، وتوزيعها بين تلك الأقوام المنتسبين للإسلام اسماً ويجهلون معظم تعاليمه فيكونون ضحية سهلة ولقمة سائغة لهؤلاء المبشرين لتضليلهم.

لهذا كان لازماً على كل مسلم يعتز بدينه وقد تمكن الإيمان في قلبه أن يدافع عن دينه هذا بكل ما يملك من وسائل، والدعوة إليه بلسانه وقلمه. وقد كنت أثناء كتابتي لبحثي هذا عندما أتحدث عن عقائد القوم سواء اليهود أم النصارى اعتمد في نقل عقائدهم من كتبهم المقدسة، والكتب المؤلفة والمسلمة لديهم لتكون الحجة أقوى والبيئة أظهر.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وقد سلكت في كتابتها المنهج التالي:

الباب الأول: وقد خصصته للكلام عن:

(المسيح عليه السلام عند اليهود)

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: كان بعنوان :

(المسيح وأمه مريم عليهما السلام بأسفار اليهود)

الفصل الثاني: فقد تحدثت فيه عن:

(موقف اليهود من المسيح عليه السلام)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : إعراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام من

خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.. ويشتمل على ست مسائل:

المسألة الأولى : موقف اليهود عامةً من السيد المسيح عليه السلام.

المسألة الثانية : موقفهم ورأيهم في تعميده عليه السلام.

المسألة الثالثة : موقفهم من معجزاته عليه السلام.

المسألة الرابعة : موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام

وصلبه كما يزعمون.

المسألة الخامسة : موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها السلام.

المسألة السادسة : مقارنة بين المسيح اليهودي، والمسيح النصراني.

المبحث الثاني : موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار

النصارى المقدسة.

المبحث الثالث : موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم.

و أما الباب الثاني : فقد كان الحديث فيه عن :
(المسيح عليه السلام عند المسيحيين)
ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : مريم عليها السلام في العهد الجديد.
ويندرج تحت هذا الفصل خمسة مباحث :

- المبحث الأول : معنى لفظ مريم والعذراء.
- المبحث الثاني : خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام.
- المبحث الثالث : بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام.
- المبحث الرابع : رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر.
- المبحث الخامس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية والأرثوذكسية.
- المبحث السادس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية.
- المبحث السابع : السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة.

الفصل الثاني : فقد خصصته للحديث عن :
(المسيح عليه السلام حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد)
ويشتمل على تسعة مباحث:

المبحث الأول : في ميلاد المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني : طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصور ذلك العهد الجديد.

المبحث الثالث : معموديته وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد.

المبحث الرابع : آيات ودلائل (معجزات) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد.

المبحث الخامس : الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته.

المبحث السادس : صلبه كما يزعم النصارى في أناجيلهم.

المبحث السابع : تكفينه ثم دفنه كما تروى أناجيلهم.

المبحث الثامن : قيامته من قبره كما يزعمون.

المبحث التاسع : صعوده إلى السماء.

الفصل الثالث: تحدث فيه عن :

(المسيح عليه السلام في نظر الفرق المسيحية).

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول : أهم الفرق المسيحية التي ظلت محافظة على عقيدة التوحيد.

المبحث الثاني : أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد.

و أما الباب الثالث : فقد خصصته للكلام عن :
(المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة)
ويشتمل على تمهيد وفصلين :

الفصل الأول : مريم عليها السلام في الكتاب والسنة.
ويشتمل أربعة مباحث :

- المبحث الأول : البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام.
- المبحث الثاني : البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته.
- المبحث الثالث : فضل الصديقه مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة،
ثم من واقع السنة النبوية المطهرة.
- المبحث الرابع : الآراء في القول بهجرتها، عليها السلام.

الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن :
(المسيح عليه السلام في الكتاب والسنة)
ويشتمل على أربعة مباحث وهي كما يلي :

- المبحث الأول : صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني : آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام.
- المبحث الثالث : فضل عيسى ابن مريم عليه السلام من واقع السنة النبوية
المطهرة.
- المبحث الرابع : نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة.

وقد قدمت الحديث عن السيدة مريم قبل الحديث عن ابنها السيد المسيح عليهما السلام لأنها أصل له وسابقة له في الوجود لا لأنها أفضل منه، ولكي اتحدث عن اصطفاء الله تعالى لها ولأبيها عمران عليهما السلام.

و أما الباب الرابع : والأخير فقد كان بعنوان :

(إبطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح عليه السلام).
ويظهر من عنوانه بأنه لب القضية، وزبدة هذا الموضوع، والمحور الذي يدور حوله، وقد رددت في هذا الباب على جميع الشبه التي وردت في رسالتي هذه ضد المسيح وأمه عليهما السلام من قبل اليهود والنصارى.
ويشتمل هذا الباب على تهديد وفصلين رئيسيين هما:

الفصل الأول: إبطال شبهات وعقائد اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : إبطال شبهات التلمود حول المسيح عليه السلام.
المبحث الثاني : إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.
وقد رددت في هذين المبحثين عن جميع الشبه التي وردت ضد المسيح وأمه عليهما السلام والتي وردت في رسالتي هذه من قبل اليهود.

الفصل الثاني: فقد كان بعنوان :

(إبطال شبهات وعقائد النصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام)

ويظهر للقارئ الكريم ضخامة هذا الفصل بالنسبة للفصل السابق وذلك لتعدد مباحثه بتعدد شبه وعقائد النصرى حول المسيح عليه السلام، هذا أولاً.. أما ثانياً: فلتوفر المادة العلمية فيه، وذلك لأنني أبطل الشبه من قبلي، ثم أعضد أقوالي بما أورده أئمة وعلماء المسلمين الفطاحل رداً، وإبطالاً، ونقضاً لشبه وعقائد حول المسيح وأمه عليهما السلام. ويحتوى هذا الفصل على أربعة مباحث، وهي كما يلي:

المبحث الأول : فهو بعنوان

(إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته).

ويحتوى على سبع مسائل وهي كما يلي:

المسألة الأولى : بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية.

المسألة الثانية : مجمع نيقية وفرضه لعقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان.

المسألة الثالثة : إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه السلام

ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى.

المسألة الرابعة : ردود ومناقشات علماء مقارنات الأديان على زعم النصرى

بألوهية المسيح عليه السلام.

المسألة الخامسة : إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً.

المسألة السادسة : إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً.

أ - من القرآن الكريم.

ب - من السنة النبوية المطهرة.

ج - من إنجيل برنابا.

د - من العهد الجديد.

المسألة السابعة : بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام.

المبحث الثاني : فقد كان بعنوان (إبطال عقيدة التثليث).

ويندرج تحت هذا المبحث ست مسائل وهي كما يلي:

المسألة الأولى : معنى التثليث.

المسألة الثانية : أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على التثليث وإبطال الاستدلال بها.

المسألة الثالثة : المجمع القسطنطيني الأول، وأثره في إقرار عقيدة التثليث.

المسألة الرابعة : اقتباس النصارى عقيدة التثليث من أقوام سبقوهم إليها.

المسألة الخامسة : بطلان عقيدة التثليث عقلاً.

المسألة السادسة : بطلان عقيدة التثليث نقلاً.

أما المبحث الثالث : فقد كان بعنوان.

(إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى).

ويشتمل على خمس مسائل:

المسألة الأولى : معنى الحلول والاتحاد.

المسألة الثانية : أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على الحلول والاتحاد

وبطلان الاستدلال بها.

المسألة الثالثة : إقتباس النصارى عقيدة الحلول والاتحاد من الفلسفات

والوثنيات القديمة.

المسألة الرابعة : بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عقلاً.

المسألة الخامسة : بطلان عقيدة الحلول والاتحاد نقلاً.

المبحث الرابع : فقد تحدثت فيه عن :

(إبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى)

ويحتوى هذا المبحث على ست مسائل :

المسألة الأولى : معنى الصلب والفداء.

المسألة الثانية : اقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء من الوثنيات والفلسفات القديمة.

المسألة الثالثة : بولس ودوره في ادخال هذه العقيدة ضمن عقائد النصارى الحالية.

المسألة الرابعة : تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب دليل على عدم صدقها.

المسألة الخامسة : إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً.

المسألة السادسة : إبطال عقيدة الصلب والفداء نقلاً.

أولاً : من القرآن الكريم.

ثانياً : من إنجيل برنابا.

ثالثاً : من الكتاب المقدس.

أما الخاتمة : فقد كانت في تعداد النتائج التي قد توصلنا إليها في

دراستنا هذه.

ويعلم الله مقدار الجهد والعناء الذي بذلته لاجراج رسالتي هذه على هذا النحو الذي هي عليه.. ومن ذلك الجهد السفر لآلاف الأميال بعداً عن وطني بحثاً عن المصادر والمراجع لرسالتي هذه، ثم السفر - أيضاً - للبحث عن من يترجم النصوص من اللغات الأجنبية (العبرية، والفرنسية، والإنجليزية) ثم السهر للكتابة فيها حتى طلوع الفجر في ليالي عديدة ولسنين طويلة. وقد بذلت غاية جهدي في التعريف بالأعلام الواردة في الرسالة، ومن لم أجد التعريف به اضطررت لتركه.

أحمدته وأشكره تعالى على نعمائه الكثيرة التي لاتعد ولا تحصى وأن أعانني على إتمام بحثي هذا.

وأساله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الباب الأول

المسيح وأمه عليهما السلام عند اليهود

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول :

المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود

الفصل الثاني :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام

الفصل الأول

المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود

كنت أتوقع أن أجد تصريحات واضحة الدلالة عن السيد المسيح (١) عيسى ابن مريم عليه السلام في أسفار العهد القديم (٢)، ولكن بعد البحث لم أجد إلا بعض الإشارات عنه عليه السلام (٣) لذلك، وفي قاموس الكتاب المقدس - عندهم - تحت عنوان >> نبوات وردت عن المسيح في العهد القديم وبيان تمام هذه النبوات في العهد الجديد << (٤) فمثلاً يقول:

- ١ - النبوه على أنه (٥) <من نسل المرأة>: ويشير إلى موضع من سفر التكوين : >> وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه << (٦) ثم يدعى مؤلفوا هذا القاموس بأن تمام هذه النبوه في موضع من رسالة بولس (٧) إلى أهل غلاطيه:

(١) لماذا سُمي بالمسيح؟، انظر ص ٣١٨ من هذه الرسالة.

(٢) العهد أي الميثاق

العهد القديم : هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التواراة إلا جزءاً من العهد القديم، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين ولكن أسفاره غير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضعون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون.

(٣) انظر مثلاً: المزامير ٩: ١٤-١٦، ١٨: ١٦-١٩، ٢٠: ١-٦، ٢١: ١-١٢

(٤) نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط٦، بيروت ص ٨٦١-٨٦٣

(٥) أي المسيح عليه السلام.

(٦) تكوين ٣: ١٥

(٧) لبولس هذا دور كبير وخطير في تحريف المسيحية الأصلية، فقد كان يهودياً من فرقة الفريسيين (بمعنى المنعزلين) ألد أعداء المسيح عليه السلام وكان إسمه شاول، وكان إذا خاف على نفسه من العقاب ينتسب إلى الرومان الوثنيين، وكان قبل دخوله المسيحية يضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا من أنصاره، بل لم يره ولم يسمع منه، ثم تحول تحولاً مفاجئاً ==

>> ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت
الناموس <<(١)

ويشير القاموس إلى أن تمام هذه النبوه أيضاً في موضع من الإنجيل
المنسوب إلى لوقا والنص كما يلي:

>> فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجته في المذود إذ لم يكن لها موضع
في المنزل: <<(٢)

وفي الحقيقة أنه بمجرد النظر إلى هذه النصوص لا يجد القارئ أي علاقة بين
النص الأول والثاني أو بين الأول والثالث - كما اعتقد مؤلفوا هذا القاموس -
أنها نبوءة وردت في العهد القديم وأن تمامها قد ورد في العهد الجديد.
وللغموض الذي يكتنف هذه النصوص، كما هو حاصل لمعظم نصوص
الكتاب المقدس وددت أن أنقل بعض الشروح والتفسير لذلك:

فلتفسير النص الأول من سفر التكوين يقول مفسروا هذا النص.

== وغريباً من كونه مضطهداً ومعذباً للمسيحين إلى كونه رسولاً ومصدراً
للوحي، وذلك بقصة اختلقها وهي أنه كان يسير في الصحراء بالقرب من
دمشق فسقط على الأرض فسمع صوتاً يقول شاول شاول لماذا تضطهدين،
فقال: من أنت ياسيد، فقال أنا الرب يسوع الذي أنت تضطهده فأجابه
ماذا تريد أن افعل؟ فقال اذهب وكرز بالمسيحية (أي بشر بها).
انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحث، ص

١٠٧-٧٥

(١) غلاطيه ٤ : ٤

(٢) لوقا : ٢ : ٧

>> دوام العداوة بين الحية والناس فهي تلدغ عقب الإنسان في سبيله وهو يطأها في ذلك السبيل ويسحقها، والواقع ينبئك بكره الناس للحية مع حسن صور كثير من أنواعها، وقتلى لدغ الحيات في البلاد الحارة كالهند أكثر من قتلى الوحوش المفترسة والعداوة الدائمة بين الإنسان والشيطان أظهر من أن تبين وكره الناس للشيطان غريزي >> (١).

>> ولما جاء ملء الزمان حسب تعيين الله الآب عندما رأى العالم مستعداً لمجيء المسيح وقبوله، فلو أتى المسيح على أثر سقوط البشر لما شعروا بعظمة جرم الخطية ومرارة اثمارها وعجزهم أن يخلصوا أنفسهم بأعمالهم على مافي شريعة موسى أو غيرها من المكتوب على الواح ضمائرهم، وما شعروا بالحاجة إلى مخلص ولكن في مدة نحو اربعة آلاف سنة اخترعوا ادياناً مختلفة فوجدوها غير كافية لاصلاح أحوالهم وتحققوا بطلانها وعرفوا عجزهم عن أحسن منها، فاحتيج إلى اعداد الطريق لمجيء المسيح بواسطة نبوءات وإشارات حتى يعرف عند مجيئه أنه المخلص الموعود به.

> أرسل الله ابنه > من السماء وإرسال الله إياه يستلزم أنه كان قبل أن أرسل على وفق قوله والكلمة التي كان عند الله وكونه ابن الله يستلزم أنه إله على وفق قوله > وكان الكلمة إياه > يو ١: ١

> مولود تحت الناموس > بتعيين الله وإرادته هو، والمراد بالناموس هنا نوعاه الرسمي والأدبي اللذان أعلنهما الله لليهود وتممه المسيح وقام

(١) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم لمجموعة من اللاهوتين. ج ١،

بكل مطالبه باعتبار كونه نائباً عن الجنس البشري واحتمل ماوجب على الإنسان بتعديه ذلك الناموس >> (١)

ومن الواضح أن تفسير النص - عندهم - لايزيده إلا غموضاً وغمطاً وتبجحاً في الاعتقاد بالله تعالى وعدم تنزيهه عن الشرك والنقائص، فالله هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (٢) .
فالله سبحانه وتعالى واحد أحد لا يقبل التجزئة ولا الإنقسام ولم يكن له شريك في الملك أوولى من الذل وسأورد الحديث عن هذا الأمر في حينه ان شاء الله (٣) ،

والله المستعان على ما يصفون

ولتفسير النص من الإنجيل المنسوب إلى لوقا يقول المفسر:

>> قمطته أي ربطته بالأقمطه حسب عوائد الشرقيين.. في المذود معلق الدواب، لم يكن لها موضع في المنزل ذكر ذلك علة لولادة مريم إنها في محل الدواب، اضطر كثيرون ممن اصلهم من بيت لحم إلى المجيء إليها وليس لهم مسكن فيها إجابة لأمر القيصر بالاككتاب حتى امتلأ المنزل بالمسافرين، ولعل يوسف ومريم وصلاه بعد غيرهم فوجدوا منزل المسافرين غاصاً بالناس فاضطر إلى أن يتزلا حيث يجدان مأوى، والظاهر أنه لم يفتح أحد من سكان بيت لحم باب بيته

(١) د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل). صدر عن مجمع الكنائس في

الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م، ج ٧، ص ٥٢، ٥٣

(٢) سورة الأخراس : آية ٣ - ٤

(٣) انظر ص ٣٧٨ ومابعدها

لقبول يوسف النجار وخطيئته، فكانت حقارة مولد يسوع موافقه لكل تاريخ حياته الأرضيه لأنه لم يكن لها منها اين يضع رأسه في مساكن الناس ولما مات دفن في قبر ليس له مع أنه خالق العالمين، وهذا كان جزءاً من اتضاعه لفداء البشر، وهو مما يحقق لأشد الناس فقراً إن لهم مخلصاً يمكنه أن يشترك معهم في شعورهم إذ لم يولد في قصر بل في اصطبل، ولم يُربّ بين الامراء بل في بيت نجار من الجليل، والحق أن المسيح بعد ان ترك مجد السماء وسكن على الأرض لم يبق من فرق عظيم عنده بين قصر وكوخ >> (١)

يتضح مافي النص السابق من التناقض واللاعقلانيه إذ كيف يتزلون الإله وابن الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - هذه المتزلة الحقيرة إذ لا يكفي اعتقادهم بأنه وُلد من بشر وعاش كما يعيش البشر، بل يضعون من شأنه بأقل ما يجب لأواسط الناس فضلاً عن شرفائهم، فيعتقدون أنه ولد في اصطبل وبعد ان صلب دفن في قبر ليس له، ومن المعلوم أنه من الصعوبة بمكان لمن سبق له أن عاش عيشة النبلاء والشرفاء أن يعيش كما يعيش السفلة والمحتقرون، ومع ذلك فالمسيحيون يناقضون العقل ويعتقدون أن المسيح كان يعيش في مجد السماء ثم تركه ليتجسد ويولد ويعيش في أحقر مكان ثم يصلب ليكفر عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم عن طريق الوراثة من أبيهم الأول آدم عليه السلام (٢)

٢ - ومن النبوات التي يعتقد مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس أنها وردت عن المسيح في العهد القديم، وأن تمامها قد ورد في العهد الجديد..

(١) د. وليم إدي (الكتر الجليل في تفسير الإنجيل)، ص ١٦٢

(٢) لإبطال عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، انظر ص ٥٢٦ وما بعدها من هذا البحث.

ذكر أن أحد المقربين إليه هو الذي يسلمه (أي المسيح عليه السلام) ويشير إلى موضع من العهد القديم..

<< أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليّ عقبه >> (١)

ويشير إلى أن تمام هذه النبوءة في موضع من الإنجيل المنسوب إلى متى.

<< سمعان القانوني ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه >> (٢)

وعند تكرار النظر والقراءة لهذين النصين نخرج بنتيجة أن لا علاقة بينهما البته، فلاننبوءة في النص الأول وليس هناك تمام لها في النص الثاني.

فمن هو الواثق ومن هو الموثوق به آكل الخبز ورافع عقبه على الواثق به، ليست هناك أي قرينه تدل على أنه المسيح - عليه السلام - أو غيره.

ولاستيضاح هذين النصين لجأت إلى الشروح والتفاسير عسى أن نخرج بأي

نتيجة:

يقول المفسر لشرح النص الأول:

<< والشئ الذي يحزنه أكثر الكل هو أن هؤلاء الاعداء كانوا بالأمس أصدقاءه، يدعون طلب سلامته، ويعملون عكس ذلك، هم من الذين أكلوا خبزه بينه وبين بنيه عهد الخبز والملح، هذا نفسه الذي تجاسر أن يرفع رجله في وجهه، لقد ادار له عقبه إشارة الاحتقار والنكث بالعهد كأنه لم يعرفه من قبل ولم يكن

(١) مزامير ٤١ - ٩

(٢) متى ١٠ : ٤

له اية علاقة به >> (١)

ويقول المفسر لتفسير النص الثاني من الإنجيل المنسوب إلى متى:

>> سمعان القانوني ولقبه لوقا بالغيور، وليس المراد من القانوني أنه منسوب إلى قانا بل هو لقب عبراني معناه الغيور.. (يهوذا الاسخريوطي) هو ابن سمعان واصل لقبه في العبراني ابش قريوت اي رجل قريوت وهي قرية في أرض يهوذا.. (الذي اسلمه) فاختيار المسيح هذا الشخص رسولاً وهو عالم طبيعته يظهر للحكمة البشرية من أغرب الأمور.. ولعل قصده من ذلك أن يُعلم الكنيسة أن أعظم الفرص والوسائط ليست كافيه لخلاص نفس وأنه يمكن أن يوجد في كل كنيسة أو جماعة من المؤمنين خائنون >> (٢)

وحتى بعد اللجوء إلى الشروح والتفسير للبحث عن أي علاقة بين هذين النصين يظهر أنه لاعلاقة بينهما وكما هو واضح عند قراءة ماسبق من تفسير للنصين..

٣ - ومن النبوات التي زعمها قاموس الكتاب المقدس: > التنبؤ بأنه يصلب مع أئمة <!! ويشير إلى موضع في سفر أشعيا

>> لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء بقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أئمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين >> (٣)

(١) السنن القويم في تفسير اسفار العهد القديم، مبنى على آراء بعض اللاهوتين، ج ٦، تفسير سفر المزامير، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١١٨

(٢) د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ١، شرح بشارة متى، ص ١٥٠

(٣) اشعيا ٥٣ : ١٢

وقد كررت القراءة لهذا الإصحاح بكامله والتي تقع فيه الفقره السابقة فلم أجد أي ذكر للمسيح - عليه السلام - أو حتى إشاره أو قرينه تدل عليه فكيف اعتقد مؤلفوا هذا القاموس أنها نبوءة وردت عن صلب المسيح عليه السلام.

ويشير القاموس إلى أن تمام هذه النبوءة في متى:

<< حينئذٍ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار >> (١)

ولشرح النص من سفر اشعيا يقول الشارح:

<< سكب للموت نفسه: أي كانت آلامه بارادته وكانت هذه الآلام شديدة جداً حتى الموت، وأُحصى مع أئمة، غير أنه لم يحصى مع اللصين فقط بل مع كل الأئمة أيضاً.

وشفع في المذنبين قال لما صلب اغفر لهم وهو الآن عن يمين الآب يشفع فينا >> (٢)

وهذا الشرح والذي يوافق رأي المسيحين تماماً لا يعتد به لأنه من وضعهم وتأليفهم، أما النص - وكما ذكرت - فليس فيه أي دلالة على المسيح عليه السلام إذاً لانبوءة عن الصلب في العهد القديم.

ويعتقد المسيحيون << أن اليهود لم يفهموا هذه النبوات فظنوا أن المسيح يكون ملكاً زمنياً يخلصهم من ظالمهم ويرقيهم إلى أعلى درجات المجد

(١) متى ٢٧ : ٣٨

(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تأليف بعض اللاهوتين، ج ٨، ص ٣٣٢، ط بيروت، ١٩٧٣م.

والرفاهية حسب معنى النبوات الحرفي، فلما ظهر المسيح لم يعرفوه بل عثروا فسقطوا في ضلال مبين حينما فسر لهم المسيح ذاته والرسل هذه النبوات على غير معناها الحرفي.. غير أن البعض من اليهود كانوا ينتظرون مجيئه وخلاصه الروحي منهم سمعان وحنه >> (١)

يتضح - مما سبق - أن أسفار العهد القديم قد أغفلت ذكر المسيح عليه السلام ومادامت قد اغفلت ذكره فمن باب أولى أن تغفل ذكر امه لأنه اشهر منها لأنه نبي ورسول بل هو عليه السلام من أولي العزم من الرسل، والمسيحيون - كما هو معلوم - يزعمون أنه إله وابن إله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

نبذة مختصرة عن التلمود :

وهناك كتاب آخر يقدسه اليهود، ويضعونه في منزلة التوراة في التقديس - بل في منزلة أسمى وأعظم منها أحياناً - وذاك ما يسمى >> بالتلمود *Talamud* وهي مستخرجه من كلمة لامود *lamud* التي تعني (تعاليم)، والتلمود هو الروايات الشفوية التي تناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل، ثم دونت بعد أن خيف عليها من الضياع >> (٢)



(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٦٠

(٢) يقال ان الراي جيهود *Jehuda* هو أول من قام بجمع هذه الروايات الشفوية في كتاب دعي سفر ميشنا وات *Sepher Mischnaiosis* انظر: الأب أي. بي. برانانيش (فضح التلمود) ط ٢، ص ٢٣، إعداد/ زهدي الفاتح، الناشر/ دار النفائس عام ١٤٠٥م
ويقال إن أحد الحاخامات ويدعى (يوضاس) هو أول من جمعها وذلك بعد المسيح عليه السلام بـ ١٥٠ عام وأتم هذا العمل الربى يهوذا ==

>> ويتكون التلمود من المشنا *Mischnah* وهو الجزء الأساسي أو المتن ومن الجماره *Gemarah* وهو الشروح والتفاسير للمشنا وقد شرح المشنا من قبل حاخامات^(١) فلسطين فهذا يسمى تلمود أورشليم، وهناك شرح آخر لحاخامات بابل فيسمى هو وشروحه (تلمود بابل) وهذا هو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق <<(٢)

وقد أسهب هذا التلمود في الحديث عن السيد المسيح عليه السلام بالسب والشم والقذف، وكلام يندى له الجبين، ونحن في حديثنا في هذا الفصل عن المسيح عليه السلام عند اليهود لابد أن نذكر ذلك بشئ من التفصيل، وقبل أن نتطرق إلى ما ذكره التلمود عن المسيح عليه السلام لابد أن نبين ونوضح منزلة التلمود عند اليهود، وكما ذكرنا - سابقاً - إن معظم اليهود يضعون التلمود في منزلةٍ أسمى وأعظم من منزلة التوراة.

== سنة ٢١٦م، انظر: د. يوسف حنا نصر الله في مترجمه (الكتز المرصود في قواعد التلمود)، ط ٢، ص ٤١، واعتقد أن يهوذا هذا هو جيهودا للتشابه بين اسميهما، وقد يكون ذلك قد حرف أثناء الترجمة.

(١) مفردة حاخام، وهو عالم الدين اليهودي ومن له الحق في شرح الكتب المقدسة وبيان الشريعة اليهودية.

(٢) انظر: الأب براناتيس (فضح التلمود) ط ٢، ص ٢١-٢٥ إعداد/ زهيدي الفاتح،

أيضاً: ظفر الإسلام خان (التلمود تاريخه وتعاليمه)، ط ٢، ١٩٧٢م، الناشر: دار النفائس، ص ١١،

أيضاً: الكتز المرصود في قواعد التلمود، ط ٢، ص ٤١-٤٢،

أيضاً: التلمود شريعة بني اسرائيل حقائق ووقائع، ترجمة وإعداد/ محمد صبري، ص ٩

ويعتقدون أن دراسة المشنا أفضل من دراسة التوراة لأن من درس المشنا فعل فضيلة يستحق عليها المكافأة بخلاف من درس التوراة فإنه لا يستحق المكافأة!! وإن من يحتقر أقوال حاخامات اليهود يستحق الموت بخلاف من يحتقر أقوال التوراة لأن أقوال أولئك أفضل مما جاء في شريعة موسى!! كما يعتقدون بأن الله تعالى كما أعطى لموسى عليه السلام التوراة على طور سيناء فإنه أعطى لموسى عليه السلام التلمود شفاهاً وأنه تعالى عما يقولون علواً كبيراً يستشير الحاخامات عندما توجد مسأله لا يمكن حلها في السماء!! إلى ما هنالك من أقوالهم الكافره والغير متزمه للذات الإلهيه العليه.

وفيما يلي النصوص المنقوله من التلمود والتي تثبت ذلك:

>> إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ومن درس (المشنا) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس (الغاماراه) فعل أعظم فضيله.

من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود افضل مما جاء في شريعة موسى.

وقد اعطى الله الشريعة على طور سيناء وهي التوراة، والمشنا والغاماراه (الجماره) ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفاهاً.

إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسأله معضله لا يمكن حلها في السماء - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

إِعلم أن أقوال الحاخامات افضل من أقوال الأنبياء وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله >> (١).

المسيح عليه السلام في التلمود :

وكما أسلفنا إن المسيح عليه السلام قد ذُكر في التلمود بوصفٍ يندى له الجبين من إصااق العار به وبأمه عليهما السلام فضلاً عن السب والشم وإصااق التهم والصفات المشينه، وهذا ليس بغريب على كتابٍ قد تجرأ على الذات الإلهيه العليه بوصفه تعالى بالخطأ والغفلة، وكما سبق وأن نقلنا إدعاءاتهم الباطله بأن حاخاماتهم اعلم وأعرف من الحق سبحانه وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وعندما تشير نصوص التلمود إلى المسيح عليه السلام تشير إليه بعبارات، ملؤها التحقير والسخرية، وتصفه بأنه مضلل وكاذب ووثنى وبأنه ابن النجار، والرجل الذي شقق إلى ما هنالك من صفاتٍ لاتنسب إلى رجل عادي وصف بالتقى والصلاح فضلاً عن أن تنسب إلى أنبياء الله المصطفين الأخيار بل ومن أولي العزم من الرسل.

وبين يدي الآن عدة مراجع تتحدث عن السيد المسيح عليه السلام في التلمود بعضها يتحدث باختصار وبعضها يتحدث بشيء من التفصيل، وأوسع مرجع بين يدي في هذا - كتاب (فضح التلمود) والذي أفرد فيه

(١) انظر: الكثر المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف حنا نصرالله، ط ٢،

مؤلفه (١) فصل بعنوان [يسوع المسيح في التلمود] وفصل الكلام في ذلك على ثلاث مقالات..

المقالة الأولى : ما يتعلق بأسماء يسوع المسيح في التلمود.

المقالة الثانية: حياة المسيح عليه السلام.

المقالة الثالثة: تعاليم المسيح عليه السلام.

يقول صاحب كتاب فضح التلمود في المقالة الأولى:

>> الاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو جيشو آهانوتسري *Jeschua Hanotsri* أي يسوع الناصري.. وبما أن كلمة (جيشو) تعني المنقذ أو المخلص، فإن إسم يسوع الأصلي قلما يظهر في الكتب التلمودية، وهو يختصر دائماً تقريباً باسم جيشو *Jeschu* الذي اقتبس بحقد في الواقع من تركيب الأحرف الأولى للكلمات الثلاث اياش شيمو فيزيكر *Immach Chemo Vezikor* أي ليمح إسمه وذكره (٢)

(١) هو الآب آي. بي. برانائس العالم الروماني نسبة إلى روما الفاتيكان الكاثوليكي اللاهوتي القدير في العبرية، والذي كان عضواً في هيئة تدريس جامعة الروم الكاثوليك للأكاديمية الإمبراطورية في مدينة (سانت بطرسبورغ القديمة، لينغراد حالياً) وقد كتب دراسته هذه باللغتين العبرية واللاتينية فرخص له بنشرها من قبل أعلى مقام اكليريكي، وقد اعتمد فيما كتبه في هذا الموضوع إلى مصادر التلمود الأصلية وهو واحد ممن قامت منظمة التشيكا (أي المخابرات السوفياتية الشيوعية) بتصفيتهم إبان الأيام الأولى من الثورة البلشفية في روسيا، هذا ما كتبه عنه مترجم كتابه من اللاتينية إلى الإنجليزية.

انظر المرجع، ط ٢، ص ١٥، ١٦

(٢) *1. Butzorf in Abbrev. Jeschu*

نقلا عن الآب برانائس (فضح التلمود) ط ٢، ص ٥٦، ٥٥

>> يدعى المسيح في التلمود (اوثوايش *Otholsch*) أي ذاك الرجل، ويراد بها أنه الرجل المعروف من قبل الجميع ففي كراسة (يهوداه زاراه) >> (١) نقرأ ما يلي:

>> يدعي مسيحي من يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبه، الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت >> (٢).

وعلى سبيل التحقير والإزدراء يدعى يسوع أيضاً (نجار بار نجار *Naggar bar Naggar* اي نجار ابن نجار كذلك يُدعى بن شارش ايتيم *Ben Charsch Etaim* أي ابن الخطاب >> (٣).

>> وهو يدعى كذلك تالوي *Talui* اي الرجل الذي شق >> (٤)

المقالة الثانية: حياة المسيح عليه السلام في التلمود:

>> يعلم التلمود أن يسوع المسيح كان إبناً غير شرعي حملته أمه خلال فترة الحيض، وكانت تتقمصه روح ايسو *Esau* وأنه مجنون، مشعوذ، مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذاك الحين وثناً له يعبدونه >> (٥)

>> هم يدعونه أيضاً ابن بانديرا ويدعى كذلك يسوع الناصري في مقاطع أخرى من التلمود حيث يذكر بوضوح على أنه يسوع ابن بانديرا. في كتابه عن

(١) فصل من فصول التلمود خاص بالوثنيه، انظر: المرجع السابق، ص ٣٣

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٥٦

(٣) *C.F. Abhodah Zarah 50b* نقلاً عن المرجع السابق، نفس الصحيفة

(٤) نفس المرجع السابق، ص ٥٦، ٥٧

(٥) الأب براناتيس (فضح التلمود)، ط ٢، ص ٥٧

سلالة نسب المسيح، يذكر الكاهن داماسين *Damascene* أيضاً، بانثيرا *Panthera* وابن بانثيرا <<(١)>

ولاثبات ما سبق أن ذكرنا سننقل - فيما يلي - ما ترجم من نصوص تلمودهم المتضمن للاعتقادات الباطلة والآثمة ضد سيدنا المسيح عليه السلام والتي تقشع لها الأبدان، ويندى لها الجبين:

<< إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندرامباشرة الزنا وأن الكنائس النصرانية بمقام القاذورات، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابجة، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به، وأنه من الواجب ديناً أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني اسرائيل >>(٢)

وينقل صاحب كتاب (فضح التلمود) عن أحد أسفار التلمود <تولدوت جيشو>(٣) << بأنهم يصفون فيه المسيح عليه السلام بأنه مجدف و ساحر

(١) C.F. The Jerusalem Talmud, Abhodah Zarah

C.F. II, and Schabbath Ch. XIV Beth Jacobh, 127a

نقلا عن الأب برانانيس (فضح التلمود)، ط ٢، ص ٦١ ، ٦٢
(٢) انظر: الكثر المرصود من قواعد التلمود، وهو عبارته عن كتابين فرنسيين هما (اليهودي على حساب التلمود للدكتور / روهلنج) والآخر (تاريخ سورية لسنة ١٨٤٠م) للدكتور / لوزان ترجمهما الدكتور / يوسف حنا نصرالله، ط ٢، ص ٢٢

(٣) أي ذرية يسوع وهو كتيب صغير غارق بالتجديفات واللعنات يضم قصة المسيح وهو حافل بمختلف ضروب الكذب والتضليل،
انظر: فضح التلمود، ط ٢، ص ٥٠

و مشعوذ >> (١)

وينقل - أيضاً - عن كراس <سانهيدرين> (٢) مايلي:

< ضلل يسوع، وافسد اسرائيل وهدمها > (٣)

وينقل الأب براناتيس عن كتاب زوهار (٤): إن يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذر حيث تطرح الكلاب والحمير النافقه، وحيث أبناء ايسو (المسيحيون) وأبناء إسماعيل (الأتراك) (٥) بالإضافة إلى المسيح ومحمد (٦) غير المختونين والنجسين كالكلاب النافقه هؤلاء جميعاً مدفنون معاً >> (٧)

والمقالة الثالثة من كتاب (فضح التلمود)

-
- (١) المرجع السابق، ص ٦٤
- (٢) سفر من التلمود خاص بالمحاكم يبحث في شؤون تنظيم المحاكم ونشئها ومحاضر جلساتها، بالإضافة إلى مسائل العقوبات التي تترتب على الجرائم الرئيسية
- انظر: فضح التلمود، ص ٣٢
- (٣) المرجع السابق، ص ٦٦
- (٤) قيل إن مؤلف زوهار هو الراي شيمون بن جوشي *Schimon ben Jochi* أحد حوارى الراي اكيها *Akibha* الذي توفي في سنة ١٢٠م، وهو يتألف من ثلاث مجلدات، طبعة امستردام سنة ١٨٠٥م ثلاثة مجلدات. انظر، فضح التلمود، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠
- (٥) يعلق الأب براناتيس في هامش كتابه بأن المقصود بالأتراك هنا المسلمون بالذات لأن الأتراك في العصر الذي أعد فيه هذا الكتاب كانوا أشهر من المسلمين.
- انظر، فضح التلمود، ص ١٦٦
- (٦) قاتلهم الله ولعنهم بما قالوا.
- (٧) انظر: فضح التلمود، ص ٦٦ ، ٦٧

هي: في تعاليم المسيح عليه السلام في التلمود.

ينقل المؤلف من (ابهوداه زاره) (١) مايلي:

>> الناصري هو الذي يتبع تعاليم كاذبه يبتدعها رجل يدعو إلى العباده في
اليوم الأول التالي للسبت << (٢)

ويقول الدكتور جوزيف باركلي: >> إن الطبقات الأولى من التلمود
شملت كثيراً من كلمات السبب والشم ضد سيدنا المسيح عليه السلام والمسيحية
ولكن الطبقات الأخيرة لاتشمل إلا القليل جداً بعد أن طهرتها الكنيسة ومن
طبقات التلمود التي كانت تسب وتشتم سيدنا المسيح طبعة امستردام لسنة ١٦٤٥،
وقد نعت فيها المسيح بالكلمات الآتية:

- ١ - ذلك الرجل *That one*
- ٢ - مثل ذلك الرجل *Such an one*
- ٣ - أحمق *A fool*
- ٤ - المجذوم *The Leper* (المصاب بالجذام)
- ٥ - غشاش بني اسرائيل *The deceiver of Israel*

وجاء في نفس الطبعة أيضاً:

- ٦ - يدعى أنه ابن الجندي يوسف بنديرا *Joseph Pandira* حبلت به مريم (نعوذ
بالله من هذا البهتان الأثيم!) قبل زواجها.

(١) عُرِّف في هامش ص ١٦ من هذا البحث.

(٢) انظر، فضح التلمود، ص ٧٣ ، ٧٤

- ٧ - المعجزات التي قام بها المسيح كانت بقوة السحر *Sorcery* وأنه قد تعلم السحر أثناء وجوده في مصر، واستدلوا على ذلك لانهم وجدوا على جسد المسيح عليه السلام علامة لشق اللحم !
- ٨ - زعموا أنه تعلم ما كان يقوله للناس، على يد يوشوا بن برخيا *Joshua ben Perachia* وزعموا أيضا أن يوشوا هذا قد حرمه كنسياً *Excommunicated* وألقاه بين قرون أربعمئة كبش لتفتك به هذا بالرغم أن يوشوا عاش قبل المسيح بسبعين سنة!!
- ٩ - قبل صلب المسيح - كما يعتقد المسيحيون - أعلن في المدينة عن طريق النداء العام أن يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح، ولكن أحداً لم يتقدم !
- ١٠ - يقول التلمود أن المسيح عليه السلام رمى بالأحجار ثم صلب مساء عيد الفصح.
- ١١ - تلاميذ المسيح ملحدون *Heretice* ويطلق التلمود عليهم أسماء شائنة، فاضحه، ويتهمهم بإتيان أفعال قبيحة.
- ١٢ - العهد الجديد (الإنجيل) يسمى بكتاب مملوء بالإثم *Sinful book* وكلما يشير التلمود إلى هذه الموضوعات تملأ لهجته بالمقت الشديد والكراهية <<(١)

(١) *The Talmud. Dr. Joseph Barclay, London, 1878, pp. 38-39*

كذلك : الأب العيري د. جوزيف باركلي، ص ٣٤ - ٣٦
 نقلا عن: ظفر الإسلام خان (التلمود تاريخه وتعاليمه)، ط ٢، ص ٦١-٦٣
 أيضا: التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، ترجمة محمد صبري.
 ص ٢٤، ٢٥

هذا ما ذكره تلمود اليهود عن المسيح عليه السلام وهو - كما ذكرت -
كلام آثم مليء بالسب والشتم لسيدنا المسيح عليه السلام وهو كلام لا يليق بانسان
بريء، فكيف بنبي كريم من أنبياء الله معصوم اصطفاه الله على خلقه، وشرفه
برسالته، وأيده بمعجزاته؟!

وفي الحقيقة أني لم أقنع بما وجدته من تعاليم التلمود وأقواله تلك عن
السيد المسيح وأمه عليهما السلام في هذه الكتب التي بين يدي لأنها مراجع
وليست المصدر الأساسي لكتاب التلمود، فوددت بل تمنيت وحاولت بشتى الطرق
أن أجد نسخة أصلية من هذا الكتاب الحاقد، لتكون مصدراً أساسياً أستطيع أن
أنقل منه ما أريده في موضوع بحثي هذا، مع أن معظم الكتاب والباحثين المحدثين
لم يعتمدوا على النسخة الأصلية - فيما أعلم - إلا نادراً^(١)

وبعد أن اجتهدت وبحثت وتحملت مشاق السفر لآلاف الأميال بعداً عن
وطني وجدت ضالتي، ولكن ظني قد خاب في هذا الكتاب، حيث أن أيدي المسخ
والتحريف قد امتدت إليه وأزالت معظم ما دون عن السيد المسيح وأمه عليهما
السلام.

(١) وحيث أن هذا الكتاب الخطير - حسب علمي - لا يوجد في بلادنا بل
ولا يوجد في البلاد العربية فقد وصيت على طلبه من بريطانيا فاعتذر من
طلبته منه بعد البحث الجاد بأنه غير موجود، فاستعنت بالله تعالى وسافرت
إلى الولايات المتحدة الأمريكية جادة في طلبه في صيف عام ١٩٨٧م فبحثت
في كل ولاية أذهب إليها (كاليفورنيا، نيفادا، فلوريدا، نيويورك) بل وفي
كل مكتبة أراها حتى تورمت قدماي بحثاً عنه، وتحققت أمنيته تلك بأن
وجدته فقط في المكتبة العامة في مدينة نيويورك وفيها لايسمح لنا
باستعارته، فاستعنت بالفهرس العام للكتاب، وأخرجت منه جميع
الموضوعات التي تهمني في موضوعي فلم أجد إلا التزر القليل.

وقد حدث هذا في القرون الوسطى في أوروبا - كما أُعترف بذلك -
فكلمات السب المقذع والشتم المشين والذي لا يليق بإنسان عادي وصف بالتقى
والصلاح عن أن يليق بنبي مصطفى مختار بل ومن أولي العزم من الرسل قد
حذف معظمها وأزيل من التلمود.

وأعتقد أن سبب ذلك الحذف والمسح لهذا الكتاب فيما وصفه به السيد
المسيح وأمه عليها السلام هو خوف اليهود من المسيحيين ومن غضبهم بل ومن
غضب حكامهم فهم - أي اليهود - عباد للمادة - كما هو معروف عنهم من
تاريخهم وطباعهم - ومستعدون أن يصنعوا أي شئ في سبيلها حتى ولو كان
الحذف والتنقيص من كتبهم المقدسة !!.

وها هي اعترافات هذا الكتاب بما حصل له من مسخ وتحريف أسجلها
ها هنا لكي تكون دليلاً صادقاً على ما نقله الباحثون الأوائل الفضلاء والمنصفون
من كلمات مشينه وسب مقذع في حق سيدنا المسيح عليه السلام.

>> لقد كانت هناك رقابة شديدة في أوروبا على التلمود في القرون
الوسطى، وقد حاول أصحاب المطابع في القرون التالية وبالتدرج وبطريقة سرية
اعادة بعض الفصول التي أسقطت منه، ولكن بالرغم من ذلك المجهود فإن أحسن
طبقات التلمود كانت محرفة وممسوخة بسبب التبديلات التي أدخلتها يد الرقابة.

>> وتعتبر طبعة باسل *Basel* المراقبه هي المثال والنموذج الأصلي لتلك
الطبقات حيث أن الرقيب حذف أو نقح كل الأجزاء من الأصل التي اعتبرها
مهينة للمسيح والمسيحية أو لبعض الأشخاص، أو انعكاسات لبعض الآراء

التشاؤمية فكلما لمح التلمود بايماء غير لائق عن المسيح أو المسيحية بصفة عامة حذفه ذلك الرقيب وحتى اسم عيسى كان يحذف بطريقه روتينية >> (١)

وفي هذا الكتاب نصوص ركيكة وملفقة، وليس لها أساس من الصحة، إذ كيف يتهمون فيها نبي الله عيسى عليه السلام بعبادة الأوثان والأحجار!! ولأسباب تافهة وينعتونه وينعتون أمه السيدة العذراء مريم الطاهرة عليهما السلام بنعوت قبيحة يندى لها الجبين، وفيما يلي ترجمة لنصوص تلمودهم تلك من اللغة الانجليزية:

>> وقد عُلم إذا قام شخص بعبادة الأوثان عن رغبة أو رهبة من إنسان آخر، وهو في الواقع لا يعتقد باستحقاق ذلك الوثن للعبادة، فقال اباي Abaye أنه معرض للعقاب، ولكن الرب قال أنه لا يعاقب، وقال اباي: بأنه معرض للعقاب لأنه عبد للوثن (ويكرر) ولكن الرب قال: بأنه لا يعاقب إلا إذا قبل الصنم كإله عندئذ يعاقب (ويضيف) وهذا تلميح عن اعتقاد المسيحيين بعيسى >> (٢)!!!

ويضيف هذا الكتاب في موضع آخر:

>> إذا دعا شخص عادي أو جاهل شخصاً آخر إلى عبادة الأوثان والإعتقاد بأنها تضر وتنفع فالتوراة تحكم عليه بالموت ويحتاج الأمر إلى اختبار الشهود في هذه الحالة - كما سيتضح فيما بعد - أما إذا دعا شخصين

(١) انظر: Adin Steinsaltz, *The Essential Talmud*

ترجمه من العبريه إلى الانجليزية Chaya Galal, ط ١٩٧٦، ص ٨٤

(٢) التلمود البابلي Seder Nezikin جزء سان هدين Sanhedin المترجم للانجليزية

مع التعليق الربى الدكتور / Iepstein ابشاين، ص ٤١٧

فهما شاهدان ضده، ويؤخذ إلى بيت الدين ويرجم، ولكن في حالة دعوة شخص واحد لعبادة الأصنام فيجب أن يجيبه بالآتي: لدي أصدقاء يودون إتباعك وعبادة الأوثان، فتعال لتعرض عليهم الأمر، فإن كان ماكراً ورفض الكلام فيأتي بشهود يحتبسون له خلف حاجز بحيث لا يراهم ولا يشعر بهم، ثم يستدرجه ذلك الشخص الذي سبق وأن دعاه إلى عبادة الأوثان ويقول له: أعد علي ما قلت لي الآن ونحن على انفراد، فإذا أعاد ما قاله فيقول له: > كيف نتخلي عن الرب في الملكوت ونتجه إلى عبادة الأوثان والأحجار، فإذا تراجع فمقبول تراجع، ولكن إذا كان جوابه: > إن واجبنا عبادة الأوثان وهو عمل حسن فإن الشهود الموجودين خلف الحاجز يأخذونه إلى بيت الدين ويرجمونه، أما إذا قال: سوف أعبد الأوثان، أو دعونا نعبد الأوثان إلى غير ذلك من الأقوال فيرجم جماراً: إذا كان الداعي إلى عبادة الأوثان شخص عادي أو جاهل فيرجم، وإذا كان نبياً!!! فيشنق، وكذلك إذا دعا مجتمعه إلى ذلك فيشنق >> (١)

وفي التعليق على ذلك (أي في هامش الكتاب) جاء ما يلي:

في الطبعة الغير مراقبه في التلمود طبعات ميونخ واكسفورد، والطبعة القديمة يوجد هذا النص:

>> وهكذا فعلوا بابن استادا في اللد وشنقوه في ليلة عيد الفصح بن استادا هو ابن بانديرا Ben Padira واستادا اسم أمه، وقد كان اسمها مريم وربما تكون مصففة شعر.

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٤ - ٤٥٦

ويقول بمباديثا *Pumbaditha* إن هذه المرأة تركت زوجها واقتربت خطيئة الزنا مع عشيقها ويدعى بانديرا *Pandira* وقد عُرف ابن ساتادا بعيسى الناصري << (١)

ويضيف تلمودهم الكاذب هذا في موضع آخر:

<< تلك المرأة - يقصد مريم عليها السلام - وهي التي تنحدر من سلالة الأمراء والحكام لعبت دور المومس مع النجارين، ويعتقد أن الإيحاء هنا تعني عيسى، وبالرغم من أن اسم المرأة لم يُذكر (٢) ولكن أم عيسى هي المقصودة من ذلك، ومما يقوي هذا الرأي إن مريم كان لها علاقة جنسية مع نجار << (٣) !!! قاتلهم الله ولعنهم بما قالوا إذ كيف يوجه هذا الاتهام لسيدة نساء العالمين، قال تعالى: { ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين } (٤)

وهناك نص يذكر أن يسوع تناقش مع أحد الربانيين، ودار النقاش حول حانة قد ذهب إليها فأخذ يسوع ينظر إلى صاحبة الحانة ويصفها !!! فنهره يوشع (أحد الربانيين) وطرده من الكنيسة، فتوسل إليه يسوع بأن يأذن له بالعودة إلى الكنيسة، ولكن الرباني رفض فأنتهى الأمر بيسوع إن اتخذ طوبة وعكف على عبادتها!!

-
- (١) المصدر السابق، ص ٧٢٥
والتعليق: نقلا عن كتاب (المسيحية في التلمود) لهيرفورد *T. Herford*
(٢) هذه تلميحات وضعت بدلا من التصريحات في التلمود - كما ذكرنا سابقاً - حتى تنطلي على المسيحيين فتنتشر
(٣) المصدر السابق، ص ٧٣٥، والتعليق من كتاب المسيحيين في التلمود لهيرفورد، ص ٤٨
(٤) سورة التحريم : آية ١٢
انظر: ص ٣٠٧ وما بعدها من هذه الرسالة.

ونحن إذ ننقل مفترياتهم عن المسيح - عليه السلام - نترهه كل التره عما
يقوله هؤلاء المفترون

وفي الطبعة الأصلية الغير مراقبة يستمر النص كالآتي:

>> أفاق يوشع وعيسى وذهبا إلى الحانة حيث وجدا التكريم والتشريف
فقال يوشع: ما أجمل هذه الحانة! فأجابه عيسى: يارباني إن عينيها ليست جميلة،
وقد أساء يسوع الفهم، حيث فهم أن يوشع يقصد صاحبة الحانة: فأجابه يوشع:
تعباً لك أهكذا تشغل نفسك بهذا زجره يوشع، وهتف بأربعمئة بوق وطرده من
الكنيسة، وتوسل يسوع إليه مرات عديدة بأن يقبله، ويأذن له بالعودة إلى
الكنيسة، ولكن الرباني يوشع لم يلق إليه بلاً،

وبينما كان يسوع ذات يوم يقرأ الشيما *shema* تقدم إليه يوشع طالباً
الإذن بالعودة إلى رحاب الكنيسة، فأشار إليه يوشع بالقبول، ولكن يسوع أساء
الفهم، وظن أن يوشع يرفضه، فذهب يسوع وأحضر طوبة وعبدها !!!، وعندما
علم يوشع بما حصل له طلب منه التوبة عما بدر منه، فأجابه يسوع: لقد تعلمت
منك: أن من أذنب وتسبب في ذنوب الآخرين ليس له سبيل إلى التوبة، وقد قال
السيد الرباني: إن عيسى النصراني مارس السحر وقاد إسرائيل إلى الضلال >> (١)

وفي التلمود البابلي جزء سوتا *sota* هناك إضافة للافتراءات السابقة على
سيدنا المسيح عليه السلام.

(١) التلمود البابلي *Sedernezikin*, جزء سان هدرن *Sanhedin*, المترجم
للانجليزية مع التعليق الربى الدكتور ابشاتين *I.Epstein* ص ٧٣٥

>> يقول البعض بأن يسوع صنع من حجر المغنطيس صنماً كهية العجل !!! وجعله معلقاً بين السماء والأرض !، ويقول آخرون بأنه نقش على ذلك الصنم اسم الإله الذي اعتاد أن يناديه بالعبارة التالية: انا الرب إلهكم ولا إله لكم غيري >> (١)

ويقول الأستاذ ظفر الإسلام خان:

>> إن الذي جعل اليهود يتشبثون بتعاليم التلمود هو الانهيار المفاجئ لشوكتهم وإغلاق مدارسهم مرة واحدة، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة، ووجدوها في التلمود الذي يعلمهم على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تمهيداً لإقامة إمبراطورية عالمية >> (٢)

>> والحديث عن عيسى ابن مريم - عليه السلام - عند اليهود موجز للغاية، فإنه لا يوجد في تاريخ اليهود الديني ولا في كتبهم (أسفار العهد القديم على وجه الخصوص) أى ذكر لعيسى بن مريم - عليه السلام - ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه (كما يعتقد المسيحيون) فالذي يقرأ كتب اليهود لا يجد لعيسى ذكراً وهذا مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى شخصية خرافية فرضية ليست حقيقية واقعة

وإذا تكلم اليهود عن عيسى وقتله (كما يعتقد المسيحيون) فليس لأنه مثبت في تواريخهم المأثورة عن آبائهم ومشايخهم، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله

(١) ترجمه إلى الإنجليزية وعلق عليه الربى الدكتور ابشتاين I.Epstein، رقم الصحيفة ٢٤٧

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه، ط ٢، دار النفائس، بيروت، ص ٣٣

المسيحيون عن المسيح فيروون عنهم أحياناً، وإلا فكتبهم خالية من ذلك >> (١)
ويتساءل الدكتور أحمد شلي.. لماذا أهمل اليهود شأن عيسى ولم يذكروه
في كتبهم؟ ويجب هو على تساؤله هذا بقوله:

>> الجواب أن عيسى عندهم - إن صح وجوده - رجل عادي كفر
بدعوتهم فقتلوه وهم يجمعون في كتبهم أخبار كل فرد من الدولة فهذا رجل
انشق فعاقبوه بالقتل، ولا يستحق بعد ذلك أى ذكر >> (٢)

وقد وصل الأمر بالمفكرين الغربيين إلى ما يشبه إنكار وجوده - عليه
السلام - ويتساءل ول ديورانت (٣) هل كان وجود المسيح - عليه السلام -
حقيقة واقعة أم هى أسطورة من الأساطير أو خرافة شبيهة بخرافات كرشنا
وأوزيريس .. يقول:

>> هل وجد المسيح حقاً؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثرة أحزان
البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزيريس،
وأئيس، وأونيس، وديونيش، ومتراس (٤) لقد كان بعض الباحثين يقولون: في
مجالسهم الخاصة إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق، وجهر

(١) د / أحمد شلي، المسيحية، ط ٦، ١٩٧٨م، ص ٧٧

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) مؤرخ أمريكي، حصل على الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩١٧م له
مؤلفات عديدة أشهرها قصة الفلسفة وقصة الحضارة (في عشر مجلدات) صدر
المجلد الأخير منه في عام ١٩٦٧م، واشتركت معه في تأليف المجلد الأخير
زوجته (أريل) ويعتبر قصة الحضارة من أعظم أعماله انظر الموسوعة
الأمريكية ج ٩، ص ١٨٩٨

(٤) هذه شخصيات تدور حولها قصص خرافية واساطير قديمة ليس لها أساس
من الصحة.

أنظر: دائرة معارف البستاني، ج ٢، ص ٤٨٤، ٧١٣، ج ٤، ص ٦٤٥

فلني Volney بهذا الشك نفسه في كتابه [خرائب الامبراطوريه] الذي نشره في عام ١٧٩١م، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ بفيلا ند Wieland العالم الألماني لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح <<(١).

ويقول ريمارس:

<< إن يسوع لا يمكن أن يعد مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم، بل يجب أن يفهم على أنه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوفه اليهود القائلين بالبعث والحساب، بمعنى أن المسيح لم يفكر في إيجاد دين جديد، بل كان يفكر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب، وليوم الحشر الذي يحاسب فيه الله الناس الأرواح على ما قدمت من خير أو شر >>(٢).

ويقول (ول ديورانت) أن أقدم إشارة غير مسيحية إلى المسيح قد وردت في كتاب قدم اليهود ليوسفوس.

يقول: << وفي ذلك الوقت كان يعيش يسوع وهو رجل من رجال الدين، إذا جاز أن نسميه رجلاً، لأنه كان يأتي بأعمال عجيبة، ويعلم الناس، ويتلقى الحقيقة وهو مغتبط، وقد اتبعه كثير من اليهود وكثيرون من اليونان، لقد كان هو المسيح >>(٣)

ويطرح المستشار محمد عزت الطهطاوي السؤال التالي:

-
- (١) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٢٠٢
 - (٢) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٢٠٣
 - (٣) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، قيصر والمسيح، ط ٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥

هل يوجد في تاريخ اليهود اشارة إلى المسيح عيسى بن مريم؟ ويجيب عليه
بقوله:

>> لا يوجد في التاريخ الديني (اليهود) ولا في كتبهم أي إشارة: للمسيح
عيسى بن مريم (عليه السلام) ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه (كما
يعتقد المسيحيون) مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى أو يسوع شخصية
خرافية فرضيه لا أساس لها من الواقع >> (١)

وإذا اعتبرنا بروتكولات حكماء صهيون (٢) من الكتب المقدسه لدى
اليهود، فإني قد بحثت في جميع تلك البروتكولات المنشورة والمدونه حالياً لأجد
فيها ذكراً للمسيح عليه السلام فلم أجد له فيها ذكراً البته.

ومما يجدر ذكره هنا أن اليهود كانوا ولا زالوا ينتظرون مسيحاً يأتي
ويخلصهم من الولايات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، والذي سيأتي ويحكم
ويكون مملكة كبيرة لليهود ويشتركون معه فيها.

(١) النصرانية والإسلام، ط دار الأنصار، ص ٢٢٦

(٢) البروتكولات، تقرير بالنسبة لوضعها، ومحاضر بالنسبة لعرضها على
المؤتمرين في جلساتهم، وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها، وقد قامت سيدة
فرنسية باختلاس جزء منها من وكر الماسونية بباريس عام ١٩٠١م ونشرت
في روسيا القيصرية عام ١٩٠٢م، وهدفها هو إقامة وحدة عالمية تخضع
لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية، فالقسم الأول منها يبحث في
موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم، ويبحث القسم الثاني في موقف
اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه.
انظر: بروتكولات حكماء صهيون، ترجمة / محمد خليفة التونسي، ط ٥،
ص ٣١،

أيضاً: د. أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣

ففي سفر اشعيا ما يلي:

>> لأنه يولد لنا ولد ونعطي إبناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته، ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا >> (١).

ويعتقد بعض الباحثين (٢) أن عقيدة المسيح عند اليهود هذه قد نتجت من عقيدة أخرى سابقة لها وهي عقيدة الاختيار والامتياز لشعب بني إسرائيل على جميع الشعوب كما تنص على ذلك توراتهم إذ تقول :

>> أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب، تكونون لي قديسين لأنني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي >> (٣)

>> إنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من حبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم >> (٤)

>> فإن اليهود وجدوا أنفسهم لاختيرة البشر كما زعموا، ولاصفوة الخلق

(١) ٧-٦ : ٩

(٢) أنظر: د. أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

(٣) لاويون ٢ : ٢٤ ، ٢٦

(٤) تثنيه ٧ : ٦ - ٨

كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانه التي ينعم بها الآخرون، وإنما كانوا هدفاً للبلايا والنكبات، ومن هنا اتجه مفكروهم في عصورهم المتأخره إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوهدة، ويضعهم في المكأنه التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص «المسيح المنتظر» ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد >> (١)



(١) James Hosmer: *The Jwes*. p. 85

نقلا عن د. أحمد شلي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

الفصل الثاني

موقف اليهود من المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول :

إعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه
السلام من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم

المبحث الثاني :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال
أسفار النصارى المقدسة.

المبحث الثالث :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال
آيات الذكر الحكيم.

تمهيد :

بعد اطلاعي على المراجع والمصادر التي بين يدي من مؤلفات علماء ومفكري اليهود، ودوائر المعارف اليهودية، ودائرة المعارف للديانات وعلم الأخلاق، وجدت أن موقفهم من سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يتضح في ثلاث مباحث:

المبحث الأول:

اعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام منذ ولادته، وأثناء بعثته ودعوته، وحديثهم هذا يظهر من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم، وفيه ستة مسائل:

* المسألة الأولى : موقف اليهود عامة من السيد المسيح عليه السلام من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم.

* المسألة الثانية: موقفهم ورأيهم في تعميده عليه السلام.

* المسألة الثالثة: موقفهم من معجزاته عليه السلام.

* المسألة الرابعة: موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون.

* المسألة الخامسة: موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليهما السلام.

* المسألة السادسة: مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني.

المبحث الثاني :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى (العهد الجديد) ورأى النصارى عامة في كتبهم ومؤلفاتهم.

المبحث الثالث :

ثم يأتى القول الفصل في هذا الموضوع من الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } (١)

فالقرآن الكريم تحدث في كثير من آياته وسوره الكريمة عن مواقف اليهود العدائيه من سيدنا المسيح عليه السلام بل ومن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٢)

(١) سورة الحجر : آية ٩

(٢) وقد حكى لنا القرآن الكريم موقفهم من الأنبياء فهم لا يكتفون بتكذيبهم بل ويقتلونهم: { أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون } البقرة : آية ٨٧
{ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين } البقرة : آية ٩١
انظر ص ١٤٧ من هذا البحث وما بعدها

المبحث الأول

إعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح وأمه
عليهما السلام من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى : موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال
أسفارهم ومؤلفاتهم.

المسألة الثانية : موقف اليهود ورأيهم في تعميده عليه السلام.

المسألة الثالثة : موقف اليهود من معجزاته عليه السلام.

المسألة الرابعة : موقف اليهود من قصة القبض على المسيح وصلبه
كما يزعمون.

المسألة الخامسة : موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها
السلام.

المسألة السادسة : مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني.

المسألة الأولى :

موقف اليهود من المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من خلال أسفارهم

ومؤلفاتهم.

فبالإضافة إلى ما أثبتناه في الفصل السابق من حديث التلمود عنه وعن أمه عليهما السلام من أقاويل مشينه يندى لها الجبين، أنقل وأثبت اعترافاتهم ومواقفهم ضده وضد أمه الطاهره البتول من كتب علمائهم ومفكريهم، ومن دوائر معارفهم، والتي توضح وتؤكد مواقفهم العدائية منه ومن أمه الطاهره عليهما السلام.

ففي دائرة المعارف اليهودية وتحت عنوان (عيسى الناصري في التاريخ)

مايلي:

>> مؤسس المسيحية وُلد في الناصره حوالي سنتين قبل الميلاد^(١) كما جاء في لوقا^(٢)، قتل في القدس ١٤ إبريل أو ٢٩ إبريل سنة ٣٧٨٩ في التاريخ اليهودي <<^(٣)

(١) قوله هنا: قبل الميلاد يدل على عدم صحة التاريخ الميلادي وقد ذكر ذلك كثيرون آخرون.

(٢) يشير في لوقا ٣ : ٢٣ وقد بحثت عن مكان اشارته فلم أجد ما يمكن أن يكون دليلاً على ما ذكر ووجدت مايلي: >> ولما ابتداء يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ماكان يظن ابن يوسف بن هالي << وقد بحثت في الفصلين السابق واللاحق لمكان إشارته فلم أجد ما يفيد حديثه!!

(٣) انظر: Jweish Encyclopedia ج ٧، ص ١٦٠

حياته :

>> بالرغم من أنها كانت شخصية خطيرة ولكن كان لها تأثير ضعيف ومباشر على مجرى التاريخ في العصور الوسطى.. بينما المراجع في التلمود كان أغلبه كقصه خياليه وأسطورة خرافية تماماً كالأناجيل المشكوك في صحتها ولكن في اتجاه مضاد ومعاكس <<(١)

>> ولا يوجد أي علاقة تدل في الكتابات اليهودية على أن ظهور المسيح سواء كان معلماً أو قائداً أو مرشداً اجتماعياً أو سياسياً، كان له تأثير عميق أو دائم على الأمة اليهودية بصفة عامة، فخارج مدينة الخليل كان لا يكاد يعرف، وهذا على الأقل يوضح لنا الحقيقه بأن الأجزاء التلمودية وأكثرها كان قديماً وضعت عيسى في نفس مستوى ابن استادا الذي حوكم في لدا، وربما كان مساوياً ومشابهاً (لتيودوس الساحر) المسيح الكذاب الذي ظهر في عام ٤٤م، وكذلك

(١) ومن الغريب حقاً أن دائرة المعارف الخاصة باليهود تتحدث عن التلمود بهذه الطريقة!! فهم يقدسونه أكثر من تقديسهم للتوراه!! - كما ذكرنا في الفصل السابق - ففي هذه العبارة يقرر مؤلفوا هذه الدائرة أن التلمود كالأناجيل تماماً عبارة عن قصص وأساطير خرافية، ولكن الأناجيل تعظم المسيح أما التلمود فهو في اتجاه مضاد ومعاكس لذلك تماماً.

انظر: Jewish Encyclopedia, ج ٧، ص ١٦٠

يشبه النبي المصري الكذاب الذي اختلق ثورة مسيحية بعد ذلك بسنوات (١)

والذكر الوحيد لعيسى في المؤلفات اليهودية المعاصرة، وُجدت في قسم (جوزفس) وهي عبارة عن فقرات دُست بواسطة الناسخين المسيحيين، والذي يظهر أن أصل هذه الفقرات تحتوي على الفقرات الآتية: وجد في ذلك الوقت شخص يُدعى عيسى رجل رشيد الذي كان يقوم بمعجزات معلم لرجال متشوقين لتلقي بشائر جديدة، وبذلك جذب إليه كثير من اليهود وكذلك كثير من اليونانيين واعتبر لذلك المسيح، وعندما شهر به من رجال مهمين منا (أي من اليهود) قام بيلاطس الحاكم الروماني بالحكم عليه بالصلب (٢)، ولكن الأشخاص الذين تأثروا به في أول الأمر لم يتركوا اعتقادهم به والقبيلة المسيحية التي نسبت إليه لم تنقرض حتى هذا اليوم >> (٣)

(١) وهذه العبارة تكشف مدى حقد اليهود الدفين على المسيح وعلى الأمة المسيحية حيث أنهم يقررون هنا في دائرة معارفهم بأنه لم يكن له أي تأثير على الأمة اليهودية، وأنه لا يكاد يعرف خارج مدينة الخليل، وكذلك فهم يشبهونه بالمتنبئين الكذبة والسحرة والدجالين، حاشاه - عليه السلام - ان يكون منهم وهو من أولي العزم من الرسل قال تعالى { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس } البقرة: ٢٥٣

(٢) هذا تأكيد لاعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم } النساء : ١٥٧

(٣) انظر: Jewish Encyclopedia, ج ٧، ص ٥٠

الناشر: Funk and Wagnalls Company

وتضيف دائرة المعارف اليهودية بأن الأنجيل قد أكدت أن يوحنا المعمدان هو أول من قام - هو وجماعته - بالإعداد والاستعداد لما أسموه (بالحركة المسيحية) وذلك باستغفارهم وتعميدهم وصومهم استعداداً لقدم المسيح، كما أن عيسى لا يعد إلا من حوار يوحنا المعمدان ويفهم من النص أن عيسى عليه السلام استغل سجن يوحنا فتقدم كداعي إلى مملكة السماء، وأنه يعترف أثناء نقاشه مع العلماء بأنه لم يكن نبياً بل إن يوحنا هو الذي يعترف به كني. أليس هذا بتناقض عجيب؟! إذ كيف يتقدم بدلاً من يوحنا بالدعوة إلى المسيحية ثم لا يعترف بنبوته؟!

وبعد ذلك بأسطر قليلة يناقض مؤلفوا الدائرة أنفسهم فهم يذكرون بأن عيسى لم يدع أنه لقب بأي لقب سوى أنه نبي أو عامل بالروح المقدس!!

وفيما يلي نص الترجمة من الإنجليزية من دائرة المعارف اليهودية:

>> وتتفق وثائق الإنجيل على نقطة أساسية أكدت في (جوزفس) وهو المرجع السابق، وذلك أن الدافع للحركة المسيحية كان من يوحنا المعمدان وهو القديس الذي كان مع مجموعة أعدوا أنفسهم لقدم المسيح باستغفارهم وصومهم وتعميدهم وذلك لتحضير

أنفسهم لقدم المسيح^(١) واعتبر يوحنا كواعظ أو كداعي للتوبة

(١) ويشير إلى الإصحاح الثالث من متى، وعندما بحثت مكان إشارته وجدت مايلي: >> وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية. قائلًا: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات، فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب << ١-٣

>> حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلًا أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إليّ، فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر حينئذٍ سمح له << ١٣-١٥

ويشير أيضاً إلى الإصحاح الأول من مرقس وعندما بحثت مكان إشارته وجدت ما يلي: >> كما هو مكتوب في الأنبياء، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك، صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمه، كان يوحنا يُعتمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، وخرج إليه جميع كورة اليهوديه وأهل أورشليم وأعتمدوا منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم << ٢-٦

وهذه النصوص السابقه تشير ولو قليلاً على ما أراد قوله مؤلفوا هذه الدائره، ولكن النصوص التاليه والتي أشاروا إليها في متن دائرتهم تلك لا تمت بأي صلة لما أرادوا قوله، وفيما يلي أنقل هذه النصوص من الإصحاح الثاني من لوقا:

>> وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام << ٢٥-٢٩==

والبشرى مما دعا الناس إلى الانسياق إلى نهر الأردن لتطهير أنفسهم من ذنوبهم توقعاً لتوحيد المملكة المسيحية، وعرف بعد ذلك كطبقة من المعمدين، عرفوا تحت اسم (حواري يوحنا المعمدان) وعُرف ولاءهم جزئياً لفرقة (المانديتس) (١).

وقد كان عيسى عموماً واحداً من حوارى يوحنا، ففي اللحظة التي سجن فيها يوحنا تقدم عيسى كواعظ أو كداعي إلى مملكة السماء أو مملكة الله العلوية بنفس تعبير استأذه (٢)، وحتى النهاية كان عيسى

== >> وكانت نبية حنه بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمه في أيام كثيره قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتهها << ٣٦ ويشير كذلك إلى الاصحاح الخامس عشر من مرقس فبحث مكان إشارته فوجدت مايلي: <<ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت، جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظر ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع>> ٤٣-٤٤

(١) هي فرقة يهودية، أنظر:

The Mandaean Brandt Die Mandäische Religion pp.136-218 et sea

(٢) ويشير إلى موضعين من إنجيل متى وموضع من إنجيل مرقس ليستدل به على أقواله وفيما يلي ننقل النصوص المشار إليها:

<< ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل، وترك الناصره وأتى فسكن في كفر ناحوم>> ١٢:٤ وبعد هذا النص بعدة فقرات وجدت نصاً أثبتته هاهنا ولو لم يشير إليه المؤلف: لأنه يدل على ما أراد قوله من أن يسوع بدأ يعظ بعد أن قبض يوحنا: <<من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات>> متى ١٧:٤ فبإضافة هذه الفقره إلى سابقتها يكمل المعنى. ==

يعترف أثناء نقاشه مع الكبار بأن يوحنا كان يعترف به عالمياً كنبى بينما هو نفسه (أي عيسى) لم يعتبر نفسه نبياً، وفي الحقيقة أن (هيرودس انتباس) عندما سمع بالمعجزات التي قام بها عيسى أعتقد بأن يوحنا المعمدان قد بُعث من موته، وأنه هو الذي قام بتلك المعجزات.

ولم يكن عيسى نفسه حسب السجلات القديمة قد ادعى أي لقب غير أنه نبي أو عامل بالروح القدس كأبي قديس^(١) وبالتدريج

== أما النص الآخر من متى فهو كما يلي: >> فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه، لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك << ١٤: ٥-٣

وهذا النص الأخير يدل على أن الامبراطور هيرودس قد قبض على يوحنا بالفعل.

(١) لا يخفى التناقض والذي يظهر واضحاً هنا في دائرة المعارف اليهودية، إذ كيف أن عيسى لم يعتبر نفسه نبياً؟! ثم يذكر ويقرر بعد سطرين فقط بأن يسوع لا يعترف بأي لقب سوى أنه نبي!! ويقول الله سبحانه وتعالى في معرض الحديث عن عيسى عليه السلام:

{ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين } آل عمران: ٤٩

ويشير مؤلفوا هذه الدائرة إلى مواضع من متى ولوقا ويوحنا فبحث مكان الإشارة فوجدت أن هذه الفقرات التي أشاروا إليها لا تمت بأي صلة إلى ما أرادوا قوله وفيما يلي أنقل تلك الفقرات: ==

فإن الشهرة الواسعة لعيسى كمبدئ وشافي وكمساعد لذوي العاهات والمرضى، والذي حجب أعمال يوحنا المعمدان - على الأقل في أواسط مجتمعات مدينة ناصرة الخليل بحيث اعتبر الأخير (أي يوحنا) فقط كمبشر للشخص الذي قدر له أن يتغلب على مملكة الشيطان، وأعني بذلك يسوع كرسول مملكة المسيح، أو منشئ المملكة المسيحية، وقد كان يوحنا من البدايه قد تنبأ بمملكة المسيح^(١)، وعيسى كرجل الشعب

== >> وإذا كانوا يطلبون أن يسكوه خافوا من الجموع لأنه كان

عندهم مثل نبي << متى ٤٦:٢١

فالنصان يفيضان اعتراف الجموع بأنه نبي، على خلاف كلام المتن في الدائرة أنه هو يعتبر نفسه نبي، أو أنه لم يلقب نفسه بأي لقب سوى أنه نبي.

>> فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم

وافتقد الله شعبه << لوقا ١٦:٧

>> قالت له المرأة ياسيد أرى أنك نبي << يوحنا ١٩:٤

وأيضا فإن هذين النصين من لوقا ويوحنا لايفيدان ما أراد قوله مؤلفوا هذه الدائرة.

(١) ويشير إلى مواضع من مرقس ولوقا، فبحثت مكان إشارته فوجدت

ما يلي: >> وكيف هو مكتوب عن ابن الانسان أن يتألم كثيراً ويُرذل، لكن أقول لكم إن إيليا أيضا قد أتى وعملوا به كل ما

أرادوا كما هو مكتوب عنه << مرقس ٩ : ١٢-١٣

>> وقال لها أذهبا إلى القرية التي أمامكما فلولوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس، فحلاه

وأتيا به << مرقس ٣:١١

>> قالت له المرأة ياسيد أرى أنك نبي << يوحنا ١٩:٤

ومما هو ظاهر بالملاحظة أن هذه النصوص المشار إليها لاتفيد المعنى

المراد مما أرادوا قوله أو الاستشهاد له في دائرة ==

ابتعد وخالف ممارسات الصدوقيين والفريسيين في الابتعاد عن الاتصال بالمنذيين وجامعي الضرائب والعشارين والمحتقرين الذين كانوا يعتبرون معدين وملوثين ونجسين، وهو يرفع من مكانتهم، متبعاً القول: << لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ^(١) وشعر عيسى بالدافع على أن يبلغ الإنجيل للفقراء ^(٢) وفي الحقيقة أصبح مخلص الطبقات الحقة والسفلى وقد كانت استجابتهم سريعة أن رفعوه إلى منزلة المسيح >> ^(٣).

== المعارف لامن قريب ولا من بعيد، حتى أني أحاول ربط هذه النصوص المشار إليها بالمعنى المراد في متن هذه الدائرة فأقرأ عدة فقرات قبل وبعد فقره المشار إليها بل وأقرأ الإصحاح بأكمله وفي كثير من الأحيان أقرأ الإصحاح السابق واللاحق لإحتمال أن يكون قد وقع خطأ في كتابة الرقم، فلا أجد ما يدل على ما أرادوا الاستشهاد له!!

(١) ويشير إلى متى ١٢:٩ << فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى >>

وعلى خلاف ما سبق فقد وافقت هذه فقره ماجاء في متن الدائرة.

(٢) ويشير إلى موضع من لوقا: << وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ >> ١٦:٤

ولكن هذا لايفيد الاستشهاد لما ذكره مؤلفوا هذه الدائرة ووجدت ما أرادوا الإشارة إليه بعد فقرات من نفس الإصحاح: << روح الرب لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المستحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة >> ٤: ١٨-١٩

(٣) انظر : Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ٥٠

وتضيف دائرة المعارف اليهودية باللغة الإنكليزية ما ترجمته:

>> والظاهر أنه (أي المسيح) لم يدع أنه المسيح قبل دخوله القدس لعدم اذاعة السري أنه ابن داود^(١) ويتضح ذلك بالإنداز الذي أعطاه للحواريين وللمصايين بالأرواح الشريره، وإشارته إلى نفسه بأنه

(١) ويشير إلى موضع من متى وعندما بحث مكان إشارته وجدت مايلي:

> وأوصاهم أن لا يظهروه < ١٦:١٢ فلم أفهم فقرأت ما قبلها وما بعدها من فقرات فوجدت ما يلي:

>> فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعه جموع كثيرة فشفاهم جميعاً، وأوصاهم أن لا يظهروه، لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل، هوذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي، أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق << متى ١٢ : ١٤-١٨ وكما هو واضح ليس هناك أي علاقة بين ما في المتن وما أشار إليه مؤلفوا دائرة المعارف اليهودية هذه!!

ويشير أيضاً إلى موضع آخر من متى فبحث مكان إشارته فوجدت مايلي: >> حينئذ أوصى لتلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح << متى ٢٠:١٦ وهذا موافق لما جاء في متن الدائرة على خلاف السابق.

ويشيرون إلى موضع من لوقا وعندما بحث مكان إشارتهم لم أجد مايفيد ما أرادوا قوله وفيما يلي نص لوقا المشار إليه: >> وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله. فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوا أنه المسيح << لوقا

ابن الانسان بطريقة دانيال^(١) ليس لها قيمة تاريخية، بينما في مرقس^(٢) وفي متى^(٣) ان ابن الانسان يعني رجل، فبينما تنبؤات يوم الحشر في متى^(٤) ولوقا^(٥) وما بعده وفي أماكن أخرى أخذت حرفياً من الوحي اليهودي، وقد نسبت إلى عيسى أنه تكلم بها، ولكن تعاليم وأفعال عيسى فضحت بعد التحليل الدقيق اللفظة الشديدة من قبل الناس

-
- (١) ويشير إلى موضع من دانيال ذكر فيه لفظ ابن الانسان: << كنت أرى في رؤى الليل وإذا ما سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فربوه قدامه >> دانيال ١٣:٧ أيضاً يشير إلى موضع من متى ذكر فيها لفظ ابن الانسان: << ها نحن صاعدون إلى اورشليم وابن الإنسان يُسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت >> متى ١٨:٢٠
- (٢) ويشير إلى مرقس ٢٨:٢ < إذا ابن الانسان هو رب السبت أيضاً >
- (٣) ويشير إلى متى ٢٠:٨ < فقال له يسوع للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه >
- (٤) ويشير إلى متى ٢٥:٢٤ < ها أنا قد سبقت وأخبرتكم > ويلاحظ ان مؤلفي هذه الدائرة أشاروا إلى هذه الفقرة فقط وهي بحد ذاتها لاتفيد شيئاً ولكن الاصحاح ككل يتحدث عن علامات انقضاء الدهر كما تفيد هذه فقره من نفس الاصحاح: << وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وماهي علامة مجيئك وانقضاء الدهر > متى ٣:٢٤
- (٥) ويشير إلى لوقا ٢٢:١٧ < وقال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الانسان ولا ترون >

(بعد زوال عصر المسيح) والتي كانت فرحتهم ولهفتهم أشد وأكثر منها عند ظهوره وفي عصره >> (١)

ويضيف مؤلفوا الدائرة: >> وما كان يسمى (بصلاة دعاء الرب) تصنيف رائع لأدعية يهوديه قديمة (٢) وهي عبارة عن شكوى أو طلب التماس بدلاً من أن تكون الشكر لله على منحهم المملكة المسيحية، وكذلك جميع القوانين الأخلاقية التي وضعها عي حواريه في خطبة الجبل (٣) وهو ليس بقانون ومنهج لعالم يكاد يطير فرحاً لوصول منقذ البشرية (٤) ولكنه كمرشد للأقلية المختارة والقديسه التي تنتظر انتهاء هذا العالم سريعاً وقيام عالم آخر (٥) والأحداث الأخيرة فقط

(١) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ٥١

(٢) ويشير إلى موضع من لوقا لفقرات تنص على هذه الصلاة: >> وإذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يارب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه، فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض >> لوقا ١١ : ١-٤

(٣) ويشير إلى موضع من لوقا لبعض فقرات من تلك الخطبه المشار اليها: >> ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباً لكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله >> لوقا ٢٠: ٦

(٤) وهذا انتقاد واضح من كتاب الدائرة للقوانين والمناهج الأخلاقية التي أتى بها عيسى عليه السلام حسبما وردت في الأناجيل.

(٥) ويشير إلى موضع من متى: >> ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان >> متى ٢٣: ١٠

هي التي أدت إلى التلميح بأن ابن الإنسان في تلك الأقوال يقصد بها عيسى <<.

وتضيف دائرة المعارف اليهودية تحت عنوان > القصص المنقولة عن اليهودية عن عيسى < عليه السلام ما ترجمته:

>> القصص المنقولة عن اليهودية عن عيسى لها ثلاث مراجع كل واحد منها لا يعتمد على الآخر:

١ - من كتاب العهد الجديد المشكوك في صحته والمؤلفات التي صدرت في المناقشات والمجادلات المسيحية.

٢ - من التلمود والميدراش (١)

٣ - من حياة عيسى الذي نشأ في العصور الوسطى.

وتميل كل هذه المصادر إلى تحقير وتصغير شخصية عيسى (٢)

(١) لتعريف التلمود انظر ص ١٠ من هذا البحث، أما الميدراش فهو التعليم الشفهي للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه تعمق في الدراسة وهو على نوعين. (مدراس حلقة) وهو المتعلق بالنصوص التشريعية و (مدراس هاجاده) وقد تناقلها العلماء اليهود شفهيًا من جيل إلى جيل إلى أن جرى تدوينها في حوالي القرن السادس من الميلاد، انظر: اليهودية د. ايزويدور ابشتاين نقلًا عن (التوراه تاريخها وغاياتها) ترجمة وتعليق سهيل ديب ط ٢، ص ٩٤

(٢) هنا كلام متناقض وغير صحيح، فكيف يقال إن كل هذه المصادر تميل إلى تحقير المسيح عليه السلام ومن بينها الانجيل، ونحن نعرف أن بعض نصوص الانجيل ترفعه إلى مقام الألوهية.

انظر مثلاً: يوحنا ١٤: ١ ، يوحنا ٢٥: ٥ ، لوقا ٣٥: ١ ، مرقس ٧: ٥

بنعته بولاده غير شرعية (ابن زنا) وبنعته بالسحر وبالموت الغير شريف، وبعض ما كتب عنه مثل أنه ساحر وجد ذلك بين الكتاب الوثنيين وبعض المسيحيين الذين عاشوا مدةً طويلةً مع اليهود، والذين يعتبرون من أصحاب البدع الضالين وهذا هو الأصل لتلك المصادر المذكورة، ويمكن القول بأن كثيراً من تلك القصص لها خلفيه لاهوتيه^(١) ولاسباب جدليه كان من الضروري أن يصر اليهود على أن ولادة عيسى غير شرعية وذلك ضد رجوع نسبه إلى داود الذي ادعته الكنيسة المسيحية^(٢) ونسبة السحر اليه كانت ضد المعجزات التي ذكرت في الأناجيل، وتحقيره سواء في حياته أو بعد موته وذلك ضد الادعاء والتوهم لقيامة عيسى^(٣) والقصص اليهودية عن عيسى تعتبر أقلّ عداوةً

(١) لا يخفى ما في هذه الأقوال من التناقض إذ كيف يقال بأن النعوت التي وصف بها عيسى عليه السلام من كونه ابن غير شرعي وأنه ساحر وجدت بين كتاب وثنيين أو بين مسيحيين عاشوا فترةً طويلةً مع اليهود ثم يضاف إلى ذلك بأنه يمكن القول بأن كثيراً من تلك القصص والنعوت لها خلفية لاهوتيه!!

(٢) إذاً هذا اعتراف من دائرتهم اليهودية على أن اصرار اليهود على أنه ابن غير شرعي لنفي رجوع نسبه إلى داود الذي ادعته الكنيسة المسيحية وليس لأنه كذلك، كما كانوا ولازالوا يصفونه لعنهم الله بما قالوا.

(٣) أيضاً هذا اعتراف منهم بأن احتقاره وتصغيره في حياته أو بعد موته كان ذلك ضد لنفي ادعاء أو توهم قيامته من الأموات بعد صلبه ودفنه كما تدعي الكنيسة المسيحية، وليس لأنه محتقر في ذاته فهو نبي معصوم مؤيد بالمعجزات عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

إذا قورنت بمثلها من كتابات الأميين^(١) وبعض المصادر المسيحية، وخصوصاً كالتقصص التي تحكي الاساطير والتخيلات التي وصف بها عيسى والتي استفزت اليهود^(٢).

وهناك كتابات في مراجع موثوق بها تقول بأن عيسى ولد عن طريق غير شرعي^(٣) فالجملة الخفيه < ذلك الرجل > المذكوره في تلك المراجع قد وجدت في سجل العائلة لذلك الباحث الذي قد وجدها^(٤) ويظهر أنها تدل على عيسى، وفي الكتابات المتأخره قد استعملت جملة (الرجل الغير مسمى) وترك ذكر اسم عيسى^(٥)، أما لفظ (ابن زنا)

(١) الأميون هم الجويم أو ماعدا اليهود من الأمم، ولكن ماذا قال الأميون عن المسيح عليه السلام وكيف عادوه، لاعتقد أن هناك عداوةً للمسيح عليه السلام تفوق عداوة اليهود له، حتى ما فعلته به الحكومة الرومانيه من السجن ثم الصلب حسب اعتقاد الفريقين (اليهود والنصارى) كان بايعاز من اليهود.

(٢) لا أدري ماذا يقصد بالتخيلات التي وصف بها عيسى والتي استفزت اليهود، ولكن يظهر -والله أعلم- أنها معجزاته وصفوها بأنها تخيلات.

(٣) انظر: *Jesus is that in Yeb. IV.3*

The Jewish Encyclopedia, ج ٧، ص ١٧٠

(٤) وهو: *R. Simeon ben Azza*

انظر: *The Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٠

(٥) ولكن عبارة (الرجل الغير مسمى) من غير نعت أو قرينة لاتدل على عيسى عليه السلام

فقد استعمل في الأيام المتأخرة، وذاك السجل العائلي للباحث المذكور ربما كان قد حفظ في القدس في المجتمع اليهودي المسيحي.

واليهود الذين اعتبروا كأعداء لعيسى في الأناجيل القانونية، اعتبروه بأنه ابن شرعي وولد بطريقة شرعية ! وقد ظهر بيان معاكس لوجهتهم هذه لأول مرة^(١). كما يقرر أحد الباحثين^(٢). إلى أن من زنا بها كان جنديا أسمه بانثيرا، وبعد قرنين يظهر مرجع^(٣) ينسب إسم بانثيرا إلى يعقوب من أجداد عيسى، ويوحنا من دمشق يضع أسماء بانثيرا في نسب مريم، ومن المؤكد كذلك ان المصادر عن الأخبار تعتبر عيسى ابن (بانديرا) كما أنه يسمى كذلك (ابن استادا)

ويظهر كذلك أن الزوجين بابوس يهوذا ومريم الماشطه اعتبرا أبوين لعيسى، وبابوس ليس له اى صلة بقصة عيسى، ولكن ارتبط أسمه بهذه القصة لأن زوجته كانت تدعى مريم، وكانت معروفة

(١) انظر: *Acts of pilate*

Gospel of Nicodemus" ed Thilo, in "Codex Apoc Novi Testamenti" i.
Leipsic, 1832 ٦٢٥

نقلا عن: *The Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٠

(٢) مؤرخ يهودي يدعى *celsus* انظر : نفس المرجع السابق

(٣) انظر: *Epiphanius (Haeres IXXVIII 7)*

نقلا عن: *The Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٠

بأنها عاهرة (١).

والبيان الوحيد الذي اتفقت عليه كل هذه القصص المشوشة هو ماله علاقة بمولد عيسى، بالرغم من ان هذا نسب إلى اليهود إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أنهم هم الذين الفوه، لأنه من الممكن أن يكون، قد ابتداءً بين المبتدعين المعادين لعيسى (٢) الذين تكلموا باتهامات كريهة ضد عيسى، ومن المحتمل ان الاتهام بعدم شرعية ولادة عيسى لم تكن تعتبر ذات أهمية كبيرة عندئذ، لأن هذه التهمة الصقت بكثير من الشخصيات الهامة، وهي متوفرة في الأساطير الشعبية.

كما أن محادثاته وخصامه مع الكتبة قد نسخها الربانيون والأخبار في مراجعهم، وكل الطبقات عن ولادته تحتوي على قصص

(١) لا يخفى ما في هذه الأقوال من التضارب والتناقض حول عيسى وأمه - عليهما السلام - فهناك منهم من يدعى بأنه ابن غير شرعي!! بينما اليهود المعادين له اعتبروه إبنا شرعي!! ثم يدعون أن من زنا بأمه شخص يدعى بانثيرا، ثم يدعون ان الزوجين بابوس ومريم الماشطه ابوين لعيسى، وسرعان ماينفى هذا القول، وذلك كله دون ترجيح رأي على رأي أو قول على قول، وإنما هو عرض لتلك الأقوال فقط، فيخرج القارئ مشوش الذهن خال الفكر، ألا يتقون الله أذ كيف ينسبون هذه الأقوال المشينة إلى نبي من أنبياء الله؟!

(٢) مثل: Ophites, Origen, Celsus

انظر: The Jewish Encyclopedia, ج ٧، ص ١٧٠

مماثلة للخصام بين عيسى والكتبة الذين أعلنوا أنه ابن غير شرعي كنتيجة لتلك الخصومات >> (١)

وقد تحدثت دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق (باللغة الإنجليزية) تحت عنوان (المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية)

ومختصر حديثها: بأن قدومه عليه السلام كان خيراً وبركة للأمين، ولكنه كان نذير سوء ومعاناة قاسية وطويلة لليهود لم يشهدوا تاريخهم الماضي!! ولذلك فلا عجب ان يكتب اليهود ضد المسيح عليه السلام لأنه كان المصدر الأساسي لكل شقائهم.

وتضيف دائرة المعارف هذه ما يناقض القول السابق فتذكر أن اليهود لا يذكرونه إلا قليلا وذلك لندرة وجود أخباره لديهم، أو لأنهم يعلمون بأن ما يريدون قوله لن يلقى قبولا من الأمين عامة، ومن المسيحيين خاصة، أو لأنهم يخشون الاضطهاد.

وتضيف هذه الدائرة: بأنه يكفي أن يُعلم بأن الشخص المذكور تحت اسم (بن بنديرا) أو (ابن استادا) كان هو عيسى بالفعل - أي أنه ابن العسكري بنديرا فهو ابن غير شرعي حاشاه عليه السلام أن يكون

(١) إذا فقد اعتادوا ان يلصقوا هذه التهم المشينة بكثير من الشخصيات الهامة، وكان اعلانهم ونعتهم له بانه ابن غير شرعي نتيجة للخصومات التي حصلت بينه عليه السلام وبين الكتبة من اليهود،

انظر : *The Jewish Encyclopedia*، ج ٧، ص ١٧٠

كذلك وهو نبي من أولي العزم من الرسل ومع ذلك فهم يُخطئون من يفترض عداؤهم لعيسى عليه السلام.

وهناك بعض اليهود الذين اعتنقوا المسيحية قد أخبروا المسيحيين عما سجل في التلمود ضد المسيح عليه السلام وضد المسيحيين، وقد حاول اليهود الدفاع عن تلمودهم بأن ما كتب فيه لم يقصد به المسيح النصراني وإنما المقصود به مسيح آخر عاش قبله بقرن تقريبا.

وفيما يلي ترجمة النص الإنجليزي من دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق تحت عنوان:

<< المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية >>

<< العلاقة بين اليهودية والمسيحية لم تكن وديه إلا نادراً، فالكنيسة في أولها تخلت عن النصر اليهودي وفي القرون التالية عندما أصبح للكنيسة القوة والقدرة على الاضطهاد لم تعتبر اليهود كانساب وأقرباء لعيسى ولكن اعتبروا بانهم رفضوا عيسى وقتلوه^(١) ومن النادر أن تجد من يمتدح اليهود إلا من غير المسيحيين، واليهود من جانبهم أيضا لا يوجد لديهم اي محبة للمسيحيين أو أي قول حسن عنهم،

(١) الرفض والهزاء والسخرية والتكذيب قد حصل له باعتقاد الجميع سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود، أما القتل والصلب فهذا باعتقادهم كنصاري ويهود بخلاف العقيدة الإسلامية والتي تنفي ذلك كما سيتضح فيما بعد إن شاء الله.

وقدوم عيسى إلى العالم ربما كان قدوم بركة للأميين، ولكنه بالنسبة لاسرائيل كان نذير المعاناة القاسية والطويله والتي لم يشهدوا تاريخهم الماضي.

ولذلك لا يستغرب أن يتوقع ان كتابات اليهود ستكون مرة قاسية ضد مؤسس الديانة المسيحية لأنه المصدر الأساسي لكل شقائهم^(١).

ومع ذلك لم يكن ذلك هو السبب، لأن الحقيقة الواضحه عن كتابات اليهود سواء في عهد التلمود أو في العصور الوسطى او حتى في يومنا هذا هو ندرة ذكر المسيح نفسه، ويوجد الكثير من الجدل ضد المسيحيين خصوصاً فيما يتعلق بالشرعية، ولم يقصر اليهود في الدفاع عن ديانتهم بكل ابعادها ضد الهجمات المسيحيه، ولكنهم لا يذكرون المسيح إلا قليلاً، والسبب في ذلك هو أنه لا يوجد لديهم ما يقولونه، أو لأنهم يعلمون بأن ماسوف يقولونه لن يلق الرضى ولا القبول فلذلك آثروا الصمت في أوقات يخشون فيها الاضطهاد، عدا ذلك فهم لا يعلمون الكثير عن عيسى وليست لديهم الرغبة في أن يعرفوا أي شئ عنه.

وفي هذا العصر الحاضر بدأ بعض الكتاب اليهود في اظهار رغبة حقيقية للتعرف الكامل على التاريخ الحقيقي فيما يتعلق بالمسيح، وقد

(١) هنا يرد تساؤل في ذهن لماذا يدعون أن المسيح عليه السلام هو المصدر الأساسي لكل شقائهم؟! وما هو دليل ذلك؟ وهل يمكن ان يكون نبي من أنبياء الله تعالى مصدر شقاء لأحد؟!

تبين لهم بأن هناك ما يمكن أن يعلم ومن المستحسن لاسرائيل أن تعلمه..
أما في الفترة التي غطاها التلمود فتحتوي على ميلاد عيسى ونشأة
الكنيسة المسيحية، وبناءً على ذلك فما كتب في التلمود والكتابات المشابهة
له تحتوي على ما قالته اليهودية في القرون الخمسة الأولى بعد المسيح عن
عيسى، وجملة ما كتب كان قليلاً ونادراً وما كان ذا أهمية، ويكفي أن
يعرف بأن الشخص الذي ذكر في الأحاديث عن المدارس المختلفة تحت اسم
(بن بنديرا) (ابن اسنادا) كان فعلاً هو عيسى، ولكن الأحاديث المنقولة
عنه كانت قليلة جداً ولا تضيف أي شيء عما ذكرت في الأناجيل.

وعندما يجمع ما كتب عن عيسى في الكتابات الربانية يتبين أنها
ليست كثيرة في الكمية أو في المحتويات، وعلى كل فمن الخطأ أن يفترض
أن تفي تلك الكتابات بتكوين اتجاه معاد للمسيحية أو لمؤسسها !! فقد كان
الربانيون يفكرون في ديانتهم وليس في ديانة أخرى.

وعندما يحتاج الأمر إلى التلميح عن عيسى يذكر ذلك على الهامش
لبيان وجهة نظرهم وليس لأهمية موضوعه لديهم.

ولم يظهر في تفكير مؤلفي التلمود من الربانيين أية أهمية لعظمة
عيسى (١) وقد ذكر وكان ذكره قليلاً بأنه الرجل الذي أوجد الفتنة

(١) ويا ليتهم توقفوا عند هذا الحد بل سخروا منه وهزؤا به واتهامه
بأفطع الاتهامات المشينه، انظر: ص ١٦ وما بعدها من هذا البحث.

والتزاع لاسرائيل، وكان اقرب ما وصف به في التلمود هو أنه مارس السحر وخدع إسرائيل وأضلها^(١)، وسرعان ما كثر القيل والقال حول هذه الجملة بالتدريج حول عيسى مثل تلميح غير كريم عن مولده وذكرى محاكمته ومثل ذلك مما يشبه ما جاء في التعليق على الأناجيل، ومن المحتمل ان تكون تلك الكتابات تعتمد اساساً على المعلومات المستقاه من الاختلاط بالمسيحيين اكثر من أن يكون الربانيون أنفسهم قد قرأوا الأناجيل.

والنقطة الهامة هي أن عيسى لم يكن له وزن كبير غير عنه في الكتابات الربانية في القرون الخمسة الأولى، وقد كان - في نظرهم - ينتمى إلى المسيحية، واليهودية تسير في طريقها لاتهم به ولا بالديانة التي كان يدعو إليها.

وقد كان عهد التلمود عهداً صعباً بالنسبة لاسرائيل ولم يعد ذلك بصفة خاصة إلى اضطهاد المسيحيين لهم، ففي الحقيقة لم يذكر التلمود أي شيء عن اضطهاد اليهود على ايدي المسيحيين، وقد أشار التلمود إلى اعتناق الامبراطوريه للمسيحية كديانة ولكنه لم يشر إلى أي عداوة ضد اسرائيل.

(١) Bob Sanh 1076 انظر: *Encyclopaedia of*

تأليف: *Religion and Ethics, James Hastings* مجلد ٧، ط ١٩٤٠م، ص

أما في العصور الوسطى فقد حاول المسيحيون الدفاع عندما اتهموا بأنهم يتبعون شريعة باطله وخصوصاً عندما وصل بهم الأمر إلى اتهام عيسى بالكفر، وقد أخبر اليهود الذين اعتنقوا المسيحية إخوانهم المسيحيين عن الكثير مما كتب عن المسيح في التلمود، فحمل بذلك مجادلو المسيحية سلاحاً موجهاً ضد اليهود، وقد حاول مدافعو اليهودية الرد على ذلك الهجوم بزعمهم بأن ما كتب في التلمود من كتابات غير لائقة بعيسى لم يكن المقصود هو عيسى مؤسس المسيحية ولكنه شخص آخر عاش قبل قرن تقريباً من ولادة عيسى الناصري.

ولم يكن الهجوم موجهاً ضد التلمود وحده فهناك كتاب آخر (١) وجه تهماً كثيرة غير منسوبة إلى شخص معروف موجهة ضد عيسى (٢) وبعض بقايا هذا الكتاب وجدت في القرن التاسع وربما تكون من أصل ألماني، وهو عبارة عن قصة متصلة عن ماذكر عن عيسى في التلمود ولكنه بولغ فيه بطريقة قصد بها إثارة السخرية ولكنها الآن تعتبر عقيمة، فالتلميح الجارح في التلمود (٣)

(١) *Fugio Fidei* نقلا عن:

Encyclopaedia of Religion and Ethics, مجلد ٧، ص ٥٥٢

(٢) *Tola'oth Y'shu ed, e.g E.Bishoff, Leipzig 1895*

نقلا عن: *Encyclopaedia of Religion and Ethics* مجلد ٧، ص ٥٥٢

(٣) في الحقيقة لم يكن تلميحا فقط وإنما كان تصريحاً جارحاً ومشيناً. انظر ص ١٦ من هذه الأطروحة ومابعداها.

هو العنصر الأساسي للكتاب ولكن مجمل الكتاب غير مقبول، وهناك طبقات من الكتاب تظهر حتى الآن ولكن من الظلم إعتبار ما جاء به معبراً عن الأفكار اليهودية عن عيسى وهو يمثل الانتقام البئس لليهودي المضطهد للعذاب الذي لقيه على أيدي المسيحيين، ولكن قادة اليهود لم يعترفوا قط بهذا الكتاب وبما جاء فيه سوى أنه هجوم غير لائقاً^(١).

وموقف يهود العصور الوسطى كان دقيقاً في تلميحهم مما رفع الاتهام عن أي نية سيئة ضد عيسى، والذي قصد الهزء به في الكتاب وبمعنى آخر أن يهود العصور الوسطى لم يكونوا ليتعرضوا له لولا أنهم اضطروا لفعل ذلك دفاعاً عن النفس^(٢).

وفي العصور الحاضرة ظهر تغير كبير في موقف اليهود نحو عيسى، وإن كان ذلك لا يشمل جميع اليهود، وظهر ذلك من كتابات

(١) لم يكن هجوماً غير لائقاً فقط، وإنما كان هجوماً بذئياً وفاحشاً على نبي من أنبياء الله - تعالى - بل ومن أولي العزم من الرسل.

(٢) لابد وأن هناك استفهامات كثيرة ترتسم في ذهن القارئ الكريم، ولأول وهله عند قراءته لهذه النصوص، فما هو الأمر الذي اضطهرهم ليسخروا ويهزؤا بنبي من أنبياء الله تعالى؟! وكيف يرفع الاتهام عنهم وهم قد فعلوا ذلك؟ بل وأعظم من ذلك من اتهامات مشينه يندى لها الجبين لاتليق برجل عادي وصف بالتقى والصلاح فضلاعن أن تليق بنبي من أنبياء الله تعالى!

كتابهم المرموقين ومن المحتمل أن تكون الحقيقة أن السواد الأعظم من اليهود الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالتأثر من الأفكار الحديثة والذين لا توجد لديهم أي فكرة عن عيسى سوى أنه كان سبباً لأذى إسرائيل من وقت سحيق ولكن بزيادة الطمأنينة والحرية أوجدت الفرصة للعلماء والمتقنين اليهود أن يستفيدوا من الطرق الحديثة للبحث، وبذلك ابتعدوا عن الموقف الماضي بالكره الصامت لعيسى أو الامتناع من ذكره.

وهناك كتاب ألف في تاريخ اليهود يعتبر ذا تأثير كبير، غير فيه مؤلفه (١) عن إعجابه بعيسى والذي اعتبره كناسك سيئ إليه من اطراء تلاميذه أكثر من إساءة أعدائه، والصورة التي صوره بها أدت إلى الإنتقاد بدون شك ولكن النقطة الهامة هي المحاولة الجادة لاثبات صورة عيسى وهي محاولة لانصاف عيسى من ناحية اليهود، ومن الطبيعي لم ير المؤرخ اليهودي في عيسى ما يراه المسيحيون فهو يصف عيسى كإنسان مخلوق ولم يُظهر في الصورة بأي طريقة ما يراه المسيحيون في إنسانية عيسى، ومهما يكن في الأمر من سليات فإن ما كتب في هذا الكتاب - المذكور - عن عيسى يعتبر أحسن وأعظم ما قاله اليهود

(١) يُدعى Graetz أحد المؤرخين اليهود، انظر:

Graetz, Whose History of the Jews Gesch der Juderz ed 1863, Vol.

III p.p.222-252

عن عيسى حتى ذلك الوقت >> (١).

ونعود مرة أخرى إلى دائرة المعارف اليهودية حيث تدعى:

>> أن عيسى كان تأثيره بين أهله وجيرانه متبايناً ومختلفاً حيث

أعتبره بعضهم بأنه مجنون ومختل العقل (٢) (وتضيف) والذي يظهر أنهم لم

يخالطوه ولم يتبعوا الحركة المسيحية إلا بعد موته، وعيسى نفسه ساعد على

إذكاء هذا الوضع برفضه الاعتراف لأي قرابة خاصة حتى لأمه (٣) كما

أعلن أن القرابه الروحية تفوق قرابة الدم والنسب (٤)، كما شعر أنه

مضطرب إلى الخروج إلى النشاط العام،

(١) انظر: *Encyclopædia of Religion and Ethics*

تأليف: *James Hastings*، مجلد ٧، ط ١٩٤٠، ص ٥٥١ - ٥٥٢

(٢) ويشير إلى موضع في إنجيل مرقس >> ولما سمع أقرباؤه خرجوا

ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل << ٢١:٣ نزه عيسى عليه السلام ونزه جميع أنبياء الله تعالى ان يكونوا كذلك.

(٣)، (٤) ويشير إلى موضع في مرقس: >> وكان الجمع جالساً حوله فقالوا

له هو ذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك، فأجابهم قائلاً من أُمِّي

وإخوتي، ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال ها هي أُمِّي وإخوتي،

لأن من يضع مشيئة الله هو أخي وأختي وأُمِّي << مرقس ٣ :

٣٢-٣٥

وقد ذكر هذا النص أنه عليه السلام له إخوه وأخوات!! فكيف

يكون ذلك وأمه عليهما السلام على الراجح لم تتزوج لأنها كانت

موهوبه من أمها لخدمة بيت المقدس، وقد سكت كل من القرآن

الكريم والكتاب المقدس عن ذكر زواجها، ولكن يرجح أنها عليها

السلام لم تتزوج لأنها اشتغلت بالنسك والعبادة وخدمة ==

وفي نشوة النجاح لبداية عصر جديد في عشرة أشهر أدت إلى حماس
روحي شديد أدى إلى انطباع الوحي (١)

وفي هذا الموضوع كتب أحد المؤرخين (٢) وقد وافق على أن هناك
تفاعلات فكريه غير طبيعية حدثت في كلام وتصرفات عيسى << (٣) !!

== بيت المقدس، كما رجح ذلك الكثير، منهم الإمام ابن كثير في قصص
الأنبياء، ج ٢، كما قد يتبادر إلى الذهن أن المقصود بتلك الأخوة
الأخوة الإيمانية، ولكن يأتي نص من إنجيل يوحنا لينفي ذلك ويفيد
أن أخوته لم يكونوا يؤمنون به، ٧ : ١٠-١١

انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحث،
ص ٢٥٢-٢٦٠

ويشير إلى موضع آخر في مرقس: << فقال لهم يسوع ليس نبي بلا
كرامة إلا في وطنه وبين اقربائه وفي بيته >> ٤:٦ ويشير إلى
موضع في يوحنا: << ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم
خمره، قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد >> ٢ :
٣-٤، والدائرة تشير إلى هذه المواضع تريد الاستدلال على ما
ذكرته من آراء عن عيسى عليه السلام.

(١) لا أدري ماذا يقصد (بانطباع الوحي) هنا؟ هل معنى ذلك أنه أصبح
بعد حماسه ذاك ودعوته نبيا أم ماذا؟

(٢) انظر: Holtzman War Jesus Ekstatiker? (leptic, 1902)

(٣) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦١

أما رأي اليهود في تعاليمه وأقواله عليه السلام كما هو مدون في دائرة معارفهم اليهودية فيوضحه ما ترجمته:

>> وتعاليم عيسى الأساسيه كانت هي تعاليم يوحنا المعمدان، وقد تركزت في نقطتين:

١ - التوبة.

٢ - قرب مملكة الله، وهناك نقطة أخرى لاحظها اللاهوتيون المسيحيون كجزء من تعاليمه الأساسي وهو التصميم على أبوة الإله، وهذا اعتقاد عام لليهود ولا يحتاج ذلك إلى تأكيد أو إثبات بأن هذه النقطة يهوديه بحته (١) أما من ناحية التوبه فإن اليهوديه تضع وزناً كبيراً عليها في الحياة الدينيه أكثر من المسيحيه، ومن هذا المنطلق يعتبر عيسى يهودياً أكثر منه نصرانياً (٢)

-
- (١) أي يدعون أن من تعاليمه عليه السلام أنه صمم وأكد على إمكانية أبوة الإله، والظاهر أنهم يقصدون بها الأبوة النسبية لا التشريفية - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وأن هذا الاعتقاد لم يكن خاصاً به وإنما قد أخذه واقتبسه من اليهود.
- (٢) يفهم من ذلك أن معظم تعاليمه عليه السلام قد أخذها من اليهود، لذلك يعتبر - على حد قولهم - يهودياً أكثر منه نصرانياً، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه. فإذا كان ذلك كذلك فلماذا تنسبون إليه وإلى والدته عليهما السلام البهتان وتقذفونهما بأبشع التهم بشهادة تلمودكم المقدس؟! لاشك أنهم أناس منحرفون ومتناقضون.

أما من ناحية مملكة السماء فهي بالذات يهوديه، ويظهر أن عيسى شارك اعتقاد العصور الوسطى بأن هنالك كارثة عالمية متوقعة، وأن مملكة السماء ستنشأ على أنقاض الدنيا المنتهيه والهالكة << (١)

(١) ويشير إلى موضع في مرقس: << وقال الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوه >> ١:٩

ويشير أيضاً إلى موضع آخر من مرقس: << اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أمساءً أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً، لئلا يأتي بغتةً فيجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا >> مرقس ١٣ : ٣٥-٣٧، وكما هو واضح أنه ليست هناك أي علاقة بين ما أرادوا قوله في دائرة معارفهم وبين هذا النص.

ويشير أيضاً إلى موضع من متى: << ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان >> ٢٣:١٠، وحتى هذا النص من متى - كما يظهر واضحاً - ليس له أي علاقة بما أرادوا قوله في دائرة المعارف اليهوديه، حيث أن الحديث في الدائرة يدور حول التوبه وقرب مملكة السماء وهي ضمناً من تعاليم المسيح والتي أخذها من تعاليم اليهود - كما يدعون - أما في نص متى فيأمرهم أنهم إذا طردوا من هذه المدينة التي يسكنونها أن يتوجهوا إلى مدينة أخرى حتى يأتي ابن الإنسان لذلك ليس هناك أي علاقة بين النصين.

انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦٢

>> وتقريباً من بداية دعوة عيسى اختلف عن يوحنا المعمدان في

اتجاهين :

أولاً : إهمال نسي لقوانين موسى أو قوانين الربانيين

ثانياً : اتجاه شخصي من عيسى بنقض تلك القوانين^(١) وموقفه هذا كان موقفاً يهودياً محضاً حتى في الاتجاهات التي تعتبر كلامه ضيق أفق في اليهوديه، ويظهر أن عيسى كان يعظ بانتظام في المعبد اليهودي، وهذا يدل بأن تعاليمه لا تختلف عن تعاليم واعتقادات الفريسيين المعاصره، وإلا لم يسمح له بذلك، ففي وعظه إتبع طريقة الامثال الدارجة منها ٣١ مثال كتبت في الأناجيل والتي كونت في الواقع أكبر جزء من تعاليمه المدونه، ومن الواضح أن هذه الطريقه معرضه لسوء الفهم، ومن الصعب في جميع الحالات أن تتفق الآراء في فهم معنى المثل^(٢) وهناك مثال يستحق الذكر هنا،

(١) يقصدون بذلك أن عيسى نقض قوانين موسى عليهما السلام فإذا كانوا يقصدون نقض أصول الدين فهذا محض افتراء لأن اصول دين الأنبياء واحده ومصدرها واحد وهو الحق سبحانه وتعالى ولا يمكن ان تنقض. { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه { الشورى : ١٣

أما إذا كان مقصدهم فروع الدين من عبادات ومعاملات فالنسخ جائز في ذلك كما هو معلوم.

(٢) وقد استفاد من ذلك اعداء اليهود - كما يزعمون - في تحريف بعض نصوص الإنجيل ضد اليهود كما سيتضح فيما بعد.

ومن الواضح أنه قد غير لأسباب تعسفيه لتستعمل ضد اليهوديه (١)

وقد كان المثال عن السامري الطيب في النسخه الاصلية أن من مرّ على الجريح هم الكاهن واللاوي (ليفى) (٢) والاسرائيلي العادي (وهذا يمثل الثلاث طبقات الكبيرة لليهود) الذي كان ولا يزال متبعاً في تقسيم اليهود، وبيت القصيد من هذا المثال أنه كان ضد الطبقة الكهنوتيه الذي كان لأعضائها الاشتراك

(١) يشير إلى موضع من لوقا ليوضح بذلك المثال الذي حُرف ليصبح ضد اليهود: >> فأجاب يسوع وقال إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرفوه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت، فعرض أن كاهناً نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله، وكذلك لاوي أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله، ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن، فتقدم وضمّد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك، فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص، فقال الذي صنع معه الرحمه، فقال له يسوع اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا << لوقا ١٠ ٣٠ - ٣٧

(٢) نسبة إلى لاوي أو ليفي أحد أبناء يعقوب عليه السلام أو هم الرجال الذين من سبط لاوي المكلفون بالاهتمام بالمقدس.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٧، ٨٠٦ لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتين ط ٦

حقاً في قتل المسيح^(١)، حيث أنه - في النسخ التي ظهرت مؤخراً^(٢) -
حرف إسرائيلي أو يهودي إلى سامري^(٣) وهذا أوجد شيئاً من التناقض
لأنه لا يوجد سامري في الطريق بين أريحا والقدس في ذلك الوقت >>^(٤)
>> كما يظهر أن التقاليد المتأخرة اعتبرته كثير الشكوك

(١) هذا اعتراف صريح منهم بقتله عليه السلام كما يزعمون هم اي
اليهود والمسيحيون وإن كانت لهم محاولات في ذلك ولكن الله
تعالى شرفه بالرفع إليه من دنسهم وعيبتهم >> { وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم
به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه
وكان الله عزيزاً حكيماً { النساء ١٥٧-١٥٨

(٢) أي أنه قد حدث تحريف وتبديل في النسخ الحديثه من الأناجيل،
لتحتوي بذلك على نصوص ضد اليهود.

(٣) نسبة إلى مدينة السامرة وهو اسم عبراني معناه مركز الحارس، وقد
كان هناك عداة شديد بين السامريين واليهود، ولم يكن اليهود
يسمحون بأي علاقه دينيه أو اجتماعيه مع السامريين، وقد قبل بعض
السامريين رسالة المسيح ولكن اقبالهم كان ضعيفاً.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٤٨، ٤٥١، ط ٦

(٤) انظر: ص ١٦٢، ج ٧، Jewish Encyclopedia

والوسوسة في الاحتفاظ بالناموس كاملاً^(١) ومع ذلك وفي مواقف كثيرة تقاعس عن اتباع الناموس وارشاداته على الأقل كما كان يفسره الربانيون فبينما صام اتباع يوحنا المعمدان رفض عيسى الصوم^(٢) !!

>> فبينما كان يدعي أنه لايتدخل ولاينقض الشريعة، فقد وجه أتباعه بأن يهتموا بالنيه والدافع للعمل بدلاً من العمل نفسه، وهذا لم يكن جديداً على تطور الديانة اليهودية، فقد كان الأنبياء والربانيون يصرون على الدافع الداخلي للقيام بالأعمال الدينية كما هو موجود في فقرات من أشعياء [١]، وميخا [٦]^(٣) وقد أطمأن عيسى بأن تطبيق

(١) ويشير إلى موضع من يوحنا لايمت إلى موضوعه بأي صلة وفيما يلي نص يوحنا المشار إليه: >> من منكم يبكتني على خطية فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي << ٤٦:٨، ويلاحظ ان النص في دائرة المعارف يتهم المسيح عليه السلام بأنه كثير الشكوك والوسوسة ذلك يقدره في قدرته على الاحتفاظ بتعاليم الشريعة، كما انه تقاعس عن اتباعها!! ولاأدري كيف يتهمون أحد انبياء الله تعالى بهذه الاتهامات المشينة؟! إذ كيف يصطفيه الله تعالى لأداء رسالته ثم يشك أو يتقاعس عن أداء رسالته؟! أما النص المشار اليه من يوحنا فهو مجرد استفهام جرى على لسان المسيح يتساءل فيه عما إذ كان قد صدرت منه خطيئة واذا كان ذلك لم يصدر عنه فلماذا لم يؤمنوا به؟ وليس هناك أي صلة بين النصين.

(٢) المصدر السابق نفس الصحيفة.

(٣) لم يشير مؤلفوا الدائرة إلى الفقرات من الإصحاحين المذكورين من أشعياء وميخا وقد بحث فيهما فلم أجد ما يدل على ما أرادوا قوله.

هذا المبدأ كان من الناحية العملية كثورة في الحياة الروحية، كما انه أكد على التناقض بين الشريعة القديمة والجديدة خصوصاً في موعظته على الجبل^(١)، كما يظهر أنه لم يطمئن بأن الروح الجديدة سوف تؤدي إلى أي تغيير في تطبيق الشريعة، ويظهر انه اقترح بأن الزواج يجب ان يكون دائماً وأن لايسمح بالطلاق^(٢)

(١) إذا كان يُقصد من التناقض بين الشريعة القديمة والجديدة شريعة موسى وعيسى عليهما السلام فقد سبق وأن رددت عليهم في هامش ص (٦٦) بأن لاتناقض أبداً في أصول الشرائع وإنما قد يحدث النسخ في فروع الشرائع.

(٢) ويشير إلى موضع في مرقس يوضح فيه أن المسيح عليه السلام منع او حرم الطلاق بخلاف شريعة موسى عليه السلام وفيما يلي نص مرقس: >> فتقدم الفريسيون وسألوه هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ليجربوه، فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسى، فقالوا موسى أذن أن يكتب كتاب الطلاق فنطلق، فأجاب يسوع وقال لهم. من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية، ولكن من بدء الخلقه ذكراً أو انثى خلقهما الله، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، فالذي جمعه الله لايفرقه إنسان، ثم في البيت سأله تلاميذه أيضاً عن ذلك، فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني <<

في بعض الحالات فقد تستحيل الحياة بينهما، وإذا كان هذا الشرع قد صدر عن المسيح عليه السلام بالفعل فانه خاص بزمانه اذ ليست شريعته عليه السلام عامه وخاتمه كما هو حاصل لشريعة سيد الأنبياء وخاتمهم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفي التلمود أُثبت بأنه قد هدد عيسى بأن يغير الناموس القديم في حق وراثة البكر إلى وجوب حق إرث الأولاد والبنات بالتساوي ولكن لا يوجد ما يثبت ذلك في المصادر المسيحية، ولم يلاحظ أي تغيير منه في الشريعة خلاف النقاط السابقة >> (١)

>> وقد تكلم الأنبياء بثقة عن حقيقة رسالتهم على أساس أنهم يعلنون كلمة الله، ولكن عيسى اتبع ثقة مماثلة ولكنه اظهر سلطته الشخصية، وأن ما جاء به هو من عنده وليس من قوة عليا (٢) ولم يدع علناً - مع ذلك - في أي وقت أي سلطة لها علاقة لمركزه كمسيح، والواقع أن ادعاء مثل هذا حدث في أوقات متأخرة وتعتمد على أقوال الرسول بطرس (٣)، وكان لها علاقة وثيقة لطلب الرسول

(١) المصدر السابق، ص ٦٣

(٢) هذا افتراء باطل على نبي الله عيسى عليه السلام من ضمن أباطيلهم وافتراءاتهم الكثيرة والتي لاتعد ولا تحصى إذ كيف يدعون أنه بسلطته عليه السلام ادعى < أن ما جاء به > من الوحي والتشريع بأن ذلك من عنده وليس من قوة عليا؟! { ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد } المائدة: ١١٧

(٣) يقال: إنه من حوارى المسيح، وكان اسمه الأصلي سمعان، وكان صياد سمك، وقد جال بعد المسيح للتبشير، فذهب إلى أنطاكية وغيرها، ثم ذهب إلى روما سنة ٦٥ فقبض عليه وزج به في السجن، وحكم عليه بالموت صلباً في زمن الامبراطور نيرون، وقد طلب أن يصلبوه منكساً حتى لا يتشبه بالمسيح.

انظر: محاضرات في النصرانية للإمام أبو زهره ص ٨١-٨٢

المذكور أن يكون على رأس منظمة باسم عيسى، ولم يحاول الحواريون أن يعلنوا أي إدعاء مثل هذا^(١) وقد كانت رغبة وهدف بطرس في أن يتولى القيادة بعد عيسى، واعتمد على أقوال تافهه ومضحكه من عيسى، وقد وجد مثل ذلك في اقوال الربانيين^(٢)

وفي الحقيقة مما يسترعى الانتباه أن أقوال عيسى كان لها طابع السلطة الذاتية والادعاء بأن السلام الروحي والانتقاذ لا يوجدان إلا في قبول قيادته ويدل على ذلك بعض العبارات في الأناجيل مثل: > احملوا نيري عليكم فتجدوا راحة لنفوسكم <^(٣)

> من يهلك نفسه من اجلي فسوف يخلصها <^(٤)

> فيجيب الملك ويقول لهم الحق اقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر في فعلتم <^(٥)

(١) ويشير إلى فقرة واحدة من متى وهي: > حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح < ١٦: ٢٠

(٢) ويشير أيضاً إلى فقرة واحدة من متى وهي: > وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها < ١٨: ١٦، وكما هو واضح لاعلاقة ولا دلالة وثيقة بين هاتين الفقرتين وبين ما ذكر في الدائره.

(٣) متى ١١ : ٢٩

(٤) لم يعين مؤلفوا الدائره هذه، الإنجيل الذي قد نقلوا منه هذه الفقره فقط قيدوا - ٣٥: ٨ - وعندما بحث في الأناجيل الأربعه وجدتها في مرقس ٣٥: ٨

(٥) متى ٢٥ : ٤٠

وهذه العبارات تدل على تولي السلطه والقوه وهذا الوضع غريب في التاريخ اليهودي، وهذا في الواقع أدى إلى التنافر الروحي من اليهود ضد عيسى في الوقت الحاضر طالما أن هذا الاعتقاد ظل قائماً^(١)، ومن ناحية أخرى فإن كل الدلالات تدل على أن الهدف من أقواله كان يُقصد منها تحسين العلاقات الشخصية معه، وربما يعود ذلك من أن تجربته اثبتت ان الوصول إلى الراحة النفسية كان يعتمد على مجرد الثقة الانسانية بحسن نواياه وقوة توجيهه.

وهناك سؤال يطرح نفسه فيما إذا اعتبر عيسى نفسه كمسيح أو حاكم روحي، ولكن لا يوجد دليل يمكن الإحاطه به في الأناجيل لتبرير هذا الإدعاء، وتلك الأناجيل زعمت أن هذا الادعاء أخبر بعض الحواريين وبايعوه على أن يبقى هذا الأمر سراً^(٢) وفي خطب

(١) ولكن هذه العبارات وهذه الأقوال لا تحمل أبداً طابع السلطة الذاتية والتي سبقت على لسان السيد المسيح عليه السلام ولكن كره اليهود له عليه السلام ليس فقط في الوقت الحاضر، وإنما كان ذلك من ايام بعثته ولم يكن كرههم ونفورهم منه فقط وإنما كان ذلك لجميع الأنبياء المبعوثين إليهم.

انظر: ص ١٢٥ ، ١٤٧ ومابعدهما من هذه الرسالة.

(٢) اعتقد أنه يقصد العبارة الواردة في متى والمشار إليها سابقاً > حينئذٍ أوصى تلاميذه أن لايقولوا لأحد إنه يسوع المسيح < ٢٤: ١٦

عيسى للعامه لا يوجد أي اثر اطلاقاً لهذا الادعاء (ماعدا احتمال استعمال تعبير ابن الانسان) ومع ذلك يظهر أن عيسى اعتبر نفسه الشخص الذي تنطبق عليه بعض التنبؤات التي وُصف بها المسيح، والتي أخذت من يهود العصور الوسطى (١)

وهناك شك فيما إذا كان هذا قول متأخر او من كلام عيسى نفسه، الذي وصف بأنه خادم يهوه الذي وُجد في سفر أشعيا (٢) ويظهر أنه لا يوجد أي دليل لاعتقاد يهودي بوجود مسيح يعذب من أجل

== وفي عبارات دائرة المعارف اليهوديه هذه شيء من التناقض، إذ يسوقون التساؤل هنا فيما إذا اعتبر عيسى نفسه مسيح أو حاكم روحي، ثم يضيفون بأنه لا يوجد دليل يمكن الإحاطه به في الأناجيل لتبرر هذا الادعاء، وهم قد قرروا في نفس الصحيفه بأنه (أي عيسى) لم يدع علناً - في أي وقت - أي سلطه لها علاقه لمركزه كمسيح!! ثم يضيفون بأن مثل هذا الادعاء قد حدث!! في أوقات متأخره، ويعتمد على أقوال الرسول بطرس!!

(١) أيضاً هذه الفقره تناقض الفقره السابقه والتي ذكرت في نفس الصحيفه في دائرة المعارف اليهودية ص ١٦٣، حيث قرر بأنه عليه السلام لم يدع علناً في أي وقت أي سلطه لها علاقه لمركزه كمسيح من ضمن ذلك التنبؤات والمعجزات كما يُفهم من سياق الكلام، وفي هذه الفقره قرروا بأنه عليه السلام قد اعتبر نفسه الشخص الذي تنطبق عليه بعض التنبؤات، والتي أخذت من يهود العصور الوسطى!!

(٢) ويشير إلى الاصحاح ٥٣ من سفر أشعيا ولكن لم يحدد الفقره التي يريد بها، وقد بحث في السفر المذكور فلم أجد لفظ (خادم يهوه) أو ما يدل عليه.

قومه، وإن كان هناك احتمال في اعتقاد أن هناك شخص يعاني مع قومه، وعيسى نفسه لم يستعمل قط لفظ المسيح بل اختار لقب ابن الإنسان الذي يمكن أن يكون له علاقة في فكره والذي يرجع إلى دانيال^(١)، ولكن هذا يعني في اللاهوت الحديث إنسان بصفة عامة، وفي تفكيره أيضاً يحتمل أن هذا يرجع إلى تبرأ أهله منه^(٢) وبمعنى آخر اعتبر عيسى نفسه كأنسان وادعى السلطه والعلاقة من هذه الوجهه، وقطعاً قد رفض الادعاء أن يلصق بنفسه صفة كونه المسيح أو أنه من سلالة داود الذي كان يجادل ضدها بطريقة التلمود^(٣)

(١) ويشير إلى فقره في سفر دانيال: > كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الانسان أتى وجاء إلى قديم الأيام فقربوه قدامه < ١٣:٧ هكذا النص بالضبط.

(٢) كونه عليه السلام إنسان بصفه عامة هذا مانقره ونعتقد به، ولكن أن يتبرأ أهله منه فلا دليل لهم على ذلك، ومع ان ذلك ليس شرطاً في عصمة الأنبياء عليهم السلام - وفيما نعلم - لم يكن له من أهله غير أمه السيدة مريم عليهما السلام وقد كانت معه إلى نهاية الطريق.

(٣) ويشير إلى موضع في الإنجيل المنسوب إلى مرقس : > ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبه إن المسيح ابن داود، لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فداود نفسه يدعوه رباً، فمن أين هو ابنه، وكان الجميع الكثير يسمعه بسرور < ١٢ : ٣٥-٣٧

ومن الصعب التقرير فيما إذا كان عيسى قد فكر في إنشاء منظمةٍ دائمة لحمل مثله العليا، وقد كانت جميع أعماله لا تقبل إلى أي فكرة للتنظيم !! وقد كان قبوله العملي للشريعة يدل على عدم وجود أي طريق للحياة منافسه لطريقته واعتقاده.. أما أولئك الذين يعملون بروحانية المسيح لا يمكنهم أن يفكروا في دنيا أخرى خاصة بهم، وعلى العموم يمكن القول بأنه لم يعمل خطأ عامه ولكنه عالج كل مشكلة روحانية عند حدوثها، ويظهر أنه لم يكن لديه وعي برسالة معينة بالذات، وقد كان راضياً بأن يترك الأمور تأخذ مجراها >> (١).

>> هذه هي ملاحظة المراقبين لحياته وتصرفاته، و قد كان مقتنعاً بأن يترك تأثير شخصيته على الناس حوله، وهم بالتالي ينقلون هذا التأثير بهدوء وبدون تنظيم، ويترك هذا التأثير كالحمير (٢).

(١) انظر: E.P. Gould 'St Mark, ص ٧٥

نقلا عن : ص ١٦٤، ج ٧، Jewish Encyclopedia

ويلاحظ من الفقره السابقه في دائرة المعارف اليهوديه المحاوله للتقليل من شأنه عليه السلام ومن شأن رسالته واتهامه بأن جميع أعماله لا تقبل إلى أي فكرة للتنظيم، وكذلك أنه ليس لديه وعي برسالة معينة بالذات!! لا أدري كيف يجرؤون على تجريح أحد انبيائه - تعالى - وتجريح رسالة سماويه واضحة!!

(٢) ويشير إلى الاصحاح ١٣ في إنجيل متى دون أن يشير إلى فقره معينة وعندما قرأته وجدته اصحاحاً طويلاً ويحوي بعض الأمثله التي وردت على لسان المسيح عليه السلام.

وكان لعيسى التبرير في تفكيره في أن هذا الانتقال الجديد سوف يؤدي إلى الانشقاق بدلا من السلام في العائلات مفرقا بين الأبناء والآباء^(١)

والاعجاب والتبجيل للسواد الأعظم من العالم المتحضر قد اتجه منذ خمسمائة والف عام نحو الشخصية الانسانية الجذابة ليهودي من الجليل كما قدم في الأناجيل، ومن الناحية التاريخية يجب الملاحظه بأن هذا الجانب من تصرفاته كان نحو الدائرته المحيطة به، أما في جميع خطبه العامه تقريبا فقد كان فظا وشديداً وغير عادل بصورة واضحة نحو الطبقة الحاكمة والطبقة الغنيه^(٢) وعند قراءة خطباته الشهيره ضد الفريسيين والكتبة والطبقة الغنية لا يستغرب أن مثل هذا سوف يساعده على السكوت كما يجب أن يذكر أن في خطباته العامه كان نادرا ما يجيب على أي سؤال مهم إجابة مباشرة عن أي مبدأ، ولكنه كان يتجنب السؤال بسؤال مضاد، لذلك يجب وضع هاتين الخصلتين في الاعتبار.

(١) ويشير إلى إنجيل متى ٥٣:١٠ والاصحاح العاشر في متى ٤٢ فقره فقط، ولم يصل إلى ٥٣!!

(٢) ونحن نتساءل ماهي أدلتكم على أنه كان عليه السلام فظا شديداً وغير عادل نحو الطبقة الحاكمة والطبقة الغنيه، ومما لاشك فيه أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم المصطفون الأخيار هم على مستوى عال وكبير من حسن الخلق والخلق ومع جميع طبقات مجتمعاتهم وإلا لانفض الناس من حولهم.

ومناقضة عيسى للشرائع أصبحت أكثر وضوحاً للحكام، وكثير من أفراد الطبقة المتدينه تجنبت الاتصال به^(١) فقد أوضح بشده من أول الأمر صعوبة التوفيق بين القدسيه والغني وبهذا تبني آراء شبه اشتراكيه.^(٢)

وعلى الرغم من أن عيسى كان على استعداد أن يمكث في بيت زكا الذي كان غنياً ورئيساً للعشارين^(٣) وفي مقابلته للشاب الغني ذكر في الإنجيل أن العطف كان محصوراً على فقراء الأرض المقدسة فقط. >>^(٤)

(١) لقد رددت - فيما سبق - من هذا الفصل على اتهامهم له عليه السلام بأنه يناقض الشرائع فقلت إذا كان مقصودهم اصول الدين والشرع فلا يمكن أن يتناقض أبداً لأن المصدر واحد وهو الحق سبحانه وتعالى، وأما الاختلاف في الفروع فهذا وارد في شرائع الأنبياء عليهم السلام مع أنهم لادليل لديهم لامن قريب ولا من بعيد على ما يدعونه.

(٢) يشير إلى المزامير الآتية: ٩، ١٠، ٢٢، ٢٥، ٣٥، ٤٠، ٦٩، ١٠٩

(٣) ويشير إلى موضع في لوقا: >> ثم دخل واجتاز اريحا. و، إذا رجل اسمه زكا وهو رئيس للعشارين وكان غنياً، وطلب أن يرى يسوع من هو ولم يقدر من الجمع لأنه كان قصير القامه، فركض متقدماً وصعد إلى جميزة لكي يراه لأنه كان مزمماً ان يمر من هناك، فلما جاء يسوع إلى المكان نظر إلى فوق فرآه وقال له يازكا أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك >> ١٩ : ١-٥

(٤) انظر: ص ١٦٣-١٦٤، ج ٧، Jewish Encyclopedia

المسألة الثانية :

موقف اليهود ورأيهم في تعميد^(١) المسيح عليه السلام:

كان الحديث عن هذا الموضوع في دائرة المعارف اليهوديه مختصراً جداً -
على العكس من المواضيع الأخرى المتعلقة به عليه السلام.

وقد زعم مؤلفوا الدائره أنه عليه السلام قد رفض ان يستسلم للتعميد من
يوحنا المعمدان^(٢) أول الأمر - وهذا يعني أنه عمده بعد ذلك - وذلك لأن
العاده المتبعه لديهم ان من أذنب يجب عليه الذهاب إلى يوحنا ليعمده - ولم
تذكر الدائره ما هو الذنب الذي ارتكبه المسيح عليه السلام ليذهب إلى يوحنا
لتعميده؟! وفيما يلي ترجمة نص دائرة المعارف اليهودية.

(١) المعموديه: هي طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والاختراط في سلك طائفة ما
، وقد عرف اليهود هذه العاده واستعملوها، ولما جاء يسوع تبني هذا
الطقس وجعله فريضةً في الكنيسه المسيحيه، أي أن المعموديه في العهد
الجديد تشبه الختان في العهد القديم، وكلاهما علامة على العهد. انظر:
قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٣٧، ط ٦

(٢) ابن زكريا الشيخ وزوجته اليصابات، وقد كانت ولادته قبل ولادة المسيح
بسته أشهر، وكان أبواه يسكنان اليهوديه، وكان محرومين من بركة النسل،
وكانت صلاتهما الحاره إلى الله أن ينعم عليهما بولد، وفي ذات يوم ظهر
الملاك جبريل وسكن روعه وأعلمه أن الله قد استجاب لدعائه ودعاء
زوجته، واعطاه الاسم الذي يجب أن يسمى به الصبي متى ولد، وكان
يعمّد التائبين بعد أن يعترفوا بخطاياهم في نهر الأردن، فأصر يوحنا على
ضرورة تعميد الجميع بصرف النظر عن جنسهم وطبقتهم.
انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ١١٠٦، ١١٠٧ باختصار

>> وقد بدأت الأزمه في حياة عيسى مع وعظ يوحنا المعمدان وارشاده للتوبه وقرب مملكة الله، فقد رفض عيسى أن يستسلم للتعميد من يوحنا في اول الأمر، فقد كانت العاده المتبعه في (الإنجيل طبقاً لليهود) أن من أذنب يتحتم عليه الذهاب إلى يوحنا وأدى ذلك إلى انطباع قوي على شخصية عيسى، وربما جرب لأول مرة قوة تأثير الشخصية العظيمه على جماهير الناس >> (١)

وتضيف دائرة المعارف اليهودية:

>> كما أن الفكرة الأساسية في فلسفة التعميد قد اقتبست من الاعتقادات وشريعة التعميد اليهودية وليست من المذاهب اليونانية الغامضه، وكثير من الشرائع المسيحية التي عزاها العلماء إلى المذاهب الوثنيه الغامضه وجدت في الحقيقة في محتويات ملفات البحر الميت (٢)، ويسهل بذلك معرفة أن الشريعة المسيحية قد اقتبست منها >> (٣)

(١) انظر: ص ١٦١، ج ٧ Jewish Encyclopedia

(٢) لعله يشير إلى كشوف وادي القمران (شرق الأردن) في مطلع سنة ١٩٤٧م، وهي تشتمل على نسخة كاملة من كتاب أشعيا، ونسخة مقروءه سليمه بعض السلامه من تفسير نبؤات حبقوق، وشذرات من تفسير كتاب ميخا، وقصة تسمى قصة الجرب بين أبناء النور وأبناء الظلام، ونسخة آراميه من كتاب غير معتمد بين كتب التوراه، وقصاصات متفرقه من كتب شتى تلحق بكتب العهد القديم، وكلها مودعه في جرار كبيره يوجد الكثير منها في بعض الكهوف المجاوره، لا يقدر عند علماء الحفريات وعلماء مقابله الأديان، ولا شك أن اللفائف المكتشفه ذخيرة نافعة في بابها، ولكنها لاتضيف إلى معلوماتنا عن حقائق الرسالة المسيحية، ولا تخرجنا بشئ جديد في أمر هذه الرسالة >>

انظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية (توحيد وأنبياء) المجلد الأول، ط ١، ص ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠ باختصار

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٩١

المسألة الثالثة :

موقف اليهود من معجزاته (١) عليه السلام:

يعتمد اليهود في حديثهم عن معجزات السيد المسيح عليه السلام في دائرة معارفهم اليهودية على الأناجيل الأربعة!! فينقلون منها ما شاؤوا وأحياناً يشيرون إلى ذلك ويعلقون عليه.

ويتهمونه عليه السلام بأنه ساحر وأنه تعلم السحر في مصر، وأنه قد عاد سراً إلى القدس، وأنه قد تعلم اسم (الإله الأعظم) والذي به استطاع القيام بمعجزاته، وقد وافق ما جاء في دائرة المعارف اليهودية في هذا الموضوع ما وجدته أثناء بحثي في كتاب ألف بالعبرانية وترجم إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان (ولادة يسوع) في الحديث عن رأي اليهود في معجزاته عليه السلام.

وقد احتوت هذه النصوص على تهمة باطله ضد السيد المسيح عليه السلام وأن معجزاته التي قام بها لم تكن إلا لأنه قد اختلس و تعلم الكلمة (التي لا يجوز لفظها) كما يعبرون عنها والتي هي بمزلة السحر والتي قد اختلسها و تعلمها في المعبد اليهودي، وأنه ابن الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - كما ويزعمون أنه قد احتال على الملكة هيلانه باحياء ميت أمامها فأيدته وآمنت به، وعندما علم أساتذة المعبد بذلك لقنوا يهوذا الاسخريوطي تلك الكلمة السحرية ليتفوق على يسوع، وأحضرا كلاهما أمام الملكة حيث تمكن الاثنان من الارتفاع عالياً في الهواء فاستطاع يهوذا الارتفاع فوقه ثم بال عليه!! فسقط يسوع على

(١) المعجزة: أمر خارق للعاده داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله تعالى.

الأرض، وحكمت عليه الملكة بالإعدام، ولكنه أخذ وسُجن، ثم استطاع تلاميذته إخراجه من السجن والهروب به، ولكن يهوذا استطاع بعد ذلك أن يسلبه تلك الكلمة السحرية والتي يعبرون عنها بالكلمة (التي لايجوز لفظها)!! فانتهت بذلك معجزاته.

وفيما يلي أنقل ترجمة النص الفرنسي من كتاب (ولادة يسوع).

>> هرب يسوع إلى القدس، وهناك في المعبد تعلم الكلمة التي لايجوز لفظها، وكان على باب المعبد كلاب تنبح فتتسي الخارج الكلمة إياها، وقد عمد يسوع إلى كتابة هذه العبارة على قطعة جلديه خاطها على فخذه قبل الخروج من المعبد تفادياً لنسيانها، وقد جمع حوله في بيت لحم أصحابه من اليهود وادعى أنه المسيح وابن الإله، وليعطي وزناً أكبر لأقواله كان يقوم بالعجائب ويشفي المرضى من عرج وبرص باستعماله تلك الكلمة (التي لايجوز لفظها). أخذ يسوع بعدها لمواجهة الملكة هيلانه حاكمة اسرائيل واتهم بالخداع والاحتيال، ولكن يسوع احيا ميتاً أمام الملكة، فما كان منها إلا أن أيدته وآمنت به، فذهب بعدها إلى الجليل حيث قام بعدة عجائب زادت عدد أتباعه زيادة كبيرة.

وعندما علم اساتذة المعبد بذلك قاموا بتلقين الكلمة التي لايجوز لفظها إلى يهوذا الاسخريوطي أحد تلامذة يسوع !! بحجة المضاربة عليه والقيام بعجائب مماثله، وقد أحضر كلاهما للمثول أمام الملكة حيث تمكن يسوع من الارتفاع عالياً في الهواء، فما كان من يهوذا إلا أن ارتفع أكثر منه وبال عليه، فسقط يسوع على الأرض، فحكمت عليه الملكة بالإعدام وسلمته إلى أساتذة المعبد

الذين أخذوه إلى طبريا وسجنوه هناك، ولكنه كان قد اقنع تلاميذه بأن المصائب التي تلحق به ماهي إلا ما كتب عليه منذ بدء العالم، فما كان من تلاميذه إلا ان تخاصموا مع أساتذة المعبد وأخرجوا يسوع من السجن وهربوا به إلى أنطاكية، من أنطاكية ذهب إلى مصر، ولكن يهوذا الذي استطاع أن ينضم إلى تلاميذه مرة ثانية استطاع أن يسلبه الكلمة التي لا يجوز لفظها >> (١).

أما دائرة المعارف اليهودية فقد أوردت كلاماً مشابهاً لما ورد في كتاب (ولادة يسوع) والذي أُلِف باللغة العبرية دون أن تذكره كمرجع لها.. وفيما يلي ترجمة لما ورد في دائرة المعارف اليهودية من اللغة الانجليزية:

>> وكما ذكر في التلمود أن عيسى قد تعلم السحر من مصر، وقام بالمعجزات بواسطة هذا السحر، وقد طور ذلك السحر لاحداث المعجزات، ولكن لم يذكر طبيعة الأعمال السحرية التي قام بها، وقد ذكر بان حوارى عيسى شفوا المرضى باسم عيسى بن باندرا، ويمكن القول بأنه قد أُعْتُبرت معجزات عيسى بأنها شفاء بطريقة إعجازية أيضاً، والكهانه والشعوذة التي نسبت إلى عيسى تختلف عن السحر.

وعندما طرد عيسى من اساتذة المعبد يقال بأنه عاد سراً من الجليل إلى القدس حيث سرق الرق (جلد خفيف يكتب عليه) والذي كتب عليه اسم الله الأعظم والذي كان تحت حراسة في المعبد واخفاه، ويقال بأنه قام بعمل معجزاته

(١) انظر كتاب *Jesus De Naszreth*

تأليف *Joseph Klausner*

نقله من العبرية إلى الفرنسية *M.R. Lavilie* طبع سنة ١٩٣٣م، ص

باستعمال هذا الأسم، وقد تطوع يهوذا الاسخريوطي للقيام بالسحر، لذلك فقد نشبت معركة جوية بين عيسى ويهوذا، والتي انتصر فيها يهوذا وهرب عيسى بعد ذلك.

والإتهام بالسحر كثيراً ما وُصف به عيسى، حتى أن بعض المسيحيين المضالين المبتدعين نظروا إلى مؤسس ديانتهم كساحر، كما كان الرأي العام لروما اتهام جميع المسيحيين بأنهم سحرة، كما اعتبر رسل عيسى من السحرة، ولم يكن هذا الاتهام ولا ذلك الاتهام المتعلق بولادة عيسى قد ذكر في الأناجيل القانونية، ولكن في التقارير الغير قانونية الغير معترف بها <<(١)

ونحن إذ ننزه نبي الله عيسى عليه السلام عما قاله ويقول به اليهود فيه نقول: بأن معجزاته عليه السلام بتأييد ونصر وإذن من الله جلّ وعلا فالعقيدة الإسلامية في أنبياء الله تعالى هي العقيدة الحقّه وهي العقيدة الوسط فلا إفراط ولا تفريط. فهو عليه السلام كغيره من أنبياء الله تعالى المصطفين الأخيار بل هو من أولي العزم من الرسل، وقد أيده الله تعالى بنوع من المعجزات تناسب أهل زمانه، قال تعالى: {إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني، وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين} (٢)

(١) انظر: ص ١٧٠، ١٧١ ج ٧، *Jewish Encyclopedia*

(٢) سورة المائدة : آية ١١٠

انظر: ص ٣٣٠ من هذه الرسالة وما بعدها.

وكما ذكرت - فيما سبق - فإن اليهود يتهمون السيد المسيح عليه السلام بأنه ساحر، وأنه قد تعلم السحر في مصر وفيم يلي ترجمة للنص من دائرة المعارف اليهودية:

>> وقد قام عيسى بجميع معجزاته بواسطة السحر، وهذه المعجزات لم تكتب بطريقة خاصة في التلمود، وقد ذكر بعض منها في الأناجيل مثل شفاء الأعرج والأعمى والمجدوم، وهذه تختلف بطبيعتها ولو أنها تعتمد على الأناجيل مثل قصة مشي المسيح على البحر فوق حجر رحي ثقيله >> (١)

>> وهناك معجزات أخرى عُرفت عن طريق تقارير مشكوك في صحتها مثل القصة بأن عيسى خلق من الطين أو الرخام كهيئة الطير، وأوجد الحياة فيها، وهذه القصة موجودة في (انجيل توماس) وفي القرآن، وهذه الأساطير قد ضخمت في (To Le Dot) المتأخر وإن كانت تدور حول نفس الموضوع >> (٢)

(١) انظر: (To Le Dot) طبعة Wagenseil، ص ١٤

نقلا عن: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٢

(٢) ويشير إلى موضع من متى: >> فلما عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت، فعرفه رجال ذلك المكان فأرسلوا إلى جميع تلك الكوره المحيطة وأحضروا إليه جميع المرضى، وطلبوا إليه أن يلمسوا هذب ثوبه فقط، فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء >> ١٤ : ٢٥-٢٦

ويشير إلى موضع آخر من متى: >> ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يُعلق في عنقه حجر الرحي ويغرق في لجة البحر >> ١٨: ٦ ومن الملاحظ أن النص الأول صحيحاً في الاستشهاد نوعاً ما، أما النص الثاني فلا علاقه له بما جاء في نص دائرة المعارف اليهودية.

To Le Dot أحد أجزاء التلمود، انظر: نفس المرجع السابق.

وتضيف دائرة المعارف اليهودية: >> وخوارق العادات التي أُدعي أن عيسى قام بها ماهي إلا مجرد أقوال ذكرت في إنجيل يوحنا >> (١)

>> وكثير من الحوادث قد اخترعت فعلاً خصوصاً في متى، لكي يطابق التنبؤات لتجعل منه شخصية المسيح نفسه أو ما مثلها حواريه، ومع ذلك أن الأمور الخارقة للطبيعة في حياة عيسى التي جاءت في الأناجيل قد حُصرت في اصغر بُعد، وتتكون أساساً من حوادث وتصرفات قُصد بها دعم تلك التنبؤات وتدعيم مركز المسيحية، وهذا ينطبق - خصوصاً - على قصة الولاده من عذراء وهي أسطورة شائعة في كل أبطال الأساطير، والتي يُقصد فيها عظمة وتفوق البطل على غيره من الناس، كما أن الإدعاء الغير ثابت رجوع نسبه إلى داود من خلال يوسف، والتي اعتمدت على نسبتين للنسب لانتفقان متى [١] لوقا [٣] >> (٢)

(١) ولم يشر إلى أي فقره أو أي اصحاب في إنجيل يوحنا.

انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦٠

(٢) ولم يشير إلى أي فقرة في متى أو في لوقا، ولعله يقصد الفقرة الأولى من الاصحاح: > كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم.. الخ < متى ١ : ١-٢ ولعله يقصد من لوقا الفقرة التالية: >> ولما ابتدأ يسوع كان له ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متشات بن لاوي .. بن متاثا بن ثاثان بن داود.. >> انظر لوقا ٣ : ٢٣-٣٨ وكما ذكرت دائرة المعارف اليهودية أن النسبتين لنسبه في الإنجيلين المذكورين لانتفقان.

ومن الواضح أن هذا النص من دائرة المعارف اليهودية ينفي معجزاته عليه السلام بطريقة غير مباشرة، كما ينفي ولادته من العذراء!! ويذكر بأنها أسطورة شائعة في كل أبطال الأساطير.

انظر: المصدر السابق، ص ١٦١

>> وبدلاً من أن يعيش في البريه مثل يحيى أو ايسينس^(١) التي كانت ميوله تشبه ميولهم عاد إلى موطنه الأصلي، وبحث عن أولئك الذي كان يتمنى أن يؤثر فيهم، وقد تصادف أن تكونت عنده قوة جباره للشفاء، شخص مريض بالحمى^(٢)، وآخر مجذوم^(٣)، ومشلول^(٤)، وذو صرع^(٥) شفي بواسطته، ولكن معظم نشاطه منصب لإخراج الشياطين، وقد كان الطب الشعبي في ذلك الوقت يفيد في شفاء الأمراض العصبية والنفسية، ويظهر أن عيسى كان يشارك الاعتقاد المعاصر لليهود بالإيمان الغيبي لوجود الشياطين أو الأرواح الشريرة،

-
- (١) أي النساك مفرداً ناسك.
- (٢) ويشير إلى موضع في مرقس: >> وكانت حماة سفعان مضطجعه محموه، فللوقت أخبروه عنها، فتقدم وأقامها ماسكاً بيدها فتركها الحمى حالاً وصارت تخدمهم << مرقس ١ : ٣٠-٣٢
- (٣) ويشير إلى موضع في مرقس فبحثت ووجدت النص الآتي: >> فأتي إليه أبرص يطلب إليه جائياً وقائلاً له إن أردت تقدر أن تطهرني، فتحن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر، فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر << ١ : ٤٠-٤٣
- (٤) ويشير إلى موضع في مرقس أيضاً: >> ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج، لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك، قام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط << ٢ : ١٠-١٢
- (٥) ويشير إلى ٩ : ١٥-٢٩ دون أن يذكر في أي الأناجيل فبحثت في مرقس فوجدت مايلي: >> فأجاب واحد من الجمع وقال يامعلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس وحينما أدركه يمزقه فيزبد ويصر بأسنانه ويبيس << ٩ : ١٧-١٨ >> فلما رأى يسوع أن الجمع يتراكمضون انتهر الروح النجس قائلاً له أيها الروح الأخرس الأصم أنا آمرك، اخرج منه ولا تدخله أيضاً، فصرخ وصرعه شديداً وخرج.. فأمسكه يسوع بيده وأقامه فقام << ٢٥: ٢٧-٢٨

وأكثر معجزاته في الشفاء تضمنت إخراج الشياطين بإصبع الإله^(١) أو بروح الإله^(٢)، ويظهر أنه كان يعتقد أن الأمراض كانت تعود إلى الشياطين^(٣)، وكانت من وظائفه الرئيسية التي انتقلت منه إلى حواريه القوة على إخراج الأرواح النجسه والتخلص منها^(٤)، وكان تفوقه على أتباعه قد ظهر باستطاعته التخلص من الشياطين بينما فشل الأتباع في ذلك^(٥).

ومن الصعب معرفة مقدار الحقيقة في معجزة الشفاء، والتي سجلت بعد أربعين عاماً من حدوثها، ولكن مما لا شك فيه أن الحماس الفكري من تأثير

(١) ويشير إلى موضع في لوقا: >> ولكن ان كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله << ٢٠:١١

(٢) ويشير إلى موضع في متى فبحثت مكان إشارته فوجدت مايلي: >> ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله << ٢٨:١٢

(٣) ويشير إلى موضع في لوقا: >> ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان، وكانت حماة سمعان قد أخذتها حمى شديده فسألوه من أجلها، فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها في الحال قامت وصارت تخدمهم << ٤ : ٣٩-٣٨

(٤) ويشير إلى موضع من الإنجيل المنسوب إلى متى: >> ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسه حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف << ١:١٠

(٥) ويستشهد بنص من مرقس: >> ولما جاء التلاميذ رأى جمعاً كثيراً حولهم وكتبة يحاورونهم، وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيروا وركضوا وسلموا عليه، فسأل الكتبة بماذا تحاورونهم، فأجاب واحد من الجمع وقال يا معلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس، وحيثما أدركه يمزقه فيزبد ويصر بأسنانه ويبيس، فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدرُوا << ٩ : ١٨:١٤

عيسى كان له تأثير جزئى أو وقتى لعلاج الحالات والأمراض النفسيه، وهذا مما يؤكد الانطباع بين أولئك الذين شهدوا الشفاء، وبين حواريه على أن له قوة خارقه للعادة، وقد كان هو نفسه لايميل إلى المبالغه في إعجازه في الشفاء، وهذا يظهر واضحاً في حالة إبنة بايرس، فقد أعلن بوضوح بأن الصبيه التي أحيها لم تمت ولكنها كانت نائمة >> (١)

وتواصل دائرة المعارف اليهودية حديثها عن معجزات المسيح عليه السلام فتقول: >> ولما سجن يوحنا المعمدان تولى عيسى عمل سيده كواعظ ومبشر للتوبه وذلك لقرب مملكة الله (٢)، وقد اختار بحيرة جينسارت (٣) الجميلة كميدان لنشاطه.. وقد كان نشاطه الرئيسي هو شفاء الذين التمسوا بأرواح شريره نجسه

(١) ويستشهد بنص من إنجيل مرقس: >> وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجتمع قائلين ابنتك ماتت، لماذا تتعب المعلم بعد، فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال لرئيس المجمع لاتخف آمن فقط، ولم يدع أحداً يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب، فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجا يبكون ويولولون كثيراً، فدخل وقال لهم لماذا تضحجون وتبكون، لم تمت الصبيه لكنها نائمة، فضحكوا عليه، أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبيه وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبيه مضطجعه، وأمسك بيد الصبيه وقال لها طليثا قومي الذي تفسيره ياصبيه لك أقول قومي، وللوقت قامت الصبيه ومشيت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة، فبهتوا بهتاً عظيماً، فأوصاهم كثيراً أن لايعلم أحد بذلك وقال أن تُعطى لتأكل >> مرقس ٥ : ٣٥-٤٣

انظر: Jewish Encyclopedia, ج ٧، ص ١٦١، ١٦٢

(٢) ويستشهد مؤلفوا الدائرته بنص من إنجيل مرقس فبحثت مكان إشارتهم فوجدت مايلي: >> وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل >> مرقس ١: ١٤

(٣) وهي ما يطلق عليها بحر الجليل أو بحر طبريه وهو الاسم المشهور به بين العرب، وهي بحيرة عذبه تستمد مياهها من نهر الأردن.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٦٦

والذين تجمعوا في المعابد غروب يوم السبت^(١)، وحيثما تجول في الجليل وسوريا اتبعه الناس^(٢) يحضرون له المرضى والمجانين، وأصحاب الصرع والمشلولين لشفائهم، وقد كان يخرج الأرواح الشريرة بجزهم^(٣) بكلمة سحرية^(٤) وفي بعض الأحيان شفى المصابين بمجرد لمسه من يده^(٥) أو بقوة تبعث منه إلى أهذاب ثوبه^(٦)، أو استعمال الرقيق بوضعه على العضو المصاب مع الهمس، وبنفس قوة الرقية استطاع إخراج مجموعة كبيرة من الأرواح الشريرة وعددهم ٢٠٠٠ من

(١) ويستشهد أيضا بنص من مرقس: <<ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين، وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب، فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه >> ١ : ٣٢-٣٤

(٢) ويشير إلى نص من متى: <<وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم >> متى ٤ : ٢٣-٢٤

(٣) ويستشهد بنص من إنجيل متى: <<فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة >> متى ١٧: ١٨

(٤) ويشير إلى موضع من متى <<فأجاب قائد وقال يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي، لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي >> متى ٨: ٨

(٥) ويشير إلى موضع من متى يقول: <<وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً إن ابنتي الآن ماتت لكن تعالى وضع يدك عليها فتحيها >> ١٨: ٩ فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها، فقامت الصبية، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها >> ٩ : ٢٥-٢٦

(٦) ويستشهد بنص من متى أيضاً: <<وإذا امرأة نازفة دم منذ اثنتي عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هذب ثوبه، لأنها قالت في نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت، فالتفت وأبصرها فقال ثقي يا ابنة إيمانك قد شفاك، فشفيت المرأة من تلك الساعة >> ٩ : ٢٠-٢٢

رجل مجنون من نزلاء المقابر وجعلهم يدخلون في قطيع من الخنازير^(١) وقد كانت هذه الأعمال الإعجازية هي التي اكتسبته لقب النبي^(٢) وفي الحقيقة أن هذه القوى الخارقة للعاده التي كانت لديه جعلته يعتقد بان له سلطه وقوة على جميع الشياطين وأن مملكة الله ستكون قريبه^(٣) وأن هذه القوى أعطيت للحواريين - أيضاً - لممارستها فقط في التبشير بمملكة الله^(٤) وقد كان أولئك بالنسبة له الإثبات الرئيسي لمسيحيته^(٥)، وقد كانت مقدرته على إزالة الآلام

(١) ويستشهد بنص من لوقا: >> ولما خرج إلى الأرض إستقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور، فلما رأى يسوع صرخ وخر له وقال بصوت عظيم مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي اطلب منك أن لا تعذبني، لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان لأنه منذ زمان كثير كان يخطفه، وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً، وكان يقطع الربط ويساق من الشياطين إلى البراري.. وكان هناك قطيع خنازير كثيره ترعى في الجبل فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم، فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة واختنق، فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى وجاءوا إلى يسوع فوجدوا الإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع فخافوا << لوقا ٨: ٢٦-٣٥

(٢) ويشير إلى نص من الإنجيل المنسوب إلى متى: >> فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصره الجليل << ١١: ٢١

(٣) ويستشهد بنص من لوقا: >> ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله << ١١: ٢٠

(٤) ويشير إلى نص من لوقا: >> ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوةً وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى << ٩: ١-٢

(٥) ويستشهد بنص من لوقا أيضاً >> في تلك الساعة شُفي كثير بين من أمراض وأدواء وأرواح شريره، ووهب البصر لعميان كثيرين، فأجاب يسوع ==

جعلته يعتبر نفسه قد أرسل إلى خراف بني إسرائيل الضاله وبنفس هذه الروح أرسل تلاميذه لشفاء المرضى في كل مكان ومع ذلك استبعاد الوثنيين من هذه المنافع^(١) وهناك معجزات أخرى نسبت إلى عيسى مثل إطعام الخمسة آلاف، والأربعة آلاف^(٢) ربما تكون أخذت واقتبست من معجزات موسى، وإحيائه الموتى قد اقتبست من معجزات الإشع^(٣)... وعندما كان يقوم بمعجزاته كان برابطته وتعاونه مع الشيطان أو الأرواح الشريرة بدلاً من أن تملأ هذه

== وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما، إن العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبصر يُطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيَّ >> ٢٣-٢١:٧

(١) ويستشهد بنص من متى >> هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالـه >> ١٠ : ٥-٦

(٢) ويشير إلى نص من مرقس : >> فأجاب وقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا له أتمضى ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا، فقال لهم كم رغيفاً عندكم، اذهبوا وانظروا ولما علموا قالوا خمسة وسمكتان، فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر، فاتكأوا صفوفاً مئة مئة وخمسين خمسين، فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك ثم كسر الأرغفة وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم وقسم السمكتين للجميع، فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفع من الكسراثني عشرة قفة مملوءة ومن السمك وكان الذين أكلوا من الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل >> ٦ : ٤٤:٢٧

(٣) ويشير إلى نص من لوقا ولكن ليس هناك ما يشير إلى أن معجزاته هذه قد أخذت أو اقتبست من موسى أو الإشع أو أي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. >> فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة، فلما رآها الرب تحن عليها وقال لها لاتبكي، ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال أيها الشاب لك أقول قم، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه >> لوقا ٧ ١٢-١٥

بالروح القدس >> (١)

وكما يلاحظ القارئ الكريم أن هذه المعجزات الكثيرة المنسوبة إلى المسيح عليه السلام والتي قد وردت في أناجيل النصارى الأربع المعتمدة، والتي قد اعتمدت ونقلت منها دائره المعارف اليهودية عندما تحدثت عن موقفهم من معجزاته عليه السلام.

ونحن المسلمين إذا كنا لانصدق ولانكذب ما ورد في الأناجيل من معجزاته عليه السلام والتي لم تذكر في القرآن الكريم إذ لا يوجد لدينا ما يثبت أو ما ينافي ذلك، واتباعاً لما ورد عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم >> لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية >>، أخرجه البخاري في صحيحه (٢)

وننتقل من دائرة المعارف اليهودية إلى أحد مولفي اليهود المشهورين في

(١) ويستشهد المؤلف بنص من مرقس : >> وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبول، وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين: ولكن الفقرات اللاحقه بنفس النص السابق توضح رده عليه السلام على إتهامهم هذا فيقول: >> فدعاهم وقال لهم بأمثال كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطانا، وإن انقسمت مملكة على ذاتها لاتقدر تلك المملكة أن تثبت، وإن انقسم بيت على ذاته لايقدر ذلك البيت أن يثبت، وإن قام الشيطان على ذاته وانقسم لايقدر أن يثبت بل يكون له انقضاء >> ٣ : ٢٢-٢٦

انظر : Jewish Encyclopedia, ج ٧، ص ١٦٧ ، ١٦٨

(٢) انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدرالدين العيني كتاب (تفسير القرآن الكريم) ج ١٨، ص ٩٣-٩٤

القرن السابع عشر والمعروف (بابن كمونه اليهودي)^(١) حيث تحدث عن النبوات في كتابه (تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية، والمسيحية، والإسلام) وأنقل هنا مذكره عن رأيه كيهودي في معجزاته عليه السلام إذ يقول:

>> ثم جميع ماينقلونه عن السيد المسيح من المعجزات وغيرها فهو عن الأفراد الذين هم أصحابه، فلا يكون متواترا ولا موثوقا اليه، وبتقدير صحة النقل فهو غير بعيد في العقل أن يكون واقعا بالحيل أو بالمواطاة عليه، وإذا لم يثبت صحة نقلهم لم يتحقق مادعوه من كونهم علموا بالضرورة من رأي الحواريين والسيد المسيح أن شريعتهم لا تنسخ >>^(٢)

ثم يضيف إلى مذكره في موضع آخر قوله: >> والحق أن مانقل عن أصحاب السيد المسيح من المعجزات لا نسلم أنه على وجه التواتر الذي هو موجب لليقين، كتواتر وجودهم ووجود المسيح

(١) اسمه سعد بن منصور بن كمونه كان عالما بالقواعد والقوانين المنطقية، شرح كتاب الإشارات لابن سينا، وكان من المدافعين عن اليهودية، وفي كتابه هذا حاول التصدي لأسس الديانات الثلاث منها الإسلام بالنقل عن اليهودية، وعدم انطباق شروط النبوة على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، الأمر الذي أثار حفيظة الجماهير عليه فهاجمت داره عقب صلاة الجمعة، وساعده الحكام على الهرب من بغداد
انظر : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د/عبد المنعم الحفني، ط١، ص ٣٤-٣٥

أيضا: تنقيح الابحاث للملل الثلاث لابن كمونه، ط، دار الأنصار، ص ١١٢

(٢) ط دار الأنصار ص ٦١، ٦٢

وصلبه^(١)، بل هو من قبيل ما ينشر فيشتهر فيشتبه بالمتواترات ولا يكون متواترا على الحقيقة.

وأما كون معجزاته لا يمنع العقل أنها واقعة بالحيل والمواطاة عليها، فهم يدعون تحققهم أن ذلك التحيل وتلك المواطاة مما لم يكن ولم يقع، بل وإنه غير محتمل الوقوع، وإن لافرق في عدم احتمال الحيلة بينها وبين معجزات موسى عليه السلام، كانشقاق البحر وما يجري مجراه، فإن من أحياء وأبرأه لم يقع شك في موته ومرضه، ولهم أن يستدلوا على صحة ذلك بأنه لو كان مشكوكا فيه لاشتهر بين أعدائه من اليهود أو غيرهم في زمانه ولو اشتهر في ذلك الزمان لنقل، وحيث لم ينقل، بل نُسبه بعضهم إلى السحر، أو إغانة الشيطان عليه، أو إلى تعلم الإسم الأعظم، على أنهم قد كانوا متيقنين من الحيل والتواطؤ عليه، وهذا اقناعي غير مفيد لليقين^(٢)، بل عسى أن يفيد ظنا غالبا، بعد تسليم تواتر نقلهم، ولكنه إذا عضد بالنظر في جملة أحوال السيد المسيح وأحوال أصحابه في زهدهم وورعهم وتحملهم المشاق العظيمة في إقامة هذه الدعوة وانتظام أمور هذا الدين

(١) لا أدري كيف تواتر صلبه عليه السلام عند ابن كمونه اليهودي؟! هل ذكرت توراته المحرفة ذلك؟! وحسب علمي فأن كتاب العهد القديم ككل لم يصرح بشئ عن السيد المسيح عليه السلام علاوة عن أن يتواتر فيه شئ عنه وكما ذكرت ذلك في الفصل الأول من هذا البحث، إذا بقي التساؤل ويبقى الاستفهام كيف تواتر صلبه عليه السلام عند ابن كمونه اليهودي وما هو دليله في ذلك؟!

(٢) اليقين في اللغة: العلم الذي لا شك معه وفي الاصطلاح اعتقاد الشئ بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن الا كذا، مطابقا للواقع، وهو نقيض الشك.

انظر: التعريفات للجرجاني ط ١٩٧٨م، ص ٢٨٠

إلى هذه الغاية، علم من جملة هذه القرائن أن امرهم مربوط بتأييد الهي وعناية ربانية.

وأما سائر ماذكر من كلام المخالفين فبعضه مجرد تشنيع واستبعاد، وبعضه لا يخفى على المحصل وجه دفعه ولو بتكلف (١)

ثم يضيف ابن كمونة اليهودي إلى مذكره قوله: >> وأكثر هذه الأجوبة لم أجدها في كلام النصارى ولكني أجبت بها نيابة عنهم وتتميماً للنظر في معتقدهم << (٢)

وهكذا وكما يلاحظ القارئ الكريم كيف أن ابن كمونة اليهودي ينفي الأمر ثم يثبتته، ثم يعود لينفيه!!، فهو يناقض نفسه بنفسه!!

وأما بالنسبة لنا نحن المسلمين فلدينا - ولله الحمد - كتاب الله الكريم والذي نقل إلينا عن طريق التواتر (٣) المفيد لليقين والقطع والذي قد تكفل الله تعالى بحفظه ولم يكل حفظه إلى أحد من الناس { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } (٤)، وقد ذكر الله تعالى أولى العزم من الرسل ومنهم السيد المسيح عليه السلام وللدرد على ابن كمونة اليهودي: فقد وضحت ذلك بالتفصيل عند ذكر دلائل وبراهين (معجزات) المسيح عليه السلام الواردة في القرآن الكريم (٥)

(١) انظر: ابن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملث الثلاث ص ٦٥، ٦٦

(٢) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة

(٣) هو انتقال الخبر الثابت على السنة جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على

الكذب انظر: التعريفات للجرجاني ص ٧٤

(٤) سورة الحجر آية ٩

(٥) انظر ص ٣٣٠ من هذه الرسالة وما بعدها.

المسألة الرابعة :

موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون.

وقد اعتمد مؤلفوا دائرة المعارف اليهودية - وهى حسب علمي أضخم وأكبر كتاب يتحدث عنه - اعتمدوا على الأناجيل في جميع النقاط التي تتحدث عنه عليه السلام من تعميده، ومعجزاته، وقصة القبض عليه وصلبه إلى آخر ذلك، فينقلون ماشاءوا، ويشيرون أحيانا إلى الإصحاحات والفقرات التي ينقلون منها إشارة فقط دون النقل، فاضطر إلى الرجوع إليها للتأكد من صحة إشارتهم لها، ثم أرصدها في هامش هذا البحث.

وقد تشابه عرض قصة القبض عليه وصلبه في دائرة المعارف اليهودية مع ما في كتاب (ولادة يسوع) والذي أشرت إليه - فيما سبق - ألفه أحد كتاب اليهود^(١) باللغة العبرية، ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية، واستطعت الحصول على النسخة الفرنسية، وأخذت منها ما وجدته مناسباً في موضوع بحثي هذا، وقد عرض قصة القبض عليه وصلبه - كما يزعمون - كل من كتاب (ولادة يسوع) ودائرة المعارف اليهودية في أن أحد أصحاب المسيح ويدعى يهوذا قد خانته، وأوشى به لدى الحكومة الرومانية آنذاك، وبعد الحكم عليه بالموت صلباً رفضت جميع الأشجار أن يصلب عليها بأن سقطت وتكسرت تلقائياً سوى النخلة!! في رواية كتاب (ولادة يسوع)، وسوى شجرة الكرنب!! في دائرة المعارف اليهودية، وهذا كله من غير إشارة إلى أى دليل في أى مصدر، وعندما صلب وبعد موته ودفنه سرق الجثة يهوذا البستاني أو يهوذا الاسكربوتي في رواية كتاب دائرة المعارف اليهودية، واستعملها كسد لمنع الماء من دخول حديقته!!، ونفس الرواية في كتاب (ولادة يسوع) إلا أن يهوذا البستاني قد قذفها في قناة الماء للحديقة

(١) يُدعى : Josepeh Klavsner

المجاورة!! وتدعي دائرة المعارف اليهودية زوراً بهتاناً أن القرآن الكريم قد نوه عن الإهانة التي قوبلت بها جثة المسيح عليه السلام من غير إشارة إلى أى مصدر!!!

ويدعي كتاب (ولادة يسوع) أن تلاميذ المسيح قد أوتوا في اليوم الثاني للدفن فلم يجدوا الجثة فذهبوا إلى الملكة وأخبروها بأن يسوع قد قام من الأموات، فأمرت الملكة باعدام علماء بني إسرائيل! حتى أتى أحد الكهان بعد ٤٠٠ سنة من ذلك التاريخ، واستطاع العثور على جثة المسيح وأخذها وعلقها على ذنب حصان لعرضها على الملكة واثبات الخدعه التي دبرها تلاميذ المسيح بإدعائهم أنه قام من بين الأموات.

ولا أدري كيف استطاعت تلك الملكة المدعوه (هيلينا) كما ورد في الكتاب المذكور أن تعيش حتى ٤٠٠ سنة بعد المسيح؟!!

ولا أدري كيف استطاع ذلك الكاهن العثور على جثمان المسيح؟!!
ثم كيف علم أنه جثمانه لاجثمان غيره؟!!

ويكمل القصة كتاب (ولادة يسوع) بأن تلاميذ المسيح قد انتشروا - بعد ذلك - في أنحاء العالم للتبشير..

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الفرنسي من كتاب (ولادة يسوع):

>> وقد ذهب يسوع مرة ثانية إلى القدس ليتعلم مرة أخرى الكلمة التي لا يجوز لفظها، ولكن يهوذا كان قد وشى به للأساتذة في المعبد، وأوعز لهم بأن علامة التعريف ستكون السجود أمام يسوع لتمييزه عن بقية التلاميذ الذين يرتدون نفس الملابس، وهكذا تمكن الأساتذة من توقيف يسوع مرة ثانية

وتعليقه يوم الجمعة قبل عيد الفصح على نخله، حيث أن باقي الأشجار واعتماداً على الكلمة التي أنزلت منذ البدء قد رفضت أن تُستعمل أداة لقتل يسوع. وفي اليوم نفسه، وقبل يوم السبت، قبر جسد يسوع فما كان من يهوذا البستاني إلا أن سحب الجثة من القبر وقذف بها في قناة للماء في الحديقة المجاورة!!

وعندما أتى التلاميذ في اليوم الثاني للدفن لم يجدوا الجثة في المقبره، وذهبوا إلى الملكة (هيلانه) وأخبروها بأن يسوع قد قام من بين الأموات، فما كان من الملكة إلا أن أحضرت علماء بني اسرائيل وحكمت عليهم بالإعدام، وهكذا بدأ اليهود بالبكاء والنحيب والصيام، حتى أتاهم كاهن عاش حتى ٤٠٠ سنة بعد يسوع!!، واستطاع العثور على جثمان يسوع في حديقة يهوذا!! فأخذ الجثمان معلقاً على ذنب حصان لعرضه على الملكة وإثبات الخدعه، وهكذا توزع تلاميذ يسوع بعدها على بلدان العالم ومن بينهم الاثني عشر صحابي الذين ألحقوا باليهود اضراراً بليغة >> (١)

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الإنجليزي من دائرة المعارف اليهودية: >> وقد أخذ علماء بني اسرائيل يسوع إلى معبد طبريه وربطوه إلى عمود، وعندما حضر تلاميذه لفك وثاقه جرت معركة هزم فيها اليهود، وأخذه أتباعه إلى أنطاكيه، وفي مساء عيد الفصح دخل القدس راكباً حماراً (٢) متنكراً،

(١) انظر : ولادة يسوع *Jesus De Nazareth*

المؤلف: *Josph Klausner*, ط ١٩٣٣، ص ٥٩-٦٠

(٢) ويستشهد بنص من متى > فكان هذا كله يتم ما قيل بالنبي القائل، قولوا لإبنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش بن أتان >

ولكن يهوذا أحد تلاميذه السابقين قد خانه فقبض عليه، وقد أُعدم في مساء عيد الفصح والذي كان يوافق مساء السبت أيضاً، ولم يتمكن جلادوه من شنقه على شجرة لأنه استحلف جميع الأشجار بإسم الله أن لا تقبله، ولذلك كسرت جميع الأشجار، وأخيراً قبله جذع شجرة الكرب الكبير!!^(١) ودفن في نفس اليوم حسب الشريعة، وقد بكى حواريوه المترددون على قبره، وقد بحث حواريوه عن جثته في القبر ولما لم يجدوها اتخذوا من ذلك دليلاً أمام الملكة (هيلينا) بأنه قد قتل ورفع إلى السماء، وظهر بعد ذلك بأن هنالك رجلاً يسمى أحياناً يهوذا البستاني، وأحياناً يهوذا الاسكروتي، وأحياناً سيد البستان، وقد أخرج الجثة من القبر واستعملها كسد ليمنع الماء من دخول حديقته وامتلاً قبره بالماء!!، وقد عادت السعادة إلى بني اسرائيل ثانية بعد أن أخذت الجثة للملكة في القدس، وشعر المسيحيون بالحجل.

وهناك ثلاثة نقاط تستحق الملاحظة في هذا التقرير:

١ - حقيقة أن الجثة قد سُرقت، وقد جاء في متى^(٢) أن الفريسيين طلبوا من

(١) انظر: ٩:٧ Targ Sheni to Esth

نقلا عن: Jewish Encyclopedia، ص ١٧٢، ج ٧

(٢) ويستشهد بنص من متى وهو كما يلي:

>> وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فقال لهم بيلاطس عندكم حراس اذهبوا واضبطوه كما تعلمون << ٢٧ : ٦٢-٦٤

بيلاطس أن يضع حراسة على القبر حتى لا يسرقها حواريوه ويدعون بأن عيسى قد رُفع إلى السماء، ولكن عندما انتشر خبر قيام عيسى من بين الأموات، قام الفريسيون باعطاء الرشوة لجنود الرومان ليقولوا بأن حوارى عيسى قد سرقوا جثته (١).

٢ - ماذكر عن سرقة الجثة وبأن البستاني كان خائفاً من حوارى عيسى في أن يحاولوا تخريب الحس المزروع.

٣ - الإهانة التي قُوبلت بها جثة يسوع في شوارع القدس وقد نوه القرآن عن ذلك!! (٢).

وتضيف دائرة المعارف اليهودية في موضع آخر مايلي:

>> وفي الروايات المتأخرة وجدت محاولات تؤدي إلى الإنطباع بأن عيسى كان يعرف المصير الذي ينتظره في القدس، بينما في الروايات الأولى (٣) عرف أن حواريه لم يفهموا التلميح الغامض، وهناك ما يؤيد بأن زيارته للقدس

(١) ويشير إلى نص من متى - أيضاً - > وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم < ٢٨ : ١١-١٥

(٢) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٢

(٣) ويستشهد مؤلفو دائرة المعارف اليهودية بنص من مرقس: > وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد، لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث، وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه < مرقس ٩ : ٣٠-٣٢

كانت رحلة انتحاريه مشرفه، ففي آخر لحظه في جشيماني^(١) حاول أن يقاوم القبض عليه^(٢)، فقد كانت القدس في ذلك الوقت في حالة فوضى، فقد كانت هناك محاولة انقلاب وفتنة من شخص آخر يدعى عيسى باراباس^(٣) الذي قبض عليه وكان في السجن في ذلك الوقت^(٤)، ويظهر من عادة بيلاطس

(١) كلمة آراميه معناها معصرة الزيت، وكان بستاناً فيه أشجار الزيتون ومعصرة لعصره وهو يقع شرق أورشلیم فيما وراء وادي قدرون قرب سفح جبل الزيتون، يعتقد المسيحيون أن المسيح كان يتردد إليه كثيراً طلباً للعزله وترويح النفس ولأنهم يعتقدون بأنه كان من مكان أله وتسليمه والقبض عليه. انظر قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٢٤٩

(٢) ويشير إلى مرقس ١٤ : ٤٢، فوجدت أن ما يناسب إشارته قبل ذلك بعشر فقرات: >> وجاءوا إلى ضيعة إسمها جشيماني فقال لتلاميذه إجلسوا ههنا حتى أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم نفسي حزينة جداً، حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا، ثم تقدم قليلاً وخرَّ على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة أن أمكن، وقال يا ابا الآب كل شيء مستطاع بك، فأجز عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت << مرقس : ١٤ : ٣٢-٣٦

(٣) رجل اشتهر بسفك الدماء وفعل المنكرات، ويعتقد المسيحيون أنه كان سجيناً أثناء محاكمة المسيح، وأنه كان من عادة الحكومة الرومانية أن تطلق اسيراً كل سنة في عيد الفصح ممن أرادوا، وأنه قد بلغ من إخطاط تلك الأمة في ذلك الحين أنهم طلبوا من الحاكم الروماني اطلاق باراباس المجرم وتسليم مسيحها إلى الموت على الصليب.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ١٥٧

(٤) ويستشهد بنص من مرقس: >> فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن اطلق لكم ملك اليهود، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً، فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس، فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود، فصرخوا أيضاً اصلبه، فقال لهم بيلاطس وأي شر عمل فازدادوا جداً صراخاً اصلبه، فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم اطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعدما جلده ليصلب << مرقس ١٥ : ٩-١٥

أن يأتي إلى القدس كل عام في عيد الفصح، والغرض من ذلك التصدي لأي فتنة في ذلك الوقت، والتي تنادي بخلص إسرائيل >> (١)

>> ويظهر أنه في الوقت الذي أحس فيه عيسى عن نوايا عليّة الكهنة في الحاق الضرر به لأنه بعد احتفال العشاء الأخير أخفى نفسه في حديقة جشيماني ولكن مكان اختفائه قد عرف بعد أن وشى به أحد أتباعه المقربين وهو يهوذا الاسخريوطي.

لماذا قبض على عيسى؟ لم يعرف جواب ذلك بوضوح، فحتى لو ادعى بأنه المسيح فإن هذا الإدعاء لا يعتبر جريمة حسب القانون اليهودي.

وعند تسليم السجين عيسى إلى الحاكم بيلاطس، رفض اليهود الرسميين الدخول إلى منصة الحكم باعتبارها منطقة محرمة على اليهود، على كل اظهروا إيمانهم في إدانة عيسى من الرومانيين، وأمام بيلاطس كانت التهمة الوحيدة ضد عيسى هي الثوره ضد الامبراطور ولسبب آخر يظهر ان الإدعاء بأنه ملك اليهود أو ملك السماء كان امام بيلاطس من عيسى نفسه كما ظهر في الكتابه على الصليب.

وبالنسبة لبيلاطس فمشكلة عيسى تشبه موقف مسؤول هندي وثني قدم أمامه مسلم يدعي أنه المهدي، فإذا كان صاحب هذا الإدعاء اضطراب وفتنه في المنطقه التي كان فيها، فلاشك ان المسؤول الهندي يحكم بإدانته وهذا ما فعله بيلاطس، ولكن بيلاطس تردد في إصدار الحكم، فبالرغم من أنه إدانته ولكنه

(١) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦٤

اعطاه الفرصة للحياة، ويظهر أن العاده ان يعفى عن المسجونين اليهود يوم الاعياد الرسمية، ولذلك طلب يلاطس من الغوغاء والرعاى المحيطين بحلبة الإعدام أن يختاروا للعفو احد الاثنين، عيسى الناصري، أو عيسى باراباس والذي كان قد أتهم بالثوره، ومن الواضح أن الرعاى تعاطفوا مع الثائر المجاهد ضد الرومان فطلبوا أن يعفى عنه، وتركوا عيسى الناصري الذي كان يشجع على دفع الضرائب، فتركوا عيسى الناصري لعقاب الرومانيين لصلبه مع اثنين من المجرمين، وعند الصلب رفض بكلمات قاسيه^(١) الشراب المخدر المكون من المر والخل والذي اعتادت نساء القدس تقديمه للمجرمين المحكوم عليهم بالصلب لكي يموتوا في حالة اغماء.

وقد قاسى عيسى من التعذيب الأليم للأعضاء الداخلية برباطة جأش حتى آخر لحظة حتى تلفظ في صيحة يائسة ومحنة << يا الهي لماذا خذلتي >>^(٢)، والذي يظهر أنه بالرغم من ثبات عزيمته وإرادته القوية إلا أن عزيمته قد خارت مما عاناه، وكلماته الأخيرة وما تدل عليه تدحض الإدعاءات المبالغ فيها من اتباعه بعد موته، والعقاب نفسه الذي تعرض له عيسى يدحض تلك الإدعاءات في أعين اليهود، فليس هو بالمسيح الذي يعترف به اليهود ويعاني من مثل هذه الميته

(١) ويشير إلى موضع من إنجيل لوقا: << فالتفت إليهن يسوع وقال يا بنات اورشليم لاتبكين علي بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع، حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللأكام غطينا، لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس >> لوقا: ٢٣:

٣١-٢٨

(٢) << إلهي إلهي لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي عن كلام زفيري >> مزامير

١:٢٢

السيئة > المشنوق ملعون من الله < (١) وهذا فيه إهانة لمقام الإله في علم اللاهوت، وبما أن الأناجيل التي تحتوي على معلومات قيمة كتب جميعها بروح جدلية ولغرض البرهنة على الإدعاء على مسيحية عيسى ووضعه فوق المقام البشري كان من الصعب الحكم المحايد لقصة حياته، كذلك الأمر بالنسبة للتصور المأخوذ عن عيسى من الأناجيل والذي قدمه الكتاب المسيحيون المعاصرون، والذي انتقص الجزء الإعجازي عنه لاقل مقدار ممكن، فلا يعطينا فكرة قريبة عن حقيقة عيسى << (٢).

وتقول دائرة المعارف للديانات وعلم الأخلاق حول تأثير عقيدة الصلب والفداء المسيحية على بعض الشعوب:

>> وقد حاول اليهود والمسيحيون في الدفاع عن دينهم والترغيب فيه لدى الوثنيين معتمدين على تقبل ديانتهم للعقل (٣) !!،

والدعوة إلى الفداء من المسيح لم تلعب دوراً هاماً في نشر الديانة المسيحية لدى اليونان الوثنيين، وإن كان لها بعض التأثير على جمهور الناس غير طبقة المتعلمين والمتقنين، ومنذ البداية كان لتأثير الثقافة اليونانية أثر كبير على الديانة المسيحية، أما في العهد الثاني للمسيحية خلال عهد الآباء والرسل فقد كان التأثير الاغريقي ضعيفاً << (٤).

(١) ويستشهد بموضع: من سفر التثنية: >> فلا ثبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً << تثنية: ٢٣: ٢١

(٢) انظر: *Jewish Encyclopedia* ج ٧، ص ١٦٦، ١٦٧

(٣) كيف يتقبل العقل ديانتهم المحرفة بما فيها من التعارض والتناقض فالمسيحيون مشركون ويثثون، واليهود مشبهون ومجسمون ومشركون أيضاً

(٤) انظر: ص ٨٧، ط ١٩٤٠، مجلد ٧، *Religion and ethics*

المسألة الخامسة

موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها السلام:

يظهر رأي اليهود في أم المسيح وموقفهم منها عليها السلام من خلال مؤلفاتهم الخاصة بهم ومن خلال دوائر معارفهم، ففي كتاب < ولادة يسوع > والذي ألفه أحد كتاب اليهود بالعبرانية ثم ترجم إلى الفرنسية، يزعم هذا الكتاب بأن مريم عليها السلام قد تمت خطوبتها على شخص يدعى يوحنا من بيت داود، ومع ذلك كانت معجبة بشاب آخر وسيم يدعى يوسف بانديرا!! استطاع ان يراود مريم عن نفسها فاستسلمت له وهى حائض!! ظنا منها بأنه خطيبها، ثم أخذت تلومه عندما رآته فيما بعد فعلم من حديثها معه أن شخصا آخر قد فعل معها الفاحشة!! فهرب يوحنا إلى بابل بعد أن علم بحمل مريم، فوضعت مريم الطفل فشب وكبر ودرس التوراة ولكنه شذ عن تعاليمها حتى اتفق اساتذة المجمع على أنه ابن سفاح!!، وهذا الكلام يشبه كثيرا ما جاء في التلمود كتاب اليهود المقدس كما أثبت ذلك في الفصل الأول حيث يلصق اليهود التهم المشينة والتي يندي لها الجين بسيدنا المسيح وأمه عليها السلام .

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الفرنسي من كتاب < ولادة يسوع >:

>> شخص يدعى يوحنا من بيت داود تمت خطوبته على مريم من بيت لحم، وهى ابنة أرملة كانت تعيش على مقربة من بيته عرفت بالبراءة والتزاهة، وقد أعجبت مريم بشاب وسيم يدعى يوسف بن بانديرا، استطاع في ليلة السبت، وهو يوم مقدس عند اليهود ان يراود مريم عن نفسها، وظنا منها بأنه

خطيبها يوحنا استسلمت له وهى في حالة الحيض، وقد تعجبت لهذا العمل الذي أقدم عليه شخص معروف بالتقوى والزاهة.

وقد أثبتت مريم يوحنا على فعلته هذه عندما رآته - فيما بعد - فعلم عندئذ أن شخصاً آخر قد قام بهذا العمل فأخبر يوحنا الحاخام شمعون بن يشطاع بان لديه شك بشخص بانديرا، وبفعلته، ثم هرب يوحنا إلى بابل عندما حملت مريم لعدم قدرته على إثبات أبوة الجنين.

وضعت مريم الطفل وأسمته يشوع على اسم خالها، وقد تعلم يسوع التوراة على أيدي أساتذة معروفين وبرز في هذا الميدان وإن يكن شذ عن هذه التعاليم فقد كان يمر أمام أساتذته دون أن يضع غطاء على رأسه، فاتفق اساتذة المجمع على أنه ابن سفاح!! وغير طاهر >> (١)

أما دائرة المعارف اليهودية فتقرر أن الاختلاف الجوهرى بين المسيحية واليهودية هو عبادة مريم العذراء، وأن اليهودي يكره فقط عبادة مريم العذراء خاصة في العصور الوسطى... فيما يلي أنقل ترجمة لنص الدائرة من اللغة الإنجليزية:

>> والاختلاف الجوهرى لبعده المسيحية من اليهودية هو عبادة مريم العذراء كأم لله، فالمجتمعات المسيحية والكتابات في العهد الجديد ترحب بهذه الفكرة التعبدية وتؤيدها، فاليهودي يكره فقط عبادة مريم في العصور الوسطى،

وهذه العبادة لا تختلف عن عبادة ايزيس^(١) وابنها حورس.. <<(٢)
>> والقصص التي لها علاقة بعباسي وجدت في الأساطير المحمدية^(٣) فبينما
أكدت براءة مريم بشدة فقد وجد كلام مماثل ومشابه جدا للقصص اليهودية،
مما يدل بأن هذا الموضوع قد أخذ بكل تأكيد من اليهودية ووضع في
القرآن <<(٤)

(١) إلهة الحكمة والتشريع والسحر احد آلهة المصريين القدماء والتي تعتمد
عليها العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين.

انظر: مقارنات الأديان (الديانات القديمة) للإمام ابو زهره، ط دار الفكر،
ص ١٠

(٢) انظر : *Jewish Encyclopedia*، ج ٦، ص ٥٣

(٣) ليست أساطيراً وإنما هي رسالة وحقائق موحى بها من الله تعالى ومترلة
على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٧٣

ولكن ما الذي يؤكد بأن موضوع تبرئة مريم عليها السلام قد أخذ من
القصص اليهودية ووضع في القرآن الكريم والعكس هو الصحيح، فالكتب
المقدسة اليهودية ومنها التلمود، وكذلك المؤلفات ودوائر المعارف
اليهودية، تلصق بالمسيح وامه عليهما السلام أبشع التهم وأفظعها وكما
وضحنا في هذا الفصل والفصل السابق.

المسألة السادسة :

مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني

ومما يجدر ذكره هنا أن اليهود كانوا ولا زالوا ينتظرون مسيحاً يأتي ويخلصهم من الولايات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، والذي سيأتي ويحكم ويكون مملكة كبيرة لليهود ويشتركون معه فيها.

ففي سفر أشعياء مايلي:

>> لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته، ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيره رب الجنود نصنع هذا >> (١)

ويعتقد بعض الباحثين (٢) أن عقيدة المسيح عند اليهود هذه قد نتجت من عقيدة أخرى سابقة لها وهي عقيدة الإختبار والإمتياز لشعب بني إسرائيل على جميع الشعوب كما تنص على ذلك توراتهم إذ تقول:

>> أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب، تكونون لي قديسين لأنني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي >> (٣)

(١) ٩ : ٦ - ٧

(٢) انظر: أ.د. أحمد شلي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

(٣) لاويون ٢٠ : ٢٤ ، ٢٥

>> إنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم >> (١)

>> فإن اليهود وجدوا أنفسهم لآخرة البشر كما زعموا، ولاصفوة الخلق كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانه التي ينعم بها الآخرون، وإنما كانوا هدفاً للبلايا والنكبات، ومن هنا اتجه مفكروهم في عصورهم المتأخرة إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوحده ويضعهم في المكانه التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص [المسيح المنتظر] ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد >> (٢).

وقد كتب أحد الاساتذة بالجامعة العبريه بالقدس الشريف مقالاً - ضمن مجموعة مقالات نشرتها مكتبة العلوم بالقدس باللغة العبريه عام ١٩٥٥م - يقارن فيه بين المسيح اليهودي والذي لازال اليهود ينتظرونه، والمسيح النصراني أي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

ومن هذه المقارنة - والتي سأنقل نص ترجمتها من اللغة العبريه فيما يلي - نستطيع أن نستنتج رأي اليهود وخاصة المحدثين منهم في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

(١) تثنية ٧ : ٦-٨

(٢) James Hosmer: The Jwes, ص ٨٥،

نقلا عن : د. أحمد شلي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

ويُفهم من مقاله هذا بأن المسيح اليهودي بشر ككل البشر فهو من بني آدم وهو منقذ عظيم يأتي لينقذ شعب إسرائيل بشكل خاص في الأيام الأخيرة للدنيا، كما أنه سينقذ العالم كله من الإخفاف والحروب وبأيامه سيعم السلام على العالم كله، وسيعم الرخاء والإزدهار وستخرج الأرض - في أيامه - فواكه وطيبات يسعد بها الانسان كثيراً ولن تنتهى أبداً، وأن العالم كله سيعترف بإسرائيل!! وبالتوراه وبملك المسيح اليهودي، وسيكون إله إسرائيل إله للعالم كله - كأن لبني إسرائيل إلهها خاصاً بهم وللعالم إلهها خاصاً به!! فهذا اعتقاد صريح بالشرك والعياذ بالله (١)

ولم يتحدث كاتب المقال كثيراً عن المسيح النصراني، ولكنه يؤكد اعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام وأنه مات مصلوباً عقاباً لتمرده وتجديفه (٢)

(١) وهذا ليس بغريب عليهم فقد عُرفوا بالشرك في تاريخهم الطويل، فعبدوا العجل { ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون } البقرة: ٩٢، ثم سألوا موسى أن يروا الله جهرة!! {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتيناهم موسى سلطاناً مبيناً} النساء: ١٥٣

ثم إنهم بعد خروجهم من مصر إلى صحراء سيناء طلبوا من موسى عليه السلام ان يجعل لهم أوثاناً يعبدونها عندما رأوا أناساً عاكفين على أصنام يعبدونها أو جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون { الأعراف : ١٣٨-١٣٩ (٢) نزهة عليه السلام من الإتهامات والأقوال المشينه التي ينسبونها إليه والتجديف: هو الكلام على الله تعالى بالكفر والإهانة.

وقد ذكرنا ذلك في الفصل السابق - أما النصاري فلا يخفى اعتقادهم بأنه صلب ولكن لغاية أخرى وهي تكفيره عن خطيئة البشر الأزلية والتي توارثوها عن أبيهم آدم عليه السلام عند أكله من الشجرة المنهي عنها!!^(١)

وفيما يلي أنقل نص الترجمة لذلك المقال من اللغة العبرية:

➤ الذي كان تحت عنوان [المسيح اليهودي و المسيح النصرائي]

➤ الملحوظة الأولى: إن هذا المقال يحتاج إلى كتاب لتفسيره وشرحه، ومن خلال مقال قصير أستطيع فقط أن أحدد الخطوط العريضة للمشكلة الخطيرة ونقتصر فقط على أسس مهمه بذاتها.

الملحوظة الثانية: وقد كانت هناك فترات طويلة وسنين الفرق بين هذا المسيح وذاك النصرائي. فالمسيح التابع ليسوع يختلف عن ذلك التابع لدانيال ولا يشبهه لنوعية المسيح اليهودي الذي ورد في العرائض التلمودية الأولى بالتوراه التي أتت على لسان الراميام (حاخام يهودي قديم) وبالكتب المقدسه، وهكذا الأمر بالنسبة للمسيح النصرائي، فيسوع نفسه قد فهم بعثه بصورة تختلف عن تلك التي فهمها بولس^(٢) وقد غير كهان الكنيسة تلك الصورة عما فسرهما بولس، وقد كان الكاثوليك واليونانيون والارثوذكسيون والبروتستانت الأوائل من بين هؤلاء الذين غيروا من هذا المفهوم بصورة ملموسة، وهنا أسمح لنفسني بالإعتقاد على تفسير نوعية المسيح اليهودي كما ظهر في اليهودية التلمودية الأولى، وقد عمم

(١) انظر ص ٥٢٦ من هذا البحث وما بعدها.

(٢) لترجمته انظر هامش ، ص ٣ من هذا البحث.

على كل أبناء شعب إسرائيل، أما بالنسبة لنوعية المسيح النصراني فإنني اعتمد على التسجيلات المشتركة بين طوائف النصرانية الثلاث الموجودة في الوقت الحالي. وحتى نستطيع بيان الفرق بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني فإنني أعرض الفروق فيما يأتي:

المسيح اليهودي منقذ عظيم بقوته وبروحه، ويأتي لمعرفة النجاة في الأيام الأخيرة للدنيا، وهذا الانقاذ سيكون سياسياً واقتصادياً وروحانياً لشعب إسرائيل بشكل خاص، ويعد المسيح اليهودي من بني آدم فهو بشر ككل البشر كما ورد على لسان < طه نون اليهودي > ^(١) حيث قال نحن معشر اليهود نعرف ونتوقع أن يكون المسيح بشراً من بني آدم، وهذا التعريف الإنساني للمسيح اليهودي بقي حتى يومنا هذا عالقاً بالأذهان.

وقد وردت في بعض الكتب القديمة بعض الأوصاف للمسيح اليهودي منها بن يوسف الذي سيقتل في حرب الجوج وماجوج!! ومنها مسيح بن داوود ملك السلام والذي قيل عنه بأنه لحظة ظهور ملكه سيسعى للسلام لبني إسرائيل، ومن هذه الأسماء أيضاً مسيح السلام.

ما هي نوعية نشاط مُلك المسيح اليهودي؟

إنه سينقذ إسرائيل وينقذ العالم كله من الانحراف ومن الحروب ومن

(١) انظر: *Justinus Martyr, Dialogus Cum Tryphone*

نقلاً عن مجموعة مقالات بالعبرية للبروفيسور يوسف كلورند، الناشر: مكتبة العلوم بالقدس، ١٩٥٥م، ص ٢٠٥

الكبائر، وبأيامه سيعم السلام على العالم بين الأمم، لأن جميع الأمم ستكون يهوديه في أيام هذا المسيح اليهودي، وسينقذ هذا المسيح الإنسان من الشرور والأخطار الموجوده في الطبيعه، ولن يتبقى حيات وثعابين شريره وسامه، وسيكون هناك ازدهار في هذا العالم، وستخرج الأرض فواكه وطيبات، ويسعد بها الإنسان كثيراً والتي لاتنتهى أبداً، وبالنسبة لما يتعلق بشعب إسرائيل فإنه لن يعيش حراً في أرضه فقط، ولكن سيتجمع كل ابنائه المتفرقين في أنحاء الأرض، وسيعترف العالم كله بإسرائيل وبالتوراه الصادقه، ويملك المسيح اليهودي ملك الصدق، وسيكون معروفاً أيضاً باسم ملك الأمم والشعوب كما سيكون إله إسرائيل إلهها للعالم كله إلهها واحد أحد.

وفي الصلاة التي يصلّيها شعب إسرائيل ثلاث مرات يومياً يدعون فيها بأن يسرع الإله في تصحيح أوضاع العالم!!، وبأن يمنح القوه والإزدهار لشعبه ولأرض إسرائيل والرحمه لعبده داود وتقدير ثواب المسيح!!

ولم يذكر المسيح شخصاً بعينه في كل كتب الأنبياء فقط، بل ذكر في أسفار ناحوم، صفيّنه، حبقوق، ملاخي ويوئيل ودانيال إن الله وحده هو المنقذ وليس كمثله أحد (١).

وبأسفار عاموس وحزقيال وعوبديا هناك مسيح جماعي أو عدد من المسحاء الذي ينقذون إسرائيل والعالم كله بواسطة صدقهم وحسن تصرفهم، وبأسفار حاجي وزكريا لم يرد ذكر المسيح وإنما أوصاف شخصية لا تتعدى الحدود الواقعيه وتكون من بيت داوود (٢).

(١) ، (٢) يلاحظ القارئ الكريم أن هذا اليهودي كاتب هذه المقالات مع أنه يلقب بالبرفسور، وهو أحد الاساتذة بالجامعه العبريه بالقدس الشريف إلا أنه لم يتقيد بشروط البحث العلمي فلم يذكر أرقام الفقرات ولا حتى أرقام الإصحاحات التي نقل أو اقتبس منها مقاله فأصبح كلامه عائماً هكذا.

وبأسفار دانيال ليس للمسيح شخصية خاصة وإنما هو كشعب إسرائيل عامة، وفي أغلب الكتب المحفوظة ليس هناك مسيح كشخص معين، وفي أسفار التلمود ذكر الراب هيلل^(١) أنه ليس هناك مسيح لإسرائيل، وفي كتب الراب يوسف قال إنه يكفي لليهودي أن يكون مؤمن بوطنه ودينه وينقذ بلاده، والله القديس هو وحده المنقذ والمنجز.

وهذا الاعتقاد لم يكن مقبولاً في اليهودية لأن الإيمان بمجيئ المسيح هو الأساس والمبدأ الثاني عشر من المبادئ التي نادى بها الراميام^(٢)، ولكن وضع اليهودية في هذا الوقت لا يسمح لها بالاعتقاد في المسيح المنقذ لأن المنقذ الوحيد هو الله تعالى^(٣) وأن المسيح المنقذ ما هو إلا آلة تنفيذ في يدي الله، فهو بشر من دم ولحم ككل بني البشر، وهو فقط مختار من الآدميين ومن الجنس البشري، وهو يتجلى بكل الصفات الحميمة، وهذا هو المسيح الذي يجمع بين الصفات الروحانية والجسدية في آن واحد.

(١) هو الحكيم الذي قدم إلى فلسطين من بابل، وفريقه هو الفريق السمع الودود في معاملة الأجانب، وكان شعار هيلل الاعتدال بين الزهد والمتاع وكلمته المأثورة: < إن الزيادة في اللحم زيادة في الدود > وشريعته في المعاملة إن الشريعة كلها كلمة واحدة، وهي ألا تصيب أحداً بما تكره أن تصاب به، وكل ما عدا ذلك من الأحكام المتزلة فهو تفسير وتفصيل. انظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية (توحيد وأنبياء) المجلد الأول، ط١، عام ١٩٧٠م، ص ٥٧٧، ٥٧٨

(٢) كيف يُسمح لهذا الراميام بأن يشرع ويأتي بالعقائد والشرائع ويفرضها على الناس.

(٣) لا يخفي ما في كلامه من التناقض.

القيامة^(١)، أي إن الكمال يكون فقط قبل الآخرة عندما لا يكون هناك شر، وعندما يعيش الذئب مع الكبش وعندما يعرف العالم أجمع الله تعالى، وعندما تعود أرض إسرائيل، وتتوحد الكلمة واللغة الإسرائيلية أي تعود مملكة داود، وهذا سيحدث فقط في أيام المسيح اليهودي وعلى يديه، وبعد فهذا هو المسيح اليهودي، وتلك أعماله ونشاطاته والتي ينفذها بتعاليم من ربه فهو آلة التنفيذ الربانية <<(٢).

وينتقل كاتب هذه المقالات من الحديث عن المسيح اليهودي ونشاطه إلى الحديث عن المسيح النصراني، وفي حديثه هذا يلاحظ أنه يحايي النصارى ويميل إليهم أثناء رواية عقائدهم، مع أنها تخالف عقائده كيهودي، وفي الحقيقة لا أدري ما سبب ذلك؟ ولعل سببه استمالة قلوب المسيحيين، حيث أن هذه المقالات قد تنشر في أواسط مسيحيه، أو بين علماء مقارنة أديان وباحثين مسيحيين قد يجيدون العبريه، وفي مقاله هذا الكثير من التناقض، وتضارب الأقوال، وفيما يلي نص الترجمة من العبرية إلى العربية:

(١) بعكس ما ورد في الفكر الإسلامي فإن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس والعياذ بالله كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: << ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم >>.

انظر : سنن ابن ماجه، ج ٢، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ص ٣٨٩

(٢) من كتابات البروفيسور يوسف كلورند الأستاذ بالجامعة العبريه بالقدس، من مجموعة مقالات (اليهودية والإنسانية)، الناشر، مكتبة العلوم بالقدس، عام ١٩٥٥م، ص ٢٠٤ - ٢١١ باللغة العبرية

>> أولاً : المسيح النصراني :

تعتمد المسيحية كلها على شخصية السيد المسيح، وهذا شيء لا يحتاج إلى أدلة وبراهين بدأ أبناء انطاكية التمييز بين المؤمنين بيسوع من جانب، وبين اليهود المنتظرين للمسيح، وبين اليونانيين المتدينين من جانب آخر، فلم يجدوا لتلاميذ يسوع إسما أكثر ملائمة من كلمة يونانية ترجمتها المسيح، ومن البداية كان كل الفرق بين اليهود والنصارى هو هل المسيح سيأتي مستقبلاً أم أنه جاء بالفعل، ومن خلال الأدلة والبراهين فإن المسيح قد جاء بالفعل وصُلب ورفعت روحه إلى السماء، وبهذا فإنه وبالمفهوم السياسي لم ينجح في إنقاذ شعبه إسرائيل، ومن خلال الوضع السياسي المنحدر لليهود بالزمن الغابر، وبعد الخراب والخوف من نبذ الروم تولدت عدة أفكار:

١ - إن المسيح لم يأت من أجل تحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية وإنما من أجل القضاء على الشرور الروحانية^(١)

٢ - الإنحذار السياسي هو بشكل خاص متعلق بإسرائيل والإنحراف الروحاني يعم على العالم كله، وبهذا يكون يسوع قد جاء للإصلاح في العالم كله! بدءاً بإسرائيل وطنه التي سيكون العالم كله مثلها في الطهارة والاستقامة، ولهذا فإن مملكة المسيح لن تكون من هذا العالم^(٢)

(١) ، (٢) لا يخفى ما في هذين الفقرتين من المحاباة والميل لعقائد المسيحيين إذ أن اعترافه هنا بأن يسوع جاء للإصلاح في العالم كله والقضاء على الشرور الروحانية يخالف عقائده الفاضحة في تلموده المقدس وما وُصف به هذا النبي الكريم من أوصاف يندى لها الجبين، كما بينا ذلك في الفصل السابق، انظر ص ١٥، ١٦ وما بعدهما من هذا البحث.

٣ - صُلب المسيح ومات كمتنرد خارج ليس إلا، وقد كان يسعى إلى الخير والصدق، ولهذا لم يكن كاذباً وإنما كان صادقاً مصداقاً، وإذا كان مسيحاً منقذاً فعلاً فلماذا لم يحمه الرب عندما صُلب؟ أم أنها الإرادة الإلهية حتى يكفر عن ذنوب العالم كله والإنسانية جمعاء؟ وبهذا ضمن الإنسانية من الخطأ (١)

٤ - إن الأخطاء التي حملها المسيح بأمر من ربه وصُلب تكفيراً عنها تضعه في مكان متميز بين العباد، وعند ربه سوف يُبعث أول المبعوثين ليكون قريباً من ربه (٢).

٥ - ويدعو الله المسيح بلقب : ابني إني اليوم ولدتك وقد كان يسوع في حياته كثير التحدث عن أبيه الذي في السماء (٣).

(١) قوله بأن المسيح قد صُلب هذا تأكيد لاعتقاد اليهود بصليبه عليه السلام ولكنه يعود ليحايي المسيحيين في عقائدهم بمدحه عليه السلام بقوله: إنه كان يسعى إلى الخير والصدق - على خلاف اعتقاده - وقد تكون كلمة حق يراد بها باطل، ثم يعود ليناقض نفسه بالاستفهام الإنكاري الذي أورده: وإذا كان مسيحاً منقذاً فعلاً فلماذا لم يحمه الرب؟!

(٢) ويتضح من كلامه هذا تأييده لعقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، ولكنه في نفس الوقت يناقض نفسه، لأن كلامه يتضارب مع بعضه البعض، ففي الفقرة السابقة تماماً لهذه الفقرة قال: صلب المسيح ومات كمتنرد وخارج ليس إلا!!

(٣) كما يتضح في هذه العبارة تأييد كاتب المقال اعتقاد المسيحيين بنوة المسيح لله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٦ - بعد أن ارتفع يسوع لدرجة مساوية لدرجة الرب الأب فإنه للآن لم يزل المنقذ بهذا فهو لم يزل مسيحاً، ولأنه قد جاء مرة للعالم في صورة بشر فإنه أنقذ العالم فعلاً من الخطأ والذنوب والشر ومن الموت والدمار وإلى الآن يسيطر الخطأ والذنوب والشر على العالم، ومن المتوقع أن تكون عودته مرة أخرى يوم الحساب، ويجلس عن يمين أبيه الرب، ويشترك في حساب البشر، وينقذ المؤمنين منهم، وحينئذٍ ينتهي الشر والخطأ ويظهر النور، ويقضى على الظلام، ويتبدل الموت، وتظهر مملكة السماء التي بدأت في الظهور عند نزوله المرة الأولى (١).

٧ - وفي هذا الزمان، وفي هذا العالم نتوجه إلى الرب أبيه، ليتوسط هو (أي المسيح) بين الله وبين البشر، وفي الواقع فإنه هو نفسه الرب، والوسيطه الحقيقة هي أمه مريم العذراء المقدسه (والدة الرب) (٢)

وهذا ما يستدل به من التعرف والفهم اليهودي للمسيح النصراني

لم يكتف بكونه بشراً فقط ولكنه تعدى الحدود البشرية وتخطاها لالينقذ نفسه من الخطأ والشر، إنما المسيح الرب هو الذي تقمص صورة البشر لينقذ

-
- (١) وفي هذه الفقرة يؤيد كاتب المقال المسيحيين بأنه المنقذ، أنقذ العالم من الذنب والخطأ والشر، ولكنه سرعان ما يناقض نفسه، ويقرر بأن العالم مليء بالخطأ والشر والذنوب، ثم يعود ليؤكد العقيدة المسيحية بأن المسيح سيجلس يوم الحساب على يمين أبيه ويشترك في حساب الناس على أعمالهم!!
- (٢) وفي هذه الفقرة تأييد صريح لاعتقاد المسيحيين بأن مريم والدة الرب!! كل هذا ينقله المؤلف بل ويؤيده من غير نقد أو رد!!
- وقد قمت بالرد والنقض لهذه العقيدة الباطلة في ص ٤١٤ وما بعدها من هذه الرسالة.

البشرية بدمه الذي أُسِيل، وسوف يعود مرة ثانية لانقاذ الإنسانية جمعاء لأن صلبه وموته لم يكف لتخليص البشرية من الشرور وجعل البشر مؤمنين^(١).

إن المسيح النصراني ليس إلا صورة حديثة أو جديدة للمسيح اليهودي القديم، لأن فكرة الإصلاح أتت النصرانية من اليهودية، كما أتت فكرة المسيح المصلح يوم الحساب، وفكرة مملكة السماء^(٢) أيضاً، وكان تعريف المسيح من الأشياء الكثيرة المتشابهة بين المسيحية واليهودية، حتى بعد الابتعاد والانفصال بينهما، وأيضاً فإن الفرق بين المسيح اليهودي ونظيره النصراني بقى كبيراً وعظيماً.

بادئ ذي بدء فإن الإصلاح الإسرائيلي يستطيع أن يظهر ويعم بدون شخص المسيح، في حين أن ذلك غير ممكن في المسيحية فالمنقذ الوحيد هو يسوع فقط.

بدون المسيح اليهودي هناك يهودية مستقلة، وبدون المسيح النصراني ليس هناك مسيحية أبداً <<^(٣)

وينتقل كاتب المقالات إلى الحديث عن المسيح اليهودي، وكان حديثه

(١) هنا تصريح واضح بأنه هو هذا الفهم اليهودي للمسيح النصراني وتأيداً للمسيحيين ولعقائدهم المنحرفة والمحرفة بأن المسيح إله وابن إله وأنه تجسد وصُلب لينقذ البشر من الخطيئة، انظر: ص ٥٢٦ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) لعله يقصد المملكة التي تكون آخر الزمان، والتي سيحكمها المسيح ويشترك فيها الصالحون والمؤمنون بالمسيح، حسب اعتقادهم.

(٣) انظر: مجموعة مقالات للبروفيسو يوسف كلورند، استاذ بالجامعة العبرية بالقدس بعنوان (اليهودية والإنسانية) باللغة العبرية، الناشر: مكتبة العلوم بالقدس، عام ١٩٥٥م، ص ٢١٢-٢١٦

عنه مختصراً اختصاراً شديداً، بعكس حديثه عن المسيح النصراني والذي أخذ فيه بحايي النصارى ويؤيد ويؤكد عقائدهم المحرفة والمنحرفة، وفيما يلي ننقل نص الترجمة لمقاله ذاك عن المسيح اليهودي:

>> ثانياً : المسيح اليهودي :

هو منقذ لشعبه ومنقذ للإنسانية، وليس منقذاً بدمه وإنما بأعماله البدنيه، وحتى مسيح بني يوسف الذي قتل لم يكفر بدمه عن كل البشريه، فاليهوديه تعرف وتعترف بخطأ الإنسان الأول، ولكن المسيح اليهودي لا ينقذ بدمه الذنب الأول، كما أنه لا ينقذ من الموت والذي سيتخفى في أيام المسيح ولكن ليس بإرادته إنما بإرادة الله تعالى، فعلى الإنسان أن ينقذ نفسه، ولكن ليس بالإيمان وحده، وإنما بالطاعه وبالأعمال الطيبه، وعندها ينقذه الله من الموت ومن الدمار، وأن كل إنسان مسئول عن نفسه وعن أعماله الطيبه التي يكفر بها عن سيئاته وأخطائه وعليه ألا يعتمد على المسيح.

ثالثاً: وأخيراً : يتضح أن المسيح ليس إلا صادقاً وأميناً صنع ربه ويأتي الكمال الرباني للعالم والتقدم والإصلاح الإنساني ليس متوقف عليه، وإنما على الإنسانية نفسها، وقد ذكر هذا المعنى عدة مرات في التوراه.

وشعب إسرائيل الذي كان أول من آمن بالإله الواحد رب الخير، وكان له أنبياء صادقون مرسلون يستطيع أن يدرك النجده والصلاح قبل غيره من الشعوب عن طريق الطاعه، وعمل الخير، وهذا لن يكون إلا إذا عاد كل شعب إسرائيل إلى أرضه وعاش حراً طليقاً دون أن يكون تحت حكم أغراب ويبقى أمامه أمل مملكة السماء حتماً يراود شعب إسرائيل وهكذا نستطيع

أن نقول وبدون تمييز لليهوديه أن المسيح اليهودي ما هو إلا ذراع مساعدة للإصلاح في العالم كله >> (١).

ويلاحظ أن كاتب المقال بدأ أخيراً يعبر عن آماله كيهودي وذلك في تكوين مملكة لا يحكمها إلا اليهود، ويقول بأن ذلك لن يتحقق إلا إذا عاد كل شعب إسرائيل حراً طليقاً في أرضه دون أن يكون تحت حكم الأغراب، وأن ذلك حلم جميل لليهود يحلمون به، ويريدون تحقيقه، وفي الحقيقة هم يريدون أن يمتلكوا العالم كله، وأن يسيطروا عليه بأسره سواءً أكان ذلك باسم المسيح أو باسم غيره أما الجويم (٢) فلاشيئ لهم، بل هم محكومون وخدام خاضعون لليهود (٣).

وهنا نستطيع القول بأنه قد حصلت بالفعل نظرة تطوريه من اليهود للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا يظهر من خلال كتابات بعض كتابهم وذلك بسبب الظروف الإقتصادية والسياسية والعسكرية ورغبة في استمالة الرأي العام العالمي إليهم ومعظمه من النصارى، فقد خففوا من غلوائهم في العصر الحديث في نظرتهم للمسيح عليه السلام بسبب إحتياجهم للنصارى، ومما هو معلوم أن النصارى أسسوا لهم أو ساعدوهم في تأسيس دولة لهم في فلسطين، وهذا هو أحد مفكريهم وكتابهم وأحد اساتذتهم في جامعتهم العبرية يميل ويحايي النصارى في معظم عقائدهم إن لم نقل جميعها.

(١) المرجع السابق، ص ٢١٦، ٢١٧

(٢) هم من عدا اليهود من الناس (هكذا يعبر اليهود عمّن عداهم من الناس).

(٣) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون فهي قرارات زعمائهم للسيطره على العالم وحكمه بالقوة.

ومما هو معلوم أيضا: >> أن المجمع المسكوني في دورته الثامنة والتي عقدت في عام ١٩٦٣م قد وقع وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح وذلك بعد امضاء الكاردينال (١) الألماني رئيس سكرتارية المجمع المسكوني >> (٢).



(١) رجل الدين المسيحي وهو الذي وصل إلى درجة معينة وجمعه كرادله وهم الذين يُنتخب منهم البابا.

(٢) انظر: اسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسه للأستاذ أحمد عبد الوهاب، ط١، سنة ١٩٧٢م

المبحث الثاني

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى المقدسه
لديهم (العهد الجديد)^(١) ورأي النصارى عامة في كتبهم ومؤلفاتهم :

في بداية هذا الفصل ذكرت أن موقف اليهود من المسيح عليه السلام يظهر ويتضح من خلال ثلاثة مباحث، وقد انتهيت في الفقرة السابقة من العرض والنقد للمبحث الأول وهو موقفهم منه عليه السلام بشهادتهم على أنفسهم من خلال كتبهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم.

وفيما يلي سأعرض موقفهم منه عليه السلام من خلال هذا المبحث وهي أسفار النصارى المقدسة لديهم.

(١) العهد الجديد هو القسم الثاني من الكتاب المقدس، أما القسم الأول فهو العهد القديم، والعهد بمعنى الميثاق، ويقدس اليهود العهد القديم فقط أي القسم الأول، أما النصارى فيقدسون العهدين القديم والجديد، لأن العهد الجديد يعتبر مبتوراً دون القديم، فالعهد القديم كمقدمه لابد منها للجديد. ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين قصفاً يمكن وضعها في ثلاثة أقسام:

١ - قسم الأسفار التاريخية ويشمل هذا القسم الأناجيل الأربعة (إنجيل متى وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا) كما تشمل رسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا، وسميت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوي قصصاً تاريخية.

٢ - قسم الأسفار التعليمية وتشمل إحدى وعشرين رسالة.

٣ - أما القسم الثالث فهو رؤيا يوحنا اللاهوتي، وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها في اليقظة وهي للخرافات أقرب.

أنظر: د. أحمد شلبي (المسيحية) ط ٦، ص ٢٠٢، ٢٠٣ باختصار

ويقول قاموس الكتاب المقدس والذي ألفه نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين النصارى في هذا الموضوع :

>> وقد تمت المقاومة ونما عداء حكام اليهود وقادتهم له (أي للمسيح عليه السلام) وسار حقدهم عليه شططاً من سئ إلى أسوأ، فقاموا بكل حيلة ووسيلة لكي يوقعوه في فخاخهم حتى يحطموا سيطرته على الجماهير وقوة تأثيره عليهم، ولكي يجدوا علة عليه ليسلموه للسلطات الرومانية لتنفيذ حكم الموت فيه (١) وقد وجه إلى أعدائه تحذيرات غاية في العمق وغاية في الهدوء والسكينة، وقد القى على مسامعهم تعاليم كان ينبغي أن تنفذ إلى قرارة نفوسهم لو كانوا يفقهون، وكان هدفه في هذه جميعها أن تتغير قلوبهم، ولكن ما كان منهم إزاء هذه التعاليم وإزاء كل أعمال الرحمة والإحسان وشفاء المرض وإقامة الموتي (٢)

(١) ويشير الى نص من متى : >> ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهوديه من عبر الأردن، وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك، وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب << ١٩ : ١-٣

ويستشهد أيضاً بنص من لوقا: >> وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتابة والفريسيون يحنقون جداً ويصادرونه على أمور كثيرة، وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا شيئاً من فمه لكي يشتكوا عليه << ١١ : ٥٣-٥٤

(٢) ويستشهد بنص من يوحنا: >> فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً، فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به << يوحنا ١١ : ٤١-٤٥

إلا أن هبت قلوب غالبية الفريسيين والكتبة وآخرين من قادة اليهود وزعمائهم بنيران الحقد عليه والكراهية له (١).

>> وفي سنة ٣٧ ق.م ارتقى هيرودس عرش اليهودية، وفي عهده ولد المسيح إلا أن اليهود أعادوا المعاصي التي اقترفوها من قبل، فرفضوا قبول الخلاص بالمسيح، وتحاملوا عليه وأنكروا أنه المسيح حتى طالبوا بصلبه، فأنقم الله منهم بأن أرسل لهم تيطس الروماني يؤدبهم، فاحتل تيطس القدس وأحرق الهيكل وهدم المدينة، وهكذا تمت نبوءة المسيح (٢).

(١) >> وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعاً وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا، فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا عن نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد، فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه << يوحنا ١١ : ٤٦-٥٢

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٦٨

(٢) ويستشهد بنص من متى فبحثت مكان إشارته فوجدت مايلي:

>> لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هايبيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل.

==

وأما الرسل المسيحيون والمبشرون الأولون فكانوا عبراني الجنس، وأنتشرت المسيحية أولاً بين العبرانيين وفي كل مكان قبل بعض منهم الخلاص يسوع المسيح وأما الآخرون فرفضوه.

وكانت نكبة القدس عاملاً في تفريق الناجين من اليهود في جميع أنحاء المعمورة، ومهما تباعدت بهم الأمكنة، فلا يزالون حتى اليوم يحافظون على ديانتهم، ولا يزالون ينكرون أن يسوع هو المسيح وينتظرون مجيء مسيحهم الخاص بهم << (١).

ويضيف قاموس الكتاب المقدس: >> أما اليهود فلم يفهموا هذه النبوات فظنوا أن المسيح يكون ملكاً زمنياً يخلصهم من ظالمهم ويرقيهم إلى أعلى درجات المجد والرفاهية حسب معنى النبوات الحرفي (٢) فلما ظهر المسيح لم يعرفوه بل عثروا فسقطوا في ضلال مبين حينما فسر لهم المسيح ذاته والرسل هذه النبوات على غير معناها الحرفي (٣)، غير أن البعض من اليهود في أيام ظهور المسيح كانوا

== يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بينكم يترك لكم خراباً، لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب << متى : ٢٣ : ٣٤-٣٩

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٥٩٨

(٢) ويستشهد بموضع من المزمور الثاني: >> لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين، لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما << مزامير ٢ : ١-٢

(٣) ويشير إلى موضع في مرقس وعندما بحث مكان إشارته وجدت مايلي: >> فأجاب وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويرذل << مرقس ٩ : ١٢

ينتظرون مجيئه وخلاصه الروحي منهم سمعان وحنه >> (١).

وقد قدم قاموس الكتاب المقدس عدة نصوص من العهد الجديد تحدثت عن موقف اليهود من السيد المسيح عليه السلام وبينت ذلك الموقف العدائي بكل وضوح، من ذلك رفضهم له أول بعثته وتدمير المكائد ضده، وبعد احتجازه أراد بيلاطس الحاكم الروماني آنذاك اطلاقه فرفضوا ذلك وطلبوا استبداله بـ (باراباس) اللص والسفاح المشهور في ذلك الحين!! هذا ما ترويه نصوص الأناجيل، وعلى أي حال فنحن كمسلمين لانكر موقف اليهود العدائي من السيد المسيح عليه السلام، كما سنثبت ذلك فيما بعد من القرآن الكريم، بل كان موقفهم العدائي ذاك من جميع الأنبياء والرسل الذين قد بعثوا إليهم (٢).

وفيما يلي نعرض بعض النصوص من العهد الجديد والتي تحدثت عن موقف اليهود من السيد المسيح عليه السلام.

١ - رفض اليهود له عليه السلام:

>> وإلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله >> (٣).

ويقول مفسر إنجيل يوحنا في تفسير هذا النص:

(١) ويستشهد بنص من لوقا: >> وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب >> لوقا ٢ : ٢٥-٢٦

(٢) يقول الله سبحانه وتعالى : {ولقد آتينا موسى الكتاب وبقينا من بعده بالرسول وءاتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون} البقرة : ٨٧

(٣) يوحنا ١ : ١١

>> إلى خاصته أي الأمة اليهودية دون عالم الوثنيين، وسميت اليهود خاصته لأن الله اختارها لنفسه، والمسيح هو الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) فاختار أولاد إبراهيم وفداهم من أرض مصر وأعطاهم أرض كنعان والشرعة والعهود والأنبياء، وسكن بينهم وكانوا خاصته أيضاً لأن المسيح يهوه العهد القديم أعتنى بهم وحفظهم في كل طرقهم وقصد بذلك اعدادهم لقبوله حين يأتي.

جاء : أي ظهر علانية، وخاصته لم تقبله: جاء فيما سبق أن الظلمة لم تدركه، أن العالم لم يعرفه، وزاد على ذلك هنا أن خاصته لم تقبله مع أن الله اعدّها لقبوله برموز ونبوءات وجعلها تتوقع مجيئه، فكان عليها أن تعرفه وتقبله عند مجيئه ولكن لما ظهر بينها رفضته بل صلبته، وعلّة رفضها إياه اعماء الخطية لعيونها وعدم رضاها مخلصاً وملكاً روحياً >> (١)

وهناك نص آخر من إنجيل لوقا: >> فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل >> (٢).

ويقول مفسر إنجيل لوقا في تفسير هذا النص :

>> الناصره مبنية على سفح أكمة يحيط بتلك الأكمة أكمّام أرفع منها، والذي يقصد الناصره اليوم وشاهد الأكمة التي بنيت عليها يحكم بأن أهلها صعدوا بيسوع إلى قمة تلك الأكمة، وهناك علو منها نحو ثلاثين أو أربعين قدماً فقصدوا أن يطرحوه من أحدهما إلى الحضيض فيميتوه، وكان قبل هذا من عوائد

(١) د. وليم إدي (الكتر الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ٣، ص ١٤

(٢) لوقا ٤ : ٢٩

الرومانيين في إهلاك الناس، وكان اليهود يفعلون كذلك أحياناً، فمعاملة أهل الناصرة ليسوع مصداق لقول البشير إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله >> (١).

وهناك نص آخر من إنجيل لوقا :

>> ولكن ينبغي أولاً أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل >> (٢).

ويقول مفسر إنجيل لوقا في تفسير هذا النص :

>> أنبأ بأنه يسبق مجيئه الثاني رفض الأمة اليهودية إياه وتألمه وقُصد بهذا الجيل الأمة اليهودية، وما ذكر هنا هو أعظم الحوادث المتعلقة بمجيئه الأول، واستعداد لمجد مجيئه الثاني لأنه قدم نفسه اختياراً للرفض والآلام إرادة فداء العالم >> (٣).

٢ - تدبير المكائد ضده عليه السلام.

يقول إنجيل متى في ذلك :

>> فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً >> (٤).

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص :

(١) انظر: د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ٢، ص ١٨٩

(٢) لوقا ١٧ : ٢٥

(٣) الكتز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ٣١٦

(٤) متى ١٢ : ١٤-١٦

هذا أول نبأ في بشارة متى بأن الفريسيين^(١) عزموا بعد المؤامرة على قتل المسيح، وأما ما كان من أمر أهل الناصرة في أن يطرحوه من فوق الجبل فكان نتيجة هيجان الجمع على غير قصد، ولم يعزم الفريسيون على قتله إلا بعد أن عجزوا عن دفع حججه وهكذا ألوف من شهداء المسيح الأمناء أُبكموا بالسجن والرجم والجلد والإحراق والإغراق وسائر أنواع القتل لا بالحجة والبرهان.

تساوروا : المرجح أن الاجتماع للتشاور لم يكن عاماً بل حصر في فريسي المدينة التي صنعت فيها المعجزة المذكورة، والذي حملهم على ذلك أسباب دينية وسياسية وشخصية وأعظمها حسدهم المسيح على رغبة الناس فيه، وما كان من أمر هؤلاء في مشاهدتهم المعجزة يدلنا على أن ليس للمعجزات من تأثير حسن في المشاهدين إذا كانوا من المتعصبين في آرائهم >>^(٢).

وهناك نص آخر من إنجيل مرقس يقول فيه :

>> ثم دخل أيضاً إلى المجمع وكان هناك رجل يده يابسة، فصاروا

(١) الكلمة آرامية ومعناها المنعزل وهي إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين فئتي الصدوقيين. والاسينيين، وكانت أضيقتها رأياً وتعليماً، ويرجح أن يكون الفريسيون خلفاء الحسديين المتظاهرين بالتقوى، أما من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة، وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الأرواح، ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٦٧٤ باختصار

(٢) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ١٨٨، ط بيروت ١٩٧٣م

يراقبونه هل يشفيه في السبت لكي يشتكوا عليه، فقال للرجل الذي له اليد اليابسة قم في الوسط، ثم قال لهم هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر تخليص نفس أو قتل فسكتوا، فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مد يدك، فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى، فخرج الفريسيون للوقت مع الهرودسيين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه >> (١).

ويقول مفسر إنجيل مرقس لتفسير هذا النص مايلي:

>> إن الهرودسيين وافقوا الفريسيين في المؤامرة على المسيح، وبعض أنواع الغضب جائز وهو الغضب على الخطيئة إذا كان ممزوجاً بالحزن والشفقة على الخاطئ، فالمسيح لم يرد بغضبه أذى من غضب عليهم ولا الانتقام منهم.

غلاظة قلوبهم : اظهروا تلك الغلاظة بعدم تأثرهم من البراهين القاطعة على صحة لاهوته وعدم شعورهم بتخطئة بعضهم إياه وقصدتهم قتله وعدم انتباههم لدعوة المحبة وانذارات الدينونة، لكي يهلكوه: قصدوا ذلك لأن يسوع قدوس وهم خطاة ولأن قداسته كانت توبيخاً دائماً لهم على خطيئتهم ولأنه كشف الحجاب عن ريائهم، ولأنه علم ما ينافي تقاليدهم وبذلك نقص سلطانهم على الناس واعتبار الناس إياهم وأفحمهم قدام الشعب، ففضلوا قتل موبخهم على ترك آثامهم التي وبخهم عليها، ووافق الهرودسيون الفريسيين على قتله لغايات سياسية علاوة على حسدهم وتعصبهم الديني لأنهم أرادوا أن يكون هيرودس انتيباس أو غيره من العائلة الهرودسية ملكاً على اليهودية والسامرة بدلاً من بيلاطس الوالي، فخافوا أن دعوى المسيح الملك تمنعهم من نوال بغيتهم.

وكان الهيرودسيون أعداءً للفريسيين لأنهم صدقيون وأجازوا إعطاء الجزية لقيصر إرضاءً للرومانيين وحرّم الفريسيون ذلك، ومع ذلك إتفق الفريقان على المسيح لإمكان الإتفاق بين كذب وكذب آخر ولكن لا يمكن أن يكون إتفاق بين الحق والكذب لأنه ليس بينهما سوى الحرب الدائمة >> (١).

ويضيف مفسر آخر لتفسير هذا النص :

>> وهذا يبين المدى الذي قد يذهب إليه الفريسي في كراهيته، ففي الظروف الطبيعية كان يعامل الهيرودسيين على أنهم نجسون لا يحل له أن يتعامل معهم لأنهم خونة يعملون في بلاط ملك نجس، ولكن في سبيل تنفيذ مؤامرة ضد يسوع فإنه - أي الفريسي - يتفق مع هؤلاء النجسين ليساعده على ذلك، ما أقسى الكراهية التي تتوقف عند أي اعتبار مهما كان >> (٢).

٣ - محاولة اليهود رجمه عليه السلام بالحجارة!!

ففي الإنجيل المنسوب إلى يوحنا :

>> فتناول اليهود أيضاً حجارةً ليرجموه، أجابهم يسوع أفعالاً كثيرة حسنة أريتمكم من عند أبي بسبب أي عمل منها ترجموني، أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً، أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة... فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم أقولون له إنك تجدف لأنني قلت إنني ابن الله >> (٣).

(١) انظر : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ٢٧ باختصار

(٢) انظر: وليم باركلي تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس)، ط دار الجليل، ص

(٣) يوحنا ١٠ : ٣١-٣٦

ويقول مفسر إنجيل يوحنا في تفسير هذا النص :

>> أرادوا رجمه لأنهم حسبوا أن كلامه تجديفاً، وأرادوا أن يعاقبوه بمقتضى الناموس، ولم يقدروا أن يجرؤوا ذلك شرعاً لمنع الرومانيين لهم لكنهم قصدوا أن يفعلوه على سبيل الهياج والشغب والظاهر أن اجابته لهم اوقفتهم وقتاً عن رجمه إياه، وخلاصة قوله : انه لايجز العقل ولا الشرع أن ترجموا احداً قبل بيان إرتكابه الذنب الموجب لذلك.

وأنت إنسان : نعم لو كان المسيح إنساناً فقط لكان كلامه تجديفاً، واستحق أن يرمم بموجب شريعتهم ولكنه مع كونه إنساناً هو الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) فكان يستحق الإيمان به والسجود له فما بقي في المسألة إلا أحد الأمرين وهو إما أن يعبدوا يسوع إلهاً وأما إن يرمموه مجدفاً^(١).

ويضيف مفسر الإنجيل المنسوب إلى يوحنا لتفسير هذا النص :
أنا قلت أنكم آلهة : هذه الآية السادسة من المزمور الثاني والثمانين والمتكلم هو الله قاضي القضاة والمخاطبون هم القضاة ودعاهم الله آلهة لأنهم رؤساء الشعب ومزلتهم أرفع من منزلة غيرهم من الناس وعليهم مسؤولية عظيمة في سياسة الشعب >>^(٢).

(١) المسيح عليه السلام كما هو معلوم لم يكن إلهاً فلا إله إلا الله تعالى، ولم يدع الألوهية وحاشاه أن يفعل ذلك لما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد المائدة : ١١٧
انظر: ص ٣٦٣ من هذا البحث وما بعدها.

(٢) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ١٨٠ باختصار وتصرف

٤ - التآمر ضده لاغتياله أو تسليمه للحكومة الرومانية:

ونستدل على ذلك بنص من الإنجيل المنسوب إلى متى.

>> ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه، تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب، حينئذٍ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يُدعى قيافا، وتشاوروا لكي يسكو يسوع بمكرٍ ويقتلوه، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب >> (١).

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص :

>> هذه الأقوال كلها : أي ما تكلم به لتلاميذه على جبل الزيتون، وكان ذلك جواباً لسؤال أربعة منهم، والأقوال التي أكملها كانت من متعلقات ممارسته الوظيفية النبوية.

تعلمون : لم يتضح أن المسيح أراد مجرد علمهم وقوع عيد الفصح بعد يومين لكنه قصد أن يخبرهم بتسليمه إلى الموت، والفصح : أي عيد اليهود الأعظم، والفصح لفظة عبرانية معناها العبور.

الكتبة : حفظة الكتب المقدسة ومفسروها.

شيوخ الشعب : أي نوابه في المجلس الكبير، وكان الحبر الأعظم رئيسه. دار رئيس الكهنة : أي الحبر الأعظم وكان من عادة أعضاء ذلك المجلس أن يجتمعوا في إحدى ديار الهيكل لكن يجوز لهم الاجتماع في دار رئيس الكهنة.

قيافا : واسمه يوسف كما قال يوسفوس المؤرخ.

وتشاوروا لكي يمسكوه بمكر : لأنهم لم يجسروا أن يفعلوا ذلك علانية فانهم قصدوا قتل يسوع من وقت إقامته لعازر، والذي منعهم عنه قبلاً خوفهم من الشعب لأن كثيرين منهم حسبوه نبياً.

ليس في العيد : كذا قصدوا أولاً بناءً على معرفتهم كثرة المجتمعين في العيد لأنهم لم ينقصوا في بعض السنين ثلاثة ملايين، وعلمهم وقوة الجليليين بينهم الذين أخذ المسيح تلاميذ وأصدقاء كثيرين منهم >> (١).

وهناك نص آخر من مرقس يدل على تأمرهم على إغتياله عليه السلام:

>> وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكرٍ ويقتلونه، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب >> (٢).

ويقول مفسر هذا النص :

>> الأرجح أن ذلك الاجتماع كان مساء الثلاثاء أي في أول يوم الأربعاء وذلك موافق لقول متى بعد يومين يكون الفصح، وقصدوا حينئذ أن لايمسكوه إلا بعد العيد خيفةً من ثورة تلاميذه وأتباعه إذا أمسكوه فيه، ولكن خيانة يهوذا ثنتهم عن ذلك العزم إلى مسكه في العيد >> (٣).

(١) انظر : الكتز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨ باختصار وتصرف.

(٢) مرقس ١٤ : ١-٢

(٣) انظر : الكتز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ١٠٥

ه - احتواء الأناجيل على نصوص تدل على مدى كراهية اليهود للمسيح عليه السلام لدرجة أن بيلاطس الحاكم الروماني أراد إطلاقه بعد القبض عليه لأنه لا يستحق العقاب في نظره فهو لم يخطئ، ولكن اليهود يرفضون ذلك بكل صراحة ويطلبون إطلاق باراباس اللص والسفاح بدلاً منه!!

وفيما يلي نص متى والذي يدل على هذا المعنى :

>> وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوا، وكان لهم حينئذٍ أسير مشهور يسمى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح، لأنه علم أنهم أسلموه حسداً، وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلةً إياك وذاك البار، لأنني تأملت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم مَنْ من الإثنين تريدون أن أطلق لكم، فقالوا باراباس، قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح، قال له الجميع ليصلب، فقال الوالي وأي شر عمل فكانوا يزدادون صرخاً قائلين ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا، حينئذٍ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب <<(١).

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص :

(١) متى ٢٧ : ١٥-٢٦

>> باراباس : أحد جماعة أثاروا فتنة على الرومانيين وقتلوا بعضهم، فكان هذا الإنسان مرتكباً فعلاً ما اتهموا به يسوع كذباً وكان فوق ذلك لصاً قاتلاً.
باراباس أم يسوع : علم بيلاطس أن رؤساء اليهود سلموا يسوع حسداً وأن العامة إعتبرته فتحول عن الرؤساء وسأل العامة آملأ أنهم يطلبون إطلاق يسوع فيتخلص من الحاح الرؤساء في طلب قتله.

وكان إختيار إطلاق الأسير للشعب لا للرؤساء فخاف الرؤساء أن يذهب كل جهدهم باطلاً ويخيب رجاءهم إن اختار الشعب يسوع، فأسرعوا إلى خطاب الشعب واجتهدوا في أن يقنعوهم بأن يطلبوا إطلاق باراباس، ولعلهم قالوا للشعب إن باراباس محب للوطن، وأن الرومانيين قبضوا عليه لأنه سعى في تحرير اليهود وحارب لأجل حقوقهم، وأن يسوع جليلي والجليليون مبغضون من أكثر اليهود.

فماذا فعل يسوع : في هذا السؤال تعجب وشئ من سؤال الشعب أن يعيدوا نظر الاختيار بين يسوع وباراباس، ولعله نتج عن أمله أن يطلبوا إطلاق الإثنين فيكون له حجة لمقاومة الرؤساء وإطلاق يسوع بلا خوف من أن يشكوه إلى الأمبراطور.

ليصلب : ولعل الذين ابتدأوا يصرخون قائلين ليُصلب يسوع الذي هو أقبح طرق العقاب أمران : الأول التشفّي من البغض، والثاني: أن يجعلوا اسم المسيح مكروهاً إلى هذا الحد حتى لا يلتفت أحد إلى دعواه بعد.

فقال الوالي وأي شر عمل : هذا استفهام انكاري معناه أن يسوع لم يعمل

شراً.

ليصلب : وكان قصد بيلاطس أن يجيبوه ببيان ذنب يسوع ولكنهم أجابوه بتكرار قولهم ليصلب، وهذا نتيجة عجزهم عن تبين ذنب له وإقرار بأن لا ذنب عليه.

أخذ ماءً وغسل يديه : أتى هذا العمل كناية عن أنه برئ من كل ما يجرونه بعد ذلك على يسوع.

دمه علينا : أي إذا كان باراً ويعاقب أحد بموته فذلك علينا، فخاب قصد بيلاطس بانقاذ المسيح الواسطه لأن الشعب لم يخف أن يحمل كل مسؤولية موته طوعاً واختياراً.

وعلى أولادنا : أي العقاب الذي يترتب على قتل يسوع أن كان برياً نأخذه ميراثاً لأولادنا كما أخذنا نصيباً لنا >> (١).

وأكتفي بنقل نص آخر من إنجيل يوحنا لأن كل نصوص الأناجيل الأربعة تحمل نفس المعنى :

>> فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك، أجاب يسوع أنت تقول أنني ملك، لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس ما هو الحق، ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة، ولكم عادة أن اطلق لكم واحد في الفصح أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين ليس

(١) انظر: الكثرل الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٥٠٠-٥٠٤ باختصار وتصرف

هذا بل باراباس، وكان باراباس لصاً >> (١).

ويقول مفسر إنجيل يوحنا لتفسير هذا النص :

>> أفأنت إذاً ملك : لا يخلو سؤاله من شئ من التعجب كأنه يتوقع أن يسوع ينكر أنه ملك (٢).

لهذا قد ولدت ولهذا قد أتيت إلى العالم : هذا شرح لقوله إنه ملك وبيان غاية إتيانه من السماء إلى الأرض وهي إقامة مملكة الحق وإعلان حق الله الأزلي للناس.

قال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة : كان على بيلاطس أن يطلق يسوع في الحال على موجب حكمه هذا ولم يفعل ذلك خوفاً من اليهود لئلا يشكوه لطيباريوس قيصر على ذنوب كثيرة كان قد ارتكبها في محاكماته لكنه حاول أن يرفع عن نفسه مسؤولية الحكم على يسوع.

والظاهر أن بيلاطس ظن الشعب يطلبون إطلاق يسوع إذا خيرهم بينه وبين باراباس، وترك لهم أن يحكموا بصلب أحدهما وإطلاق الآخر وقصد بذلك أن ينجو من ملامة الرؤساء، إذا أطلق يسوع بقوله إن الشعب أجبره.

وباراباس : كان قاتلاً فضلاً عن أنه لص، ولاريب في أن بيلاطس عجب من هذا الصراخ إذ كان يتوقع خلافه، فأظهروا أنهم أحبوا لصاً قاتلاً أكثر من يسوع المسيح البار >> (٣).

(١) يوحنا ١٨ : ٣٧ - ٤٠

(٢) هل المسيح عليه السلام ملك؟ ليس في كلامه ما يدل على ذلك

(٣) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٣، ص ٢٩٢، ٢٩٣ بتصرف واختصار

وكتب د. وليم باركلي في تفسيره للعهد الجديد، تحت عنوان (خطايا اليهود) بعد نقله للنص السابق من إنجيل يوحنا مايلي:

>> من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا إنقطاع لأنكم إذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا كلمة أناس بل كما هي بالحقيقة كلمة الله التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين، فإنكم أيها الأخوة صرتم ممثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضاً من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن، وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين، ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية >> (١).

>> ١ - إنهم قتلوا الرب يسوع والأنبياء، وعندما جاء رسل الله إليهم تخلصوا منهم بالطرد أو بالقتل، إن زعماء اليهود أرادوا أن يتخلصوا من يسوع المسيح قبل أن يتمادى في إلحاق الضرر بهم، ولكن ما من إنسان استطاع أن يوقف تأثير الرساله بمجرد قتل المرسل.

٢ - إن اليهود اضطهدوا المسيحيين، ولو أنهم رفضوا رسالة الرب يسوع كانوا على الأقل يسمحون لغيرهم أن يصغي لها. ويقبلها، لكنهم لم يدخلوا ولم يدعوا الداخلين يدخلون >> (٢).

(١) اتسالونيكي ٢ : ١٣ - ١٦
(٢) انظر: تفسير العهد الجديد الرسائل إلى (فيلبي وكولوسي وتسالونيكي).
د. وليم باركلي، ترجمة القس جرجس هايبيل، ط ٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦

ويتحدث أحد الكتاب المسيحيين عن محاكمة اليهود ليسوع ويعلق على ذلك بقوله :

>> أجل ! جلس حول قوس المحكمة قضاة يضمرون أعنف الحقد لرجل جعلوا منه متهماً وهو برئ، تحجرت ضمائرهم وألقت البغضاء على بصائرهم وشاحاً أسود، ونسوا أو تناسوا ما أمرهم به الله في كتابه وما نهاهم عنه، وتمغضوا بفكرة واحدة تسلطت على عقولهم: الموت ليسوع، ينبغي أن يحكموا بالموت على الناصري، إنه يقض عليهم مضاجعهم ويلقي على الناس مواعظ تدعوهم إلى المحبة والتسامح، إنه يحدث اليهود عن ملكوت ليس من هذا العالم، عن ملكوت الروح، ولو وقفت رسالته عند هذا الحد لهان الأمر، ولكنه ذهب إلى أبعد من ذلك، لقد دعا إلى محبة المبغضين ومباركة اللاعنين.. وراح سلطان رؤساء الكهنة والشيوخ والفريسيين يترجرج، لقد هزّ عروشهم بعظاته وعجائبه، أفبوسعهم بعد ذلك أن يتغاضوا عن أعماله؟ أيجلون الساحة لشاب فقير حقير^(١) يصول فيها ويجول؟ أيتنازلون عن حقوق ورثوها وعن امتيازات جعلتهم يرفلون في أثواب المجد والغني؟ كلا ينبغي أن يحى هذا الشاب من الوجود. تلك كانت نفسية القضاة الذين اجتمعوا ليحاكموه باسم العدالة اليهودية <<(٢).

(١) لا أدري كيف ينعت من يعتقد أنه إله بالحقارة حاشاه عليه السلام أن يكون كذلك، بل هو نبي كريم ومن أولي العزم من الرسل.

(٢) انظر: نصري سهلب (في خطي المسيح)، ط ٢، ص ٣٦١-٣٦٢

>> تلك كانت محاكمة يسوع مأساة مهزلة لعب الدور الرئيسي فيها زعيم الأمة اليهودية المؤمن على شريعة الله ووصاياه >> (١).

>> وفي تلك الأثناء كان زعماء الأمة اليهودية يحاكمون يسوع باسم العدالة اليهودية ويسومونه شتى أنواع العذاب، حتى انتهى بهم المطاف إلى إصدار حكم الموت عليه، وسرى الخبر حتى بلغ سمع يهوذا فأدرك هذا الأخير فظاعة جرمه، وضجت في أذنيه كلمات يسوع >> أبقلة تسلم ابن البشر >> فغدا كمن أصيب بمس من جنون... >> فمضى وخنق نفسه >>.

تلك كانت نهاية الاسرخيوطي، فقد أمله بغفران يسوع فخرس العالم ونفسه. كان يهودياً بكل ما في هذا التعبير من معنى، وحاول أن يكون مسيحياً فأخفق في منتصف الطريق >> (٢).

ويقول أحد الكتاب المسيحيين تحت عنوان (اتهامات اليهود للمسيح) بعد أن نقل نصاً من الإنجيل المنسوب إلى يوحنا :

>> ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبح. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا، فيأكلون الفصح، فخرج بيلاطس إليهم وقال : أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟ أجابوا : لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك، فقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم فقال له اليهود : لا يجوز لنا ان نقتل أحداً، ليتم قول يسوع الذي قاله

(١) المرجع السابق، ص ٣٦٤

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٥

مشيراً إلى أية ميتة كان مزماً أن يموت >> (١).

>> كانت الجريمة الأولى التي نسبها شيوخ اليهود للمسيح هي أنه يفسد الأمة، أي يثير فتنة سياسية ضد الحكومة. لكن لو صدق هذا القول لكان بيلاطس قد عرف هذا بواسطة جواسيسه دون تدخل الرؤساء الذين لا تسيئهم الفتنة ضد الحكومة.

وكانت الجريمة الثانية : أن المسيح يمنع أن تعطى جزية لقيصر. وهذا ما حاولوا أن يجعلوا المسيح أن يقوله، لكنه رفض وقال : >> أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله <<

وأما الشكاية الثالثة فكانت أنه يقول إنه هو مسيح ملك. وهذا أيضاً كذب، فليس في هذه التهمة أيضاً ما يؤثر على الوالي، لأنه يعلم جيداً أن هؤلاء اليهود يفتخرون بكل من يقاوم الحكم الروماني، فلا يمكن أن يسلموا يهودياً للقتل بهذه التهمة لو كانت صحيحة.

فأجابهم الوالي بنفور وتحقير وتهكم : >> خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم << مع أنه لاعلاقة بين الجرائم التي ذكروها وبين ناموسهم، وكأنه يقول لهم : لا تستطيعون أن تفعلوا ما تشاؤون بدوني، وأنا لا أخضع لمطالبكم بدون فحص، فاضطر الرؤساء إلى التذلل لينالوا مرامهم، فقالوا : لا يجوز لنا أن نقتل أحداً << (٢).

(١) يوحنا ١٨ : ٢٨ - ٣٢

(٢) انظر: سيرة المسيح لجورج فورد، ص ٤٨٤-٤٨٥

من النصوص السابقة يتضح موقف اليهود من المسيح عليه السلام ومدى كراهيتهم له كما حدث ذلك لجميع الأنبياء والرسل المبعوثين إليهم - وكما نوهنا - وقد تبين في الشعبة الأولى بشكل قاطع موقفهم العدائي منه عليه السلام وذلك من كتبهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم، كما تبين لنا في الشعبة الثانية موقفهم العدائي منه من خلال نصوص العهد الجديد والمقدس لدى النصارى. ومن خلال ما كتبه مؤلفوهم وكتابهم ومفسروا الإنجيل.



المبحث الثالث

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم.

لا يخفى على القارئ الكريم أن القرآن الكريم تحدث عن السيد المسيح عليه السلام حديثاً شيقاً وممتعاً وقد دافع عنه وبينَ اصطفاء الله له نبياً من أنبيائه تعالى ومن أولي العزم من الرسل، ووضح الموقف الصحيح والذي يجب أن يتخذ منه عليه السلام فلا إفراط كما فعل النصارى بتأليهه أو جعله جزءاً من الثالوث الإله (الآب والإبن وروح القدس) ولا تفريط كما فعل اليهود باتهامهم له - قاتلهم الله - بأبشع الاتهامات المشينه، وقذفهم إياه بأبشع القذائف هو وأمه الطاهرة مريم البتول^(١) عليهما السلام.

وآيات الذكر الحكيم تحدثت عن الموقف العدائي، والذي اتخذته اليهود تجاه نبي الله عيسى عليه السلام وذلك منذ مولده وبعثه عليه السلام، ويتضح ذلك كما يلي:

أ - موقفهم منذ ولادته، وقد كانت ولادته إرهاباً^(٢) لنبوته حيث أنه عليه السلام ولد من غير أب فاتهمت عليها السلام بفعل الفاحشة، وقد دافع القرآن الكريم عنها وعن ابنها وبين حقيقتها الناصعه بآيات بينات كريمات.

(١) كما وضعنا ذلك في الفصل الأول من هذا البحث واستدلنا بنصوص من التلمود.

انظر: ص ١٥-١٦ من هذا البحث.

(٢) الإرهاب: هو أمر خارق للعادة يظهر للنبي قبل إدعائه النبوه تمهيداً لدعواه.

قال تعالى :

{ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً، قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً، فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً، فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك إمراً سوء وما كانت أمك بغياً، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادم حياً، وبراً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } (١).

والشاهد في هذه الآيات الكريمات قوله تعالى : { فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً }.

>> يقال : إنها عليها السلام لما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشندون فدعوا فأتت به قومها تحمله وقوله قالوا

يامريم لقد جئت شيئاً فرياً، أي لما رأوا مريم ورأوا معها الولد الذي ولدته قالوا لها يامريم لقد جئت بأمر عجيب، وقيل: لما رأوها ورأوه معها قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً أي الفاحشة >> (١) أي مع أنها عليها السلام كانت قد وصفت بالتقى والصلاح والعفاف والطهر، وهي قبل ولادتها قد وهبت من قبل أمها - امرأة عمران - (٢) إلى بيت المقدس للخدمة فيه، وكذلك فهي من آل بيت أتقياء وأطهار، ومع ذلك كله نجد أن اليهود قد اتهموها وقذفوها بالفاحشة، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ب - عندما دعاهم عليه السلام إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد شأن جميع الأنبياء من لدن آدم ونوح إلى نبينا محمد (٣) عليهم الصلاة والسلام أنكروا عليه ذلك بل كذبوه واتهموه بأنه ساحر مبين. قال تعالى :

{ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون

(١) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ج ١٦، ص ٥٨

(٢) لقوله تعالى : { إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } آل عمران : سورة ٣٥ - ٣٦

(٣) لقوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } الأنبياء : ٢٥

طيراً بإذني وتبرئ الأكمه، والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين { (١)

وقوله تعالى :

{ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين { (٢).

والشاهد في الآية الكريمة الأولى، قوله تعالى :

{ فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين }

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره :

>> أي : واذكر نعمتي عليك في كفى إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبؤتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم ورفعتك إلى وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لاحالة، وهذا سر من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم << (٣)

(١) سورة المائدة : آية ١١٠

(٢) سورة الصف : آية ٦

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ط دار المعرفة، ص ١١٥

والشاهد في الآية الكريمة الثانية قوله تعالى :

{ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين }

>> وقرئ هذا ساحر مبين، وأي الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر كذب وتقويه >> (١).

والظاهر - والله أعلم - أن اليهود عندما جاءهم عيسى عليه السلام بالبينات الباهرات من المعجزات كخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، وإحيائه الموتى، وإبرائه الأكمه والأبرص، كل ذلك بأمر الله وبإذنه تعالى، ومع أن اليهود - قاتلهم الله - يعلمون تمام العلم صدقه عليه السلام وحقيقة معجزاته تلك، وأن هناك فرقاً بين السحر وهذه المعجزات لأن المعجزة: أمر خارق للعادة يظهر على يدي مدعي النبوة تأييداً له في دعواه، فالمعجزات حقائق ظاهره وبينه، أما السحر فوجوده حقيقة ولكنه تخيل وكذب في حقيقته كما قال تعالى: { فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } (٢).

فالسحرة يسحرون أعين الناس، أما حقيقة الأشياء فهي كما هي لا تتبدل ولا تتغير، ومع ذلك أخذ اليهود يوهمون العوام منهم أن ما جاء به المسيح عيسى عليه السلام ليس إلا سحراً، وذلك كما فعل كفار قريش مع نبينا

(١) انظر : الكشف للزحشري، ط دار المعرفة، ج ٤، ص ٩٩

(٢) سورة طه : آية ٦٦

محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: { وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر } (١)، وكما فعل فرعون وقومه مع نبي الله موسى عليه السلام كما قال تعالى: { ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملأه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين } (٢).

ج - ينص القرآن الكريم على أن اليهود لا يكتفيهم تكذيب الأنبياء بل إنهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون!!، ومن ضمن الذين قد تورطوا بدمائهم على حسب اعتقادهم واعتقاد إخوانهم النصارى المسيح عليه السلام وقد نجاه الله سبحانه وتعالى من عبثهم كما هو ثابت في القرآن الكريم (٣) وكونهم قاموا بالوشاية وإرشاد جنود الرومان على مكانه للقبض عليه، ومطالبتهم بقتله صلباً كما هو ثابت لديهم (٤) فهذا وحده يكفي في إثبات تورطهم في دمه.

يقول جل ذكره في سورة البقرة :

{ ولقد آتينا موسى الكتاب وققينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم

(١) سورة القمر : آية ٢

(٢) سورة يونس : آية ٧٥ - ٧٦

(٣) لقوله تعالى: { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. } النساء : ١٥٧

(٤) انظر ص ٢٢٢ من هذا البحث.

استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون { (١).

والشاهد من الآية الكريمة : { فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون }

>> فقد كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء أسوأ المعاملة ففريقاً يكذبونه، وفريقاً يقتلونهم، وما ذاك إلا لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبالالتزام بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم، وربما قتلوا بعضهم.

وإنما لم يقل وفريقاً قتلتم لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم والسحر >> (٢) وفي حديث السيدة عائشة: >> كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم >> (٣).

(١) سورة البقرة : آية ٨٧

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفه، ص ١٢٢ - ١٢٣

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٣١ رواه البخاري، تعليقا في كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ووصله الزار والحاكم والإسماعيلي.

وقد رواه الدارمي في المقدمة باب ما أكرم به نبيه صلى الله عليه وسلم من كلام الموقى رقم الحديث ٦٨

رواه أحمد في المسند، ج ٦، ص ١٨ من حديث زوجة عبدالله بن كعب بن مالك عن أم مبشر.

رواه أبو داود مرسلاً ووصله البيهقي في دلائل النبوه من حديث أبي هريره.

د - وينص القرآن الكريم على أن اليهود كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، بمعنى أنه إذا فعل فريق منهم المنكر - وهو ما نهى الله عنه - لا يقاتله بل ولا ينهاه الفريق الآخر عن ترك ذلك المنكر، وكذلك كان اليهود يتخذون الذين كفروا أولياء من دون المؤمنين، لذلك لعنهم الله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام.

قال جلّ ذكره في محكم آياته :

{ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون } (١).

والشاهد في هذه الآيات الكريمات قوله تعالى :

{ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم } إذاً يتضح هنا موقفهم من المسيح عليه السلام فقد كان موقفاً قبيحاً ومشيناً وهو مخالفتهم وعصيانهم لأوامر الله التي بعث بها، لذلك فقد وجب عليهم اللعن وهو الطرد من رحمة الله على لسان داود وعيسى ابن مريم ولكونهم لا يتناهون عن منكر فعلوه، وكونهم يتولون الذين كفروا من دون المؤمنين.

>> ويخبر الله تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله

واعتدائهم على خلقه، قال العوفي عن ابن عباس لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان، ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم. فقال تعالى : { كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون } أي كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبه فقال لبئس ما كانوا يفعلون >> (١).

>> وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم، قال يزيد وأحسبه قال في أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم >> (٢).



(١) انظر : تفسير ابن كثير، ط دار المعرفة، ج ٢، ص ٨٢

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ج ١، ص ٣٩١

رواه أبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي رقم الحديث ٤٣٣٦
رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، الباب ٤٨ تفسير سورة المائدة رقم
٣٥٠ وحسنه.

رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف رقم ٤٠٠٦
رواه الطبري في تفسيره، ج ١٠، ص ٤٩١، ٤٩٣

الباب الثاني المسيح وأمه عليهما السلام عند المسيحيين

ويشتمل على ثلاثة فصول :

✻ الفصل الأول :

مريم عليها السلام في العهد الجديد.

✻ الفصل الثاني :

المسيح عليه السلام : حياته ودعوته كما
يصورها العهد الجديد

✻ الفصل الثالث :

المسيح عليه السلام في نظر الفرق المسيحية.

الفصل الأول

مريم عليها السلام في العهد الجديد

ويشتمل على سبعة مباحث :

- * المبحث الأول : معنى لفظ مريم والعذراء.
- * المبحث الثاني : خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام.
- * المبحث الثالث : بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام.
- * المبحث الرابع : رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر.
- * المبحث الخامس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية والأرثوذكسية
- * المبحث السادس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية.
- * المبحث السابع : السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة.

الفصل الأول

مريم عليها السلام في العهد الجديد

لكي نتحدث عن موقف النصارى من المسيح عليه السلام لابد أولاً من الحديث عن موقفهم من أمه السيدة مريم عليها السلام كمقدمة تمهيدية لابد منها للحديث عن موقفهم منه عليه السلام.

وعند الحديث عن مريم عليها السلام في العهد الجديد يندرج تحت ذلك عدة مسائل وهي كما يلي:

المبحث الأول

معنى لفظ مريم ، والعذراء .

يقول قاموس الكتاب المقدس أن << مريم اسم عبري معناه عصيان >> (١) ويقول أحد الكتاب المسيحيين في تفسير كلمة العذراء << إن كلمة العذراء في اللغة العربية هي فتاة لم يمسهها بشر ولكن حين تدخل عليها "أل التعريف" فيقال العذراء فإنما يقصد بها "مريم" ابنة الخبر الجليل "يواكيم" وزوجته حنه أو عمران وحنه.

وتأتي كلمة عذراء بالعبرية بنطقين :

— النطق الأول بتولا *Betula*

— والنطق الثاني ألما *Alma*

وتعريف كلمة *Betula* بالعبرية أو باريتنوس *Parthenos* باليونانية فتاة عذراء لم تعرف رجلاً، أما كلمة ألما *Alma* فتعني فتاة عذراء ناضجة كاملة الأنوثة

(١) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ص ٨٥٦

لم تنجب أطفالاً ولكن يحتمل أن تكون مخطوبه >> (١).

المبحث الثاني

خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام.

علمت - بعد البحث - أن الكتاب المقدس بما فيه العهد الجديد لم يتحدث ولم يشير إلى نشأة السيدة مريم أم المسيح عليها السلام ولا إلى عائلتها ووضعهم الاجتماعي وما إلى ذلك بل أهمل ذلك إهمالاً تاماً.

ويقول أحد الكتاب المسيحيين >> يوم ولدت مريم كان والداها يواكيم وحنه قد بلغا من العمر عتياً وماتا وهي في عمر الزنقة فنشأت يتيمة الأب والأم وعاشت في عصمة الله تستمد من السماء عطاءً وحناناً >> (٢).

>> ومنذ حادثة مريم عقدت خطبتها على مواطن لها يدعى يوسف ينتسب مثلها إلى سبط يهوذا وسبط داود الملك، ولم يكن يوسف سوى رجل جمع التقوى والفقر معاً، ومارس أعمال التجارة ليعيش من ريعها الضئيل، وكان زاهداً إلى أبعد حد، مستسلماً لمشيئة الله لا ينبس بنت شفة ولو رزح تحت وطأة الألم. وللخطبة في الشرع اليهودي تقاليد لا تختلف عن تقاليد الزواج في عصرنا الحاضر إلا أن الخطيبه - أو الزوجة - ما كانت لتنقل إلى بيت الزوجيه إلا بعد فترة

(١) يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، الناشر: دار الهلال للطباعة، ص ٤٧

(٢) الأستاذ يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٢٣، ولم يشير إلى المصدر الذي نقل عنه ولا إلى أي نقطة من الكتاب المقدس!

من الزمن تقضيها في كنف ذويها - وقد تكون لمدة عام واحد قبل الزواج - ذاك كان وضع مريم عندما اصطفاها الله، وكذلك أعد يوسف هو أيضاً منذ الأزل لاروع المهمات وأقدسها، فبتولة مريم كانت أمانة في عنقه كما كان يسوع وديعة بين يديه << (١).

وفي الإنجيل المنسوب إلى لوقا ما يلي:

>> وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم << (٢)

ويقول مفسر الإنجيل :

>> وولد المسيح من امرأة لكي يشترك في الطبيعة البشرية، وولد من عذراء لكي يكون ممتازاً على غيره من الناس بولادته كما يليق بمقامه، ولكي لا يكون شريكاً في طبيعة آدم الخاطئة كما وجب أن يكون لو وُلد ولادة طبيعية، وولد من مخطوبة دفعاً للاوهام (٣) وحفظاً لشرفها ولكي يكون لها من يعتني بها << (٤).

(١) المرجع السابق، ص ٢٦،
أيضاً انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٥٦

(٢) ١ : ٢٦ - ٢٧

(٣) السيدة مريم عندما ولدت المسيح عليهما السلام لم تكن متزوجة، وكونها مخطوبة لا ينفي عنها التهمة بقدر تبرئة الله تعالى لها كما ورد في القرآن الكريم والغريب ان الأناجيل والعهد الجديد عموماً أهمل حديث المسيح في المهد إهمالاً تاماً { ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين } آل عمران : ٤٦ { قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادم حياً، وبراً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } مريم : ٣٣-٣٣٠
(٤) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، ص ١٤٥

ويقول مفسر آخر :

>> في الشهر السادس أي من وقت الإعلان الذي أعلن به زكريا بولادة يوحنا المعمدان، وها هو جبرائيل يعود بعد هذه المدة ليعلن لمريم العذراء تلك الأخبار المفرحة، وهنا نرى الله يتم مقاصده الأزلية بترتيب وإتقان، بخلاف الإنسان الذي يتعب في ضبط أعماله، كأن بعنايته قد هيأ العذراء المغبوطه بالنعمة، فكانت الحالة مناسبة لتنفيذ مقاصد الله بواسطتها لم تكن مثل أية عذراء تعيش عيشة غير لائقة، بل صالحة لتنفيذ مقاصد الله، كان لابد أن تكون نقية ومتواضعة خاضعة لله، وقد كانت مخطوبة لرجل ولاشك أن هذا الوضع قد هيأه الرب لكي تكون وهي حبل تحت اسم يوسف، فلا تحسب زانية وتستحق الرجم حسب شريعة موسى!! << (١)

المبحث الثالث

بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام.

وقصة حمل السيدة مريم بالمسيح عليهما السلام في الأناجيل تشبه إلى حد كبير ما ورد في القرآن الكريم (٢) من حيث أن الملاك جبرائيل قد بشرها بأنها ستحبل بالمسيح عليهما السلام ثم تعجبت لذلك لأنها عذراء ولم تكن قد تزوجت، ثم حملت بأمر الله تعالى وكلمته لأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

(١) تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم / هلال أمين موسى، ص ٢٠

(٢) { إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون } آل عمران : ٤٥-٤٧

ففي إنجيل لوقا :

>> فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وإبن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى إبن الله، وهوذا إليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلن بإبن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله، فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك >> (١).

ويقول شارح الإنجيل :

>> إن مجيء الملاك إلى مريم لم يكن نتيجة اختبارات خاصة أو صلوات خاصة كما في حالة زكريا، بل نتيجة فيضان نعمة الله، اتجاه السماء نحو الأرض من أجل فرح الإنسان، وهي ليست نعمة وقتية أو بسبب ظروف متغيره بالنسبة للإنسان، بل الله نفسه يتجه للإنسان في نعمة سامية تعلو فوق كل شئ، وتسمو فوق أفكار الإنسان كسمو السماء على الأرض، ولم تكن مريم كزكريا لها تفكير في الذات، الأمر الذي

قاده إلى عدم الإيمان (١) !! وإذ لم يكن لها تفكير في الذات على الإطلاق سلمت نفسها لله لكي تصبح الإناء الذي يعمل به الله بحسب أفكار نعمته الفائضة، ولذلك نراها تقول >> هوذا أنا أمة الرب ليكن لي قولك << وتقول لها الیصابات >> فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب << (٢).

أما عن قصة وضع السيدة مريم لابنها المسيح عليهما السلام كما وردت في الأناجيل، فيروي إنجيل لوقا أن السيدة مريم ذهبت إلى بيت لحم وهي حبلى بصحبة يوسف، وذلك لكي يكتبوا في مدينتهم حسب أوامر أوغسطس قيصر، فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعتة في المذود، فقام الملاك بتبشير الرعاة الذين كانوا يحرسون في تلك الليلة بأنه قد ولد لهم المخلص وهو المسيح، وعلامة ذلك أنهم سيجدونه مضجعا في مذود للبقر، بعد ذلك ظهرت مجموعة من الملائكة يسبحون الله ويمجدونه لذلك الحدث.

وفيما يلي نص إنجيل لوقا:

>> وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونه وهذا الأكتساب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية، فذهب الجميع ليكتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف - أيضا - من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية

(١) حاشاه عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله أن يكون عديم الإيمان وهذه الجملة لا يجوز أن تُتقال في حق رجل تقى صالح على أن تُقال في حق نبي من أنبياء الله تعالى، قال تعالى: {وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين} الأنعام : ٨٥

(٢) انظر : تفسير إنجيل لوقا (هلال أمين موسى)، ص ٢١-٢٢

إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبل، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد، فولدت ابناً البكر وقمطته وأضجعتة في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل.

وكان في تلك الكوره رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً، فقال لهم الملاك لا تخافوا فيها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب، وهذه العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين، المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسره.

ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب، فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود، فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي، وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة، وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها، ثم رجع الرعاة وهم يجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم <<(١).

ويقول مفسر إنجيل لوقا :

>> وكان من عوائد الرومانيين أن تكتتب النساء كالرجال إجباراً وإلا فما اضطرت مريم أن تذهب إلى بيت لحم مسافة أربعة أيام وهي على تلك الحال،

(١) لوقا ٢: ١ - ٢٠

وقضى الله ذلك لاتمام مقاصده، ولكي لا يولد المسيح في الناصره حيث سكنت مريم بل ليولد في بيت لحم حسب النبوءة^(١) وذهاب مريم مع يوسف إلى بيت لحم للإكتتاب أحد الأدله على أنها من نسل داود.

ولنا من هذا انه اتفق اوغسطس وهيرودس وكيرينوس على إتمام مقاصد الله ونبوات العهد القديم المتعلقة بالمسيح وذلك بدون أن يقصد أحد منهم سوى اجراء إرادته، ولم يخطر على بالهم أن يكونوا آلات لتأسيس مملكة تدوم بعد اضمحلال المملكة الرومانية وملاشاة عبادتها الوثنية.

ولاشيء في كلام لوقا من الأدله القاطعه على تعيين الشهر الذي ولد فيه المسيح إلا انه كان فصلاً من السنة يمكن للرعاة فيه أن يحرسوا غنمهم في البرية ليلاً، ولما ذهب المسيح إلى يوحنا ليعتمد منه كان ذلك اليوم أول السنة الثلاثين من ميلاد المسيح وهو وفق اليوم الذي ولد فيه <<(٢)>>

وينكر المؤرخ الأمريكي <<ول ديورانت >>^(٣) أن يكون مولد المسيح في كهف أو في مذود للدواب كما ينكر سجود الرعاة له وعبادتهم إياه ويعتبر ذلك سخفاً يقول في ذلك:

-
- (١) ويشير إلى متى ٢ : ٥ وبحث مكان إشارته فوجدت مايلي:
<<أما أنت يا بيت لحم أفراثة (هكذا كتب) وأنت صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فمناك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل >> ميخا ٢:٥
- (٢) د. وليم إدي (تفسير الإنجيل)، ج ٢، ص ١٦١-١٦٢
- (٣) لترجمته انظر: هامش ص ٢٨ من هذا البحث.

>> وتأتي شخصية مريم في القصة بعد شخصية ولدها في الروعة والتأثير: فهي تربيته وتحمل مسرات الأمومة المؤلمة، وتفخر بعلمه في أيام شبابه، وتدهش فيما بعد من تعاليمه، وترغب في أن تبعده عن جمع أتباعه المثيرين، وأن تعيده إلى بيته الهادئ الشافي، وشاهدته وهو يصلب، وعجزت عن إنقاذه، ثم تلقت جسده بين ذراعيها، فإذا لم يكن هذا تاريخاً فهو الأدب السامي، لأن صلاة الآباء والأبناء تؤلف مسرحيات أعمق مما تؤلفه عاطفة الحب الجنسي، أما القصص التي أذيعت فيما بعد عن مريم وجندي روماني، فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف، وأقل من هذا سخفاً تلك القصص التي تذكر أكثر ما تذكر في الأسفار المحذوفة عن مولد المسيح في كهف أو اصطبل، وعن سجود الرعاة والمجوس له وعبادتهم إياه، وعن مذبحه الأبرياء، والفرار إلى مصر، وإن كان العقل الناضج لا يرى ضيراً في هذا الشعر الشعبي، ولا يذكر بولس ويوحنا شيئاً عن مولده من عذراء، وأما متى ولوقا اللذان يذكرانه فيرجعان نسب يسوع إلى داود عن طريق يوسف، بسلاسل أنساب متعارضة ويلوح أن الاعتقاد في مولد المسيح من عذراء قد نشأ في عصر متأخر عن الاعتقاد بأنه من نسل داود << (١).

المبحث الرابع

رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر

ويتحدث الإنجيل المنسوب إلى متى عن رحلة السيدة مريم وابنها بصحبة يوسف النجار إلى مصر وظهور الملاك ليوسف في حلم يأمره بأن يأخذ الصبي وأمه

(١) انظر: قصة الحضارة (قيصر والمسيح)، ترجمة / محمد بدران، ط ٣، ص

ويهرب بهم إلى مصر لأن الأمبراطور هيرودس قد نوى على قتل الصبي، فقام يوسف بتنفيذ الأمر فأخذهما إلى مصر حتى وفاة هيرودس.

وفيما يلي نص إنجيل متى :

>> حينئذ دعا هيرودس المجوس^(١) سراً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرؤا وسجدوا له^(٢) ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومرّاً، ثم إذ أوحى إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورثتهم. وبعدها انصرفوا إذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم وخذ الصبي وأمّه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزعم

(١) المجوس : كلمة فارسية تعني كهنة، وقد عبدوا العناصر الأربعة: النار، والماء، والتراب، والهواء، ولكن جل عبادتهم انحصرت في النار، وكانوا لا يدفنون موتاهم بل يضعونها على سطوح المنازل فتأقي جوارح الطير وتأكل لحومها، وكانوا علماء الأمة الفارسية

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٨٤٢

(٢) كيف يعظم المسيح ويسجد له جماعة من المجوس عباد النار، هكذا دون أي سبب يذكر؟، ومن أين جاءهم نبأه؟ ومن دعاهم إليه؟ كل هذه وغيرها استفهامات ترسم في الذهن لا يجد لها القارئ جواباً بين نصوص الأناجيل!!

أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني.

حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخرُوا به غضب جداً فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه المجوس، حينئذ تم ما قيل بإرمياء النبي القائل، صوت سمع في الرامه نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين.

فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر، قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي، فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل، ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهوديه عوضاً عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك وإذا أوحى إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل، وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصره لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً >> (١)

ويعمل مفسروا الأناجيل أمر ملاك الرب الذي ظهر ليوسف في حلم بالهرب إلى مصر بالذات قالوا: >> لأنها قريبة إليهم، فلا تزيد المسافة إلى تخومها على ثلاثة أيام أي نحو ستين ميلاً، ولأنها لم تكن تحت سلطة هيرودس بل تابعة للرومانيين ولأن نحو عدد كبير من اليهود كانوا قاطنين هناك، ولا يعرف المكان الذي استوطنت فيه العائلة

المقدسة، ويظن من التقاليد أنه كان قرب القاهرة ولكن لا دليل على ذلك >> (١)

ولكن أحد الكتاب المسيحيين يحدد المدن والأماكن التي ذهبت إليها مريم مع ابنها عليهما السلام بصحبة يوسف النجار في مصر ويذكر أنها استقرت بأسىوط في جبل مقام حيث الدير المحرق الآن وذلك دون أن يذكر أي دليل على أقواله وفيما يلي نص ذلك:

>> وقد سارت العائلة المقدسة إلى العريش في حمى من لا يغفل ولا ينام، ففي ظلمة الليل سار الركب العائلي في هدوء وسكينة حتى وصل إلى الفرما، وأستأنفت العائلة المقدسة السفر إلى بسطة (الزقازيق حالياً) ومنها إلى منية جناح قرب سمند ثم سمند فالبرس فدير المغطس، وبعدها جنوباً إلى وادي النطرون، ثم فانصنامير، ثم عدة بوق فالتمساحيه السواقنا فالقوصيه وأخيراً استقرت بأسىوط في جبل مقام حيث الدير المحرق الآن، ثم عادت من نفس الطريق إلى مصر القديمة حيث أقامت في موضع كنيسة سرجه ومنها إلى موضع شجرة العذراء مريم بالمطرية، ثم إلى موضع كنيسة العذراء بمسطرد، ثم تابعت العائلة المقدسة سيرها إلى فلسطين بعد أن أعلمها الملاك بوفاة من كان يطلب نفس الصبي. ولقد صممت الأناجيل الأربعة: إنجيل متى البشير، وإنجيل لوقا الطيب الرسام، وإنجيل مرقس صديق بطرس الرسول، وإنجيل يوحنا الرسول الحبيب، صممت جميعها عن ذكر أخبار تلك الرحلة (٢) حتى متى الرسول الذي أورد خبر الحلم والأمر بالهرب إلى مصر أو عن أمكنة إقامة العائلة المقدسة، أو مقدار الزمن الذي قضته في مصر >> (٣)

(١) انظر: د. وليم إدي (الكتر الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ١، ط بيروت، ص ١٧-١٨

(٢) أيضاً: تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص ١٥ إذا ما هو مصدر تلك المعلومات المفصلة عن رحلة السيدة مريم وابنها عليهما السلام بصحبة يوسف النجار إلى مصر ياترى؟! هل هو مجرد ظن؟! ولكن الظن لا يفيد علم اليقين.

(٣) انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٣٢

المبحث الخامس

السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية (١) والأرثوذكسية (٢)

>> وتسمى العذراء مريم في العقيدة المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية

(١) الكاثوليك : وكنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم والبابوات في روما خلفاؤه.

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادله وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يُصدر إرادات بابويه سامية هي إرادات إلهية، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة.

انظر : د. أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٧-٢٣٨

أيضا : محمد فؤاد الهاشمي (الأديان في كفة الميزان)، ص ٤٤

(٢) الأرثوذكس : وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريك القسطنطينية سنة ١٠٥٤ وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة.

انظر: *Encyclopedia of Religions and Ethics Vol.3, p.590*

نقلا عن : د. أحمد شلي (المسيحية)، ص ٢٣٨

<< والدة الإله >> أو << الأمومة الإلهية >> (١)

وينطق بها باللغة اليونانية [سيوتوكس *Theotokos*] وباللغة القبطية [سمامي سنوتي *Smavmi Souti*] وباللغة اللاتينية [دي ماطر *Dei Mater*] ولكن اللاتين لا يستعملون هذا المقابل الحرفي بل يستعملون [دي جيني تركس *Dei Genitrix*] وهو مقابل آخر يحمل المعنى الأصلي امتداداً للمعنى الأول.

ومريم العذراء عنصر أساسي في التجسد، وأية محاولة للتخلص من هذه الحقيقة يخلخل الإيمان المسيحي من أساسه، يدلنا على ذلك قانون الإيمان الذي يقول << نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى إلى أن يقول ونزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء..

(١) كيف تكون السيدة مريم والدة الإله؟ وأي إله؟ هل هو رب العالمين وحاشاه تبارك وتعالى أن يكون له والده أو والد أو صاحبه { قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد } الإخلاص.

أم من يكون ذلك الإله والتي هي والدته؟ هل هو المسيح؟ وإذا كان المسيح عليه السلام لم يدع ذلك بشهادة القرآن الكريم الكتاب المهيمن على جميع الكتب السماوية يقول تعالى:

{ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد } المائدة :

١١٧

انظر : ص ٤١٤ وما بعدها من هذه الرسالة.

كما شرح الرسول بولس إمكانية هذه الولادة في موضع آخر بقوله >> أدخل نفسه آخذاً صورة عبد << !!

وهذا السر العجيب هو معجزة التجسد^(١)، فالتجسد : هو اتحاد كامل بين الطبيعتين ويعرف ذلك في التعبير اللاهوتي (بالإخلاء) أي قدرة الله سبحانه وتعالى على إخلاء ذاته من مجد الألوهية في تواضع فائق لامكانية الظهور للإنسان بأي صورة مبسطة !!

ومن هنا يتضح لنا أن الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية يتفقان في أن مريم هي والدة الإله، يدل على ذلك بترديد المصلين أثناء القداس^(٢) الإلهي بقولهم >> بشفاعة والدة الإله القديسة مريم <<

كما تتفق الكنيستان بأن لمريم شفاعة عند الله لاتدانيها شفاعة أحد من الأنبياء أو القديسين أو الملائكة، فالمتعبدون من أهل الكنيستين يرون أن هناك التكريم العادي للقديسين والملائكة، ولكن هناك تكريم أكبر وأجل هو التكريم الفائق الذي تختص به العذراء مريم.

(١) العجيب في التجسد هو إيمان البعض به وتصديقهم به، فكيف يتجسد الإله خالق الأكوان ما يرى ومالا يرى؟!! ويسكن في رحم امرأة ويتغذى من جسدها، ثم تلده كما يولد أي إنسان أو حيوان!! ثم يربى في حضنها ويرضع لبنها وهو خالق الأكوان!! أي عقل هذا الذي يؤمن بهذا الهراء أو يصدقه؟! وأي ضلال هذا الذي يؤمن به ويصدقه المسيحيون؟!

انظر، ص ٤٨١ ، ٤٨٣ من هذه الرسالة.

(٢) ترديد المصلين لذلك الذي يسمى بالقداس ليس بدليل على صحته، وإنما يدل على مدى ضلال المساكين المخدوعين بهذه العقيدة.

ويدللون على ذلك بأن الله عز وجل وقد كرمها باختيارها للرسالة السماوية دون نساء العالمين فلا بد إذن أن تكون لها مكانتها العالية عنده سبحانه وتعالى. وأمومة مريم الإلهية التي حازتها بولادتها للسيد المسيح تجعلها شريكة في عملية الفداء والخلاص.

ومن قبل دحض بولس الرسول ما نادى به [نسطور Nestor] فيما بعد فقد قال الرسول بولس ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ولكن [نسطور Nestor] أسقف القسطنطينية الذي نادى بانفصال الطبيعة الإلهية عن الطبيعة البشرية للسيد المسيح رفض لمريم هذا اللقب [والدة الإله] أي أن العذراء مريم تكون بذلك والدة الأقتوم الجسدي ذي الطبيعة الجسدية فقط ولا علاقة لها بالأقتوم الإلهي ذي الطبيعة الإلهية فسمّاها والدة المسيح و [والدة الإنسان].

ولكن الكنيسة تصدت لهذا النزاع اللاهوتي الخطير في المجمع المسكوني الذي عقد في أفسس ٤٣١م برئاسة القديس كيرلس بابا الاسكندرية وأثبت اتحاد الطبيعتين في شخص المسيح اتحاداً كاملاً كلياً.

وتلقيب مريم بوالدة الإله يطابق نصوص الكتاب المقدس كقول الإنجيل حين زارت العذراء مريم ابنة خالتها اليصابات زوجة زكريا إذ قالت لها اليصابات >> من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلى << (١)

كما يطابق نبوءات الأنبياء أشعياء النبي >> لكي يعطيكم السيد نفسه آية

(١) لوقا ١ : ٤٣

ها العذراء تحبل وتلد >> (١)

ويعترف البابابولس السادس في توجيه منشور له إلى الأساقفة (٢) إلى أن العبادة المسيحية تمتد من الآب والإبن والروح القدس إلى أم الرب أي السيدة مريم!! ثم إلى القديسين لأن الكنيسة تعلن فيهم سر الفصح اذ تألموا مع المسيح وتمجدوا معه وفيما يلي نص حديثه:

>> يحسن أولاً وإلى أعلى حد، أن تعبر الممارسات التقوية نحو العذراء مريم، بوضوح عن طابع الثالوث وكيان المسيح الملازم لها بموجب أصلها وجوهرها، اذ أن العبادة المسيحية هي بطبيعتها عبادة تقام للآب والإبن والروح القدس، أو على الأصح حسب تعبير الطقس، للآب بالإبن في الروح القدس، ولهذا القصد تمتد العبادة بحق، ولو كان بصورة مختلفة إختلافاً جوهرياً، أولاً وبخاصة إلى أم الرب، ثم إلى القديسين، لأن الكنيسة تعلن فيهم سر الفصح اذ تألموا مع المسيح وتمجدوا معه، ففي العذراء يرجع كل شيء إلى المسيح ويتبعه إذ أنه من أجله قد اختارها الله الآب من قبل الدهور أما فائقة القدسية، وزينها بمواهب الروح، مما لم يمنحه لأي كائن آخر >> (٣).

(١) أشعيا ٧ : ١٤

انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٤٨ - ٥٠
(٢) مفرده أسقف وهي مرتبة معينة في نظام اللاهوت المسيحي تبدأ بالبطريك ثم المطران ثم الأسقف ثم القسوس ويسمون بالقمامصه والقسوس ذوي المرتبة البسيطة ويطلق عليهم اسم القساوسة فقط.

انظر: الأديان في كفة الميزان، محمد الهاشمي، ص ٤٤

(٣) انظر: البابا بولس السادس (إكرام مريم) ترجمة د. بطرس كساب، ص ٢٦

أما المؤرخ المسيحي [جاء المنفلوطي] فيؤيد القول بالاتجاه إلى العبادة المريمية في العصور الوسطى، وأنها من أهم الشخصيات التي أصبحت الجماهير تقدم لها عبادتها مع وجود المعارضين في ذلك يقول:

>> ومن أهم الشخصيات التي أصبحت الجماهير تقدم لها عبادتها القديسة مريم العذراء، ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن العبادة المريمية وجدت معارضة في الفترات السابقة من تاريخ الكنيسة، وكان من هؤلاء المعارضين [أبيفانيوس] الذي كان يؤمن باستمرار عذراوية القديسة مريم بعد ولادتها ليسوع، لكنه رغم هذا كتب يقول: لنكرم العذراء تكريماً يليق بها، لكن دعونا نقدم عبادتنا للإله الواحد الآب والإبن والروح القدس.

وقد اعتنق كثيرون هذه الفكرة، لكن تطورت الأمور بعد ذلك، حتى وصلت إلى العبادة المريمية، ثم ظهرت عقيدة الحبل بالعذراء بلادنس، باعتبارها الإناء الذي اختاره الله ليحل فيه جسد الإبن المبارك >> (١).

(١) تاريخ المسيحية في العصور الوسطى، ط دار الجيل، ص ٤٤

المبحث السادس

السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية (١)

>> ينظر البروتستانت أو الإنجلييون إلى العذراء مريم نظرة الحب والاحترام والتبجيل والإعزاز، فهم يرون أن الله قد اختارها لتكون أم المخلص يسوع من دون نساء العالم، لأنها أفضلهن.

(١) البروتستانت : وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، وقصد بهذه التسمية أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى فالكل له الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسؤولون أمام هذا الكتاب، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفاً على رجال الكنيسة، والتي لاتعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحد عن الآخر.

وتنتشر البروتستانتية في المانيا وانجلترا والداغرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية، ولكن الإنجليز اعتقدوا أن حركة الإصلاح حركة رشيدة عادلة وأنها الاصل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة.

وسمي الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية بروتستنت، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى بالانجليزية برتست، فسمي الذين أمضوا القرار بروتستنت أي المحتجين.

انظر : د. أحمد شلي، المسيحية، ط ٦، ص ٢٤٠

أيضاً : محاضرات في النصرانية للإمام أبو زهرة، ط دار الفكر، ص ٢٠٠

كما يعتقدون أنها ولدت من أب وأم بالخطيئة الأصلية^(١) !! >> معصية آدم
لربه >> شأن بقية أبناء العالم، ويدللون على ذلك بقول مريم >> وتبتهج روعي بالله
مخلصي >> فهذه شهادة منها عليها السلام بأنها نالت الخلاص من المخلص أي ابنها
السيد المسيح له المجد، الذي جاء إلى الأرض وصلب من أجل آثام البشرية^(٢).

وأما عن الشفاعة فهم يعتقدون أن لهم شفيعا واحدا هو السيد المسيح - له
المجد - إذ يقول: >> تعالوا إلي يا جميع المتعبين ومثقلي الأحمال وأنا
أريحكم >>^(٣).

(١) ليست هناك خطيئة أصلية، وليس هناك أحد يولد بها، فإن كان آدم عليه
السلام قد عصا ربه فقد استغفره وقد عفا عنه سبحانه وغفر له، قال تعالى:
{ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى } طه ١٢١ - ١٢٢
وبالطبع وبالعقل فإن ذنوب الآباء لا تنتقل أبداً إلى الأبناء والعكس صحيح،
فالكل محاسب على أعماله إن خيراً فخييراً وإن شراً فشراً، قال تعالى: { فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } الزلزلة : ٧-٨

(٢) لنقض عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، انظر ص ٥٢٦ وما بعدها من هذه
الرسالة.

(٣) انظر: يوسف حلمي المصري، مريم في الإنجيل والقرآن، ص ٥١

ولكن الكاتب لم يرجع النصوص التي نقلها إلى مصادرها فحاولت الاستدلال
عليها من قاموس الكتاب المقدس فلم استطع التعرف على مواقعها فيه.

المبحث السابع

السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة

بعد أن بحث في كتاب قاموس الكتاب المقدس ثم في كتاب العهد الجديد لأجد أي ذكر عن وفاة السيدة مريم، أو أي ذكر للسيدة مريم في أيامها الأخيرة فلم أجد أي ذكر لذلك، ولكنني وجدت في كتاب (مريم في الإنجيل والقرآن) مقالاً عن هذا الموضوع فأضفته هنا ليكمل الفصل الأول من هذا الباب.

يقول المقال : >> لم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن مريم بعد دفن ابنها السيد المسيح ولكنها رجعت حسب وصيته له المجد إلى بيت يوحنا الرسول وقام المسيح في اليوم الثالث بعد دفنه، وظهر لتلاميذه طوال أربعين يوماً، وكانت مريم معهم طيلة هذه المدة، وكانت في حياتها تداوم على الصلاة والعبادة.

وكانت مريم مع الرسل في أورشليم وقت حلول الروح القدس عليهم في اليوم الخمسين من قيامة السيد المسيح، وبعد إثني عشر عاماً من انتقال السيد المسيح له المجد، أراد الله سبحانه وتعالى أن تنتقل مريم العذراء فائقة الطهر من العالم الزائل إلى الحياة الأبدية، فأرسل لها ملاكاً يحمل إليها خبر إنتقالها، ففرحت كثيراً، وطلبت أن تجتمع مع الرسل في الجثمانية حيث كانت موجودة، وبإرادة إلهية حضروا جميعاً من أنحاء العالم - ماعداً توما الرسول - حيث كانوا يكرزون بالإنجيل، فعزتهم وودعتهم كما حضر ابنها السيد المسيح وأسلمت روحها الطاهرة بين يديه المقدستين.

وقد روى التقليد الكنسي أن الرسل حملوا جسدها الطاهر في موكب الدفن وهم يرتلون مع الملائكة، ولكن اليهود اعترضوا طريقهم وهجموا على الفراش الذي يحمل جسد العذراء يرومون طرحه على الأرض ولكنهم نالوا القصاص الألهي، فأصيبوا بالعمى أما المعتدي فقد انفصلت يده عن جسده وعلقتا بالنعش فبكى وتاب.

فقال له بطرس الرسول >> آمن أن هذه بالحقيقة هي أم السيد المسيح الذي ولد من هذه العذراء، فصرخ معترفاً ببتولية العذراء وبأنها أم السيد المسيح - له المجد - فقربه بطرس من يديه وفي الحال التصقت يداه بجسده مرة أخرى.

ودفنها الرسل في الجثمانية بجبل يهو شافاط، وظل الرسل يصلون ويسبحون أمام قبرها.

أما توما الرسول فقد كان يكرز بالإنجيل في بلاد الهند حين أرسل الله إليه صحابه لتحمله إلى بلدة الجثمانية ليلتقي بإخوانه الرسل، ورأى وهو على السحابة الملائكة تحمل جسد العذراء فاستفسر عن الحقيقة فقالوا له إنه جسد العذراء التي تَنَيَّحَت، وقد أمرنا السيد الإله أن نحمله ونصعد به إلى الفردوس النعيم، ففرح كثيراً وسجد وقبّل جسدها الطاهر،

وصلى الرسل صلاة حارة، ضارعين إلى الله أن يريهم موضع الجسد فاخطفوا في ١٦ أغسطس إلى الفردوس السماوي حيث رأوا الجسد الطاهر موضوعاً تحت شجرة الحياة انتظاراً ليوم القيامة.

وقد كانت العذراء تبلغ الثالثة عشر من عمرها حين جاء جبرائيل عليه السلام يبشرها بميلاد المسيح له المجد.

وقد عاشت مريم مع السيد المسيح ثلاثة وثلاثين عاماً، وبعد قيامته عاشت مريم اثني عشر عاماً أي أنها بلغت من العمر حتى يوم وفاتها ثمانية وخمسين عاماً >> (١).

(١) انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٤٠-٤٢ بتصرف قليل، ولم يذكر المصادر التي نقل عنها.

الفصل الثاني

المسيح عليه السلام حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد

ويشتمل على تسعة مباحث :

- * المبحث الأول : ميلاد المسيح عليه السلام.
- * المبحث الثاني : طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصور ذلك العهد الجديد.
- * المبحث الثالث : معموديته وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد.
- * المبحث الرابع : معجزات (آيات ودلائل) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد.
- * المبحث الخامس : الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته، ثم صلبه ودفنه وقيامته، وصعوده إلى السماء كما يزعم النصارى في أناجيلهم.
- * المبحث السادس : صلبه كما يزعم النصارى في أناجيلهم.
- * المبحث السابع : تكفينه ثم دفنه كما تروى أناجيلهم.
- * المبحث الثامن : قيامته من قبره كما يزعمون.
- * المبحث التاسع : صعوده إلى السماء.

الفصل الثاني

المسيح عليه السلام حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد

لقد تحدث العهد الجديد، وأكثر من الحديث عن المسيح عليه السلام بل كان عليه السلام محور حديثه، فالعهد الجديد عامةً والأنجيل الأربعة خاصة كانت عبارة عن روايات تاريخية مشوشة - لا تخلو من التناقض والتحريف (١) عن حياة السيد المسيح عليه السلام منذ الحبل به وولادته ونشأته ودعوته حتى صلبه ودفنه وقيامته كما يزعمون.

وفيما يلي سنتحدث عن حياته ودعوته في نظر المسيحيين، وكما يصور ذلك العهد الجديد وسيشمل على المباحث التالية :

المبحث الأول :

ميلاد المسيح عليه السلام

لقد تحدثنا عن ميلاده عليه السلام في الفصل السابق عند الحديث عن السيدة مريم عليها السلام في العهد الجديد، ولكننا نضيف إلى ما ذكرناه - سابقاً - الحديث عن تاريخ ميلاده عليه السلام وكيف أن هذا التاريخ قد وقع فيه الخطأ، لاندري أهو خطأ مقصود أو غير مقصود، وفيما يلي نص قاموس الكتاب المقدس :

(١) انظر : التحريف والتناقض في الأنجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ١٠٩ وما بعدها، ص ٢١٥ وما بعدها.

>> وإذن فميلاد المسيح تم إما في أواخر سنة ٥ ق.م أو في أوائل سنة ٤ ق.م (١) أما الاحتفال بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر فقد بدأ في القرن الرابع الميلادي، ولذا فربما كان ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ٥ ق.م، وهذا يجعله سابقاً للتاريخ الذي وضعه ديونيسيوس (أي ٢٥ ديسمبر سنة ١ ميلادية بخمس سنوات، أما تاريخ بدء خدمة المسيح ومناذاته ببشارة الإنجيل فيفهم من لوقا (٢) حيث يذكر البشير انه عند بدء خدمته كان في الثلاثين من عمره تقريباً، وقد بلغ الثلاثين من العمر في ٢٥ ديسمبر سنة ٢٦ ميلادية << (٣).

المبحث الثاني

طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصور ذلك العهد الجديد

ويتحدث الإنجيل المنسوب إلى لوقا عن السيد المسيح عليه السلام في طفولته وصباه ونموه عليه السلام وقد ذكر بأنه عليه السلام عندما كان صبياً ينمو ويتقوى بالروح ويمتلئ بالحكمة والنعمه، وأن أبواه - ويقصد بذلك السيدة مريم - عليهما السلام ويوسف النجار قد نسياه مرة في أورشليم!! وقد كان عمره آنذاك اثني عشر عاماً، وبعد مسيرة يوم رجعا إلى أورشليم لبحثا عنه فوجدان بعد ثلاثة أيام وسط المعلمين يناقشهم وقد تعجب منه سامعوه.

(١) لاندرى كيف يختلفون في ميلاد من يدعون أنه المخلص من الذنوب بل هو الإله وإبن الإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) ويشير إلى موضع من لوقا : >> ولما ابتداء يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن إبن يوسف بن هالي << لوقا ٣ : ٢٣

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٨٦٤

وفيما يلي نص إنجيل لوقا :

>> وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمةً وكانت نعمة الله عليه، وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم في عيد الفصح، وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما، وإذ ظناه بين الرقعة ذهاباً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا وسط المعلمين يسمعونهم ويسألهم، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلما أبصراه اندهشا، وقالت أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذنين، فقال لهما لماذا كنتما تطلباني ألم تعلمتا أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي، فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما، ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس >> (١)

ويقول المفسرون في تفسير هذا النص :

>> يتضح أن ليسوع نفساً بشرية كما أن له جسداً بشرياً، وأن عقله كان يتسع في المعرفة والعلم مع نمو جسده، وإتساع عقله تدرجاً لا ينفي لاهوته، كما أنه لا ينفيه نموه في القامة والقوة (٢)، فاختر يسوع في حياته كل أحوال الإنسان إذ كان طفلاً

(١) لوقا ٢ : ٤٠ - ٥٢

(٢) بل إن هذا الدليل كافٍ على أنه ليس بإله ولا يمكن أن يكون إلهاً، فهو إنسان وبشر وبني معصوم ومصطفى من الله تعالى، فهو يتدرج في النمو والقوة والقامة كما يتدرج الإنسان العادي إلا أن له صفات الأنبياء ومميزاتهم.

ثم صبيّاً ثم شاباً ثم رجلاً كامل السن!! لكي يشعر مع جميع الناس صغاراً وكباراً، ولم يكن بين يسوع وأترابه فرق إلا بأنه كان كامل القداسه.

وكان على كل ذكور اليهود شرعاً أن يأتوا أورشليم ثلاث مرات كل سنة في الأعياد، ولم يكن ذلك مشروعاً على النساء ولا ممنوعاً، والراجح أن النساء التقيات كثيراً ما رافقن أزواجهن إلى هنالك، .. والأرجح أن مريم قصدت أورشليم حباً لله لاطوعاً لأمر ذلك المعلم اليهودي.

صعدوا : أي يوسف ومريم ويسوع، ويستنتج من هذا أن يسوع لم يصعد إلى أورشليم منذ ختانه وتقديمه للفداء، وكان في ذلك الوقت قد بلغ السن الذي اعتاد اليهود أن يأخذوا من بلغه من أولادهم إلى العيد في أورشليم ليشاركوهم في اتمام الفروض. وكانت المسافة بين الناصرة وأورشليم نحو ثمانين ميلاً وكان يقطعها الفارس في ثلاثة أيام أو أربعة، وكان المسافرون في مثل ذلك الوقت ألوفاً، والحادثة الآتية هي الحادثة الوحيدة التي ذكرت منذ إتيانهم من مصر إلى الناصرة إلى أن بلغ سن الثلاثين وابتدأ يبشر.

بقي .. الصبي يسوع : لم يذكر لوقا كيف كان ذلك، ولا يلزم من هذا أن يوسف ومريم لم يعتنيا به الاعتناء الواجب، والأرجح أنه كان معهم جماعة من أقربائهم وأصحابهم الذين أتوا معهم من الناصرة هم وأولادهم فكان يوسف ومريم يتركان يسوع بينهم، ولاريب في أن يسوع كان أكثر إدراكاً ونباهة من سائر أترابه حتى لم يكن محتاجاً إلى من يعتني به كغيره >> (١).

(١) انظر : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل د. وليم إدي، ج ٢، ص ١٧٣

ونلاحظ أن الشارح لهذا النص يحاول التعليل لنسيان الصبي كما يحاول إبعاد تهمة عدم الاعتناء به من قبل مريم عليها السلام ويوسف.

وهناك شارح آخر لنفس النص يدعي بأنهما أي مريم عليها السلام ويوسف لم يعرفا قيمة الكنز الذي أئتمنا عليه يقول : << في هذه الحادثة نرى يوسف ومريم لاسيران مع الأمور كما هي بحسب فكر الله، ومع أنهما من الأتقياء لم يعرفا قيمة الكنز الذي أئتمنا عليه، ذهبا مسيرة يوم بدونه، وكان هو في ذلك الوقت في الهيكل قد يرجع الجميع بعد أن يكملوا الطقوس المطلوبة منهم، ولكن إتمام الطقوس الواجبة شيء والتعلق بأمور الله شيء آخر >> (١).

ثم يعود المفسر مرة أخرى ليعلل - بعد ذلك - لكيفية نسيانهم له.. وأنهم كانوا في قافلة كبيرة ولم يعلموا بنسيانهم له إلا بعد نزول القافلة في المساء واجتماع كل عائلة على حده يقول:

<< لابد من أنه كان الراجعون من أورشليم إلى الناصره قافلة كبيرة ولذلك لم يستطيعا في أول اليوم وهما مسافران في الطريق أن يتحققا أن يسوع ليس معهم ولكن عند نزول القافلة مساءً واجتماع كل عائلة على حدها اتضح انه ليس في القافلة، فرجعا في الغد يسألان عنه كل من رأياه في الطريق وفحصا عنه في اورشليم يوم وصولهما ولم يجداه إلا صباح غده وهو اليوم الثالث فيتضح من ذلك أنه ليس لواحد منهما قوة إدراك غير عادي وإلا لم يتعبا هكذا.

(١) انظر: تفسير إنجيل لوقا جمع وتقديم هلال أمين موسى، ط ١٩٧٠م،

<< وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل ... >>

في الهيكل : أي في احد أروقة دار النساء حيث اعتاد علماء اليهود أن يعلموا الناس مجاناً ويفسروا الشريعة ويتباحثوا في المسائل الدينية.

المعلمين : وهم الربانيون من كتبة وفريسيين.. وأظهر يسوع بذهابه إلى الهيكل عندما ترك لنفسه وحضوره مكان التعاليم الدينية أي المواضيع التي تلذ له أعظم لذه. وكان طريق السؤال والجواب مما اختاره المعلمون للتعليم في تلك الأيام فكان التلميذ يسأل عما يجهل والمعلم يسأل ليعرف ما عند التلميذ ويبيّن كلامه على الجواب فيزيل الخطأ ويجبر النقصان >> (١).

ويضيف الشارح للنص السابق :

>> ولأريب في أن المسيح أظهر بأسئلته وأجوبته قوة عقل وصحة علم لم يشاهد الناس نظيرها من أولاد مثل سنه، وكان ذلك أشعة من النور العظيم الذي بدأ منه في تعليمه الشعب فيما بعد >> (٢).

ويذكر النص من إنجيل لوقا أنهما أي مريم عليها السلام ويوسف عندما أبصراه اندهشا ويعلل الشارح سبب إندهاشهما : >> بأنهما لم يتوقعا أن يجداه مطمئناً بل انتظرا أن يجداه قلقاً خائفاً من بقائه منفرداً عن أهله لكنهما رأياه هادئاً مسروراً بمعاشرة من هم أكبر منه خلافاً لما يتوقع من ابن اثنتي عشرة سنة، ويحتمل أنهما أصغيا

(١) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، ص ١٧٤

(٢) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة

إلى كلماته في خطاب المعلمين وتعجبا من حكمته التي لم يعهدا مثلها منه وإن كانا قد
أختبرا قبل ذلك أنه حكيم >> (١)

ويستنتج المفسر للنص أن مريم عليها السلام كانت كالتى توبخ ابنها عندما
سألته >> لماذا فعلت بنا هكذا ؟ <<

يقول :

>> أي لماذا بقيت ونحن قد ذهبنا ولم يكن من عجب بأن تسأل مريم ابنها هذا
لو كان كسائر الأولاد لكنها غفلت عن كل ما أوحى إليها به في شأن يسوع، ولا بد
من أنه كان في سؤالها إياه شيء من التوبيخ على ظنها أنه كان يجب عليه أن يلزمهما
ولا يفتكر إلا فيها.

أبوك : هذا يدل على أن مريم اعتادت في مخاطبتها يسوع أن تسمي يوسف
أباه وأنت ذلك جرياً على عادة الناس لأنهم لم يعلموا حينئذ أن الله أبوه (٢).

معذنين : كانا معذنين لأنهما جهلا أين هو وخافا من أن يعرض له سوء أو أنه
في حاجة أو ضيق >> (٣)

(١) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٢) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً { قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم
يولد، ولم يكن له كفواً أحد } الإخلاص.

وللرد على هذه الشبهة، انظر ص ٣٦٣ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

ويتعجب المفسر لإنجيل لوقا من أن مريم عليها السلام ويوسف لم يفهما ما
قاله لهما المسيح عليه السلام بعد أن وجداه قال لهما: >> ألم تعلما أنه ينبغي أن
أكون في مالأبي <<

يقول ..

>> نستغرب عدم فهم يوسف ومريم معنى يسوع بعد ما عرفاه من الإعلان
الإلهي.. وإذا كان أبواه مع ذلك كله لم يفهما مراده فلا عجب من أن تلاميذه لم
يدركوا معاني تعاليمه <<.

>> ثم نزل.. وكان خاضعاً لهما << يقول المفسر : هذا مثال لكل الأولاد
في وجوب الطاعة لوالديهم، وذكر خضوعه لأبويه الأرضيين دفعاً لما يتوهم من
بيانه أن الله أبوه الوحيد أنه أنكر نسبته إلى أنسابه في الجسد لأن إعتباره لتلك
النسبه جزء من تكميل كل بر <<.

ويكمل مفسر إنجيل لوقا الحديث عن تدرج المسيح عليه السلام في النمو
في صبوته فيقول :

>> أي أنه كان يظهر من الأخلاق الجميلة والصفات الحسنة والأعمال
الصالحة ما جعل الله يسر به ويمنح له علامات المسره بما وهبه له من المواهب
الجسدية والعقلية والروحية، وما ذكر جعله محبوباً إلى الناس لأنه لم يبتدئ يوبخ
الناس على خطاياهم ليهيج غضبهم عليه، وانتظار يسوع وصبره ثلاثين سنة قبل

أن ابتدأ التبشير مثال لنا في التوقع والصبر >> (١).

وهناك نص آخر في الإنجيل المنسوب إلى متى يتحدث عن المسيح عليه السلام عندما جاء إلى وطنه الناصرة وكان يعلم اليهود في مجامعهم حتى تعجبوا منه ومن حكمته وقوته، إذ كيف يصدر هذا كله عن ابن نجار!!

وفيما يلي انقل هذا النص :

>> ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات، أليس هذا ابن النجار، أو ليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان، ويهوذا، أو ليست أخواته جميعهن عندنا. فمن أين لهذا هذه كلها، فكانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته، ولم يضع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم >> (٢).

يقول المفسرون في تفسير هذا النص :

إن وطنه المقصوده هنا هي >> الناصرة >> (٣).

(١) انظر : الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ١٧٦

(٢) متى ١٣ : ٥٤ - ٥٨

(٣) انظر : تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ط مكتبة النيل المسيحية، ص ١٢٨

أيضا: الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٢٢٨

ويضيف الشارح: >> كان الشعب أقل قسوة مما كانوا في مجيئه الأول إليهم ولكنهم ليسوا أكثر ايماناً من ذي قبل وفي سؤالهم ضرب من الشك والاستخفاف، وقد سلموا انه اظهر حكمة وقوة غريبه و اشاروا إلى أن تلك الحكمة وتلك القوة ليستا له انما من آخر ولعل بعضهم ظنهما من الشيطان.

انهم لم ينكروا على المسيح معجزاته لكنهم لم يسلموا بأنها برهان على أنه المسيح فاكتفوا بان عجبوا منها كأمر فوق ادراكهم ولكن تسليمهم بحكمته وقوته لم يترك لهم عذراً على عدم ايمانهم ودل على أن التعصب والحسد والبغض تعمي القلب وتمنعه من تصديق ما تشهد به الحواس ويحكم به العقل >> (١)

ويضيف الشارح : >> اتخذ اهل الناصرة معرفتهم يسوع منذ الطفوليّه ومعرفتهم أهله وانسابه ومهنتهم ونسبته إليهم أي أنه واحد منهم عذراً على رفضهم دعواه أنه المسيح وهذا عذر باطل لانه بني على التعصب والهوى والحسد لا على استدلال عقلي >> (٢).

ويعلق الشارح على لفظ ابن النجار الوارد في النص:

>> اشتهر المسيح بين الناس بأنه ابن يوسف النجار.. وكان كلاً من اليهود في ذلك الوقت يتعلم شيئاً من الصنائع مهما كانت وظيفته أو رتبته، فلا ينتج من دعوتهم اياه بابن النجار أن النجارة كانت صناعة دنيئة أو أن يسوع صار ادنى منهم لمزاولته

(١) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٢٢٨

(٢) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

النجارة بل غرضهم بيان أنه كان مثلاً لهم لاحق له أن يدعي أنه اعظم منهم <<(١)>>.

<< أو ليست اخواته جميعهن عندنا.. >>. ويعلق الشارح على لفظ عندنا بأنها << الناصرة وهذا دلالة على أن الناصرة مازالت مسكن اهل يسوع بعدما ذهب منها ومن العجب انهم اتخذوا معرفتهم اصل يسوع وعائلته ومعرفة كل منها دليلاً على عدم صحة دعواه أنه المسيح >>(٢)

فكانوا يعثرون به : << هم كسائر اليهود انتظروا أن يأتي المسيح ملكاً ارضياً فيجعل الأمة اليهودية اقوى من الأمة الرومانية.. وعلى ذلك صعب عليهم أن يعتقدوا أن ابن النجار ابن قريتهم أنه هو المسيح المنتظر فكان حجر عثرة لهم فانهم اعترفوا بحكمته وقوته ولكن اهواءهم منعتهم من قبول تعليمه >>(٣)

<< ليس نبي بلا كرامة.. >> ، << لم يتخذ المسيح رفضهم اياه اعتداءً عليه واهانة له بل تصديقاً لقول جرى عندهم مجرى المثل وهو أن الإنسان يجد من الغرباء اعتباراً لدعواه لايحدها ممن هم اقرب إليه، وعلة ذلك أن الغرباء يحكمون له بالنظر إلى اعماله العلنية وسيرته باعتباروظيفته ولكن اقاربه يحكمون بالنظر إلى امور ماضيه لاطائل تحتها من جهة الأصل والسيرة >>(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٩

(٣) المصدر السابق، نفس الصحيفة

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣٠

ويعلق الشارح على آخر فقرة في النص السابق من الإنجيل المنسوب إلى متى فيقول :

>> فكانت نتيجة عدم ايمانهم محزنة وهي أنه لم يصنع بينهم من المعجزات الا اقل مما صنعه في غير قريتهم من الجليل لانهم لم يطلبوا إليه الشفاء لعدم ثقتهم بقوته عليه، ولادليل على أن احداً منهم طلب أن يشفيه وطرده، فيظهر من ذلك أن المسيح لم يصنع المعجزات ليُقنع منكري دعواه وإلا جاء باعظم المعجزات للذين هم اقل ايماناً من غيرهم ولكنه صنع المعجزات ختماً لسلطانه لمن استعدوا لقبوله بآية إلهيه >> (١).

المبحث الثالث

معموديته (٢) وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد

يقول قاموس الكتاب المقدس : >> عندما بلغ يسوع الثلاثين من العمر حوالي عام ٢٧ الميلادي (٣) ترك الناصره واعتمد من يوحنا المعمدان، وبعمله هذا اعلن جهاراً أنه قد تقبل عمله المجيد كالمسيا وكابن الله الوحيد (٤) والمخلص الذي مع أنه بلا خطيئة تماماً إلا أنه حمل خطيئة البشر >> (٥).

(١) المصدر السابق، نفس الصحيفة

(٢) لتعريف المعمودية، انظر: هامش ص ٧٩ من هذا البحث

(٣) ويشير إلى (لو ٣ : ٢٣) ولم يكن النص مناسباً لما ذكر وهو كما يلي:

>> ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن

يوسف بن هالي، بن ميثاث بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف، بن متاثيا

بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي.. الخ (لو ٣ : ٢٣-٢٥)، أما

النص المناسب لما ذكره القاموس فهو (لو ٣: ١٥).

(٤) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٥) لنخبة من ذوي الاختصاص، ط ٦، ص ٨٦٦

أما النص من الإنجيل المنسوب إلى لوقا والذي يتحدث عن فعمودية المسيح عليه السلام فيفهم منه أن الشعب كله كان يظن أن يوحنا هو المسيح، فأفهمهم يوحنا بأنه سيعمدهم بالماء، ولكن سيأتي من هو أقوى وأشرف منه بحيث أنه ليس أهلاً لأن يحل سيور حذائه فيعمدهم بالروح القدس وناراً!!، فعمد يوحنا جميع الشعب بالماء ثم عمّد يسوع المسيح أيضاً، ثم أخذ يسوع يصلي فنزل عليه الروح القدس بهيئة الحمامة.

وفيما يلي نص إنجيل لوقا :

>> وإذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح، أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا اعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن احل سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار >> (١).

>> ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً، وإذا كان يصلي انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً انت ابني الحبيب بك سررت >> (٢).

ويعلق قاموس الكتاب المقدس على هذا النص بقوله :

>> وهذه الكلمات تعلن أن هذا هو المسيا الذي تتحقق فيه النبوات بأنه عبدالله المطيع لارادته المتألم لأنه يحمل خطيئة الكثيرين >> (٣).

(١) لوقا ٣ : ١٥ ، ١٦

(٢) لوقا ٣ : ٢١ - ٢٢

(٣) ط ٦ ، ص ٨٦٦

ويعلق المفسر لإنجيل لوقا على هذا النص قائلاً :

>> وتنقسم خدمة يوحنا إلى قسمين :

القسم الأول : الكرازة^(١) بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.

والقسم الثاني : شهادته للمسيح كمن هو أقوى منه، وهذه الشهادة لما نطق بها ازداد تأثير خدمته على الشعب وظن الشعب أنه المسيح، وأتت عندئذ الفرصة المناسبة أمام الخادم الأمين ليشهد لسيدته الذي هو مرسل أمامه >> يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه >> كان يوحنا عظيماً، ولم يكن إنساناً عادياً لأنه كان ممثلاً في بطن أمه بالروح القدس^(٢)، ولا شك أن عظمة يوحنا كانت ظاهرة أمام الجموع، فكم بالحرى الصورة التي رسمها المعمدان عن شخص المسيح؟ ولكن مهما كانت عظمة الصورة التي يرسمها المعمدان للمسيح فهي أقل من الحقيقة بكثير >>^(٣).

>> هو سيعمدكم بالروح القدس ونار >>

ويضيف المفسر لإنجيل لوقا :

>> ولنلاحظ أن معمودية الروح القدس والنار ليست شيئاً واحداً

فمعمودية الروح القدس ينالها كل مؤمن وهي تعني سكنى الروح القدس في

(١) التبشير والدعوة.

(٢) لم يأتِ بدليل على هذا الرأي.

(٣) انظر: تفسير إنجيل لوقا جمع وتقديم هلال أمين موسى، ط عام ١٩٧٠م،

المؤمن بمجرد الإيمان، ولكن المعمودية النار ليست سوى الديونة لغير المؤمنين >> (١).

ويضيف الشارح أيضاً :

>> ولما اعتمد (٢) جميع الشعب >> أي جميع الذين أصغوا لصوت يوحنا ومن الأناجيل الأخرى يتضح ان الذين اعتمدوا كانوا على وجه الإجمال الخطاة والعشارين والزناة، أي أناساً ليس لهم شيء من بر أنفسهم يتكلمون عليه، وأما الفريسيون والكتبة وكل من شاكلهم فرفضوا المعمودية يوحنا، إذ كانوا أبراراً عند أنفسهم، لقد جاء يوحنا في طريق البر، فكان يطلب البر العملي من الشعب، وجميع الذين اعترفوا بخطاياهم والشعب ابتدأوا بالأثمار اللائقة بالتوبة، وصاروا الخراف الذين كان المسيح يقودهم ويسمعهم صوته كالراعي الشفوق الحنون، دخل هؤلاء من باب المعمودية للتوبة، وأخذوا يسلكون في الطريق المرضية لله، وأصبحوا على نوع ما مفرزين عن الجانب الأكبر من الأمة المتمردة المتقدمة نحو الغضب الآتي بخطوات سريعة.

وقد اختار الرب (٣) طريق الذين اعتمدوا من يوحنا وطلب أن يعتمد بهذه المعمودية لكي ينضم إليهم جهاراً، كانوا هم خطاة سلكوا طريق التوبة، وكان هو القدوس البار، الذي ليس له حاجة إلى التوبة.

(١) المصدر السابق، ص ٦٠

(٢) يقصد : الذين عمدهم يوحنا بالماء من الشعب.

(٣) يقصد بذلك المسيح تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ولذلك نرى الرب يسوع وهو في المعمودية يصلي، وكان في هذا النموذج الكامل للإنسان، وهو في وضع الاعتماد الكلي على الله، ولذلك انفتحت السماء على هذا الإنسان المبارك، واستقر الروح القدس عليه على هيئة حمامة، إذ وجد مكان راحته في ذلك الإنسان الكامل المعتمد اعتماداً كلياً على الله >> (١).

ويقول د. وليم إدي مفسر الأناجيل في تفسير هذا النص:

>> كان الناس يومئذ متوقعين مجيء المسيح فجاءة يوحنا وسلطانه على قلوب الناس حملاً كثيرين منهم على أن يقولوا أليس هو المسيح المنتظر أي أليس اعماله وفق النبوءات المتعلقة بالمسيح >> (٢).

ويضيف : >> وخلاصة جواب يوحنا ثلاثة اشياء :

الأول : أنه ليس هو المسيح.

الثاني : قرب مجيء المسيح وظهوره.

الثالث : شرح عمل المسيح ومن ذلك فصل الأخيار عن الأشرار وخلص الأولين وهلاك الآخرين.

والفرق بين عمل المسيح وعمل يوحنا هو أن عمل الأول عمل السيد، وعمل الثاني عمل العبد، وان معمودية الأول التي هي معمودية الروح اعظم من معمودية الثاني التي هي معمودية الجسد كما أن قوة النار على التطهير

(١) تفسير إنجيل لوقا، هلال أمين موسى، ص ٦١

(٢) انظر : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ١٧٩

اعظم من قوة الماء عليه >> (١).

أما عن تجربته عليه السلام فيقول قاموس الكتاب المقدس في ذلك:

>> وبهذا اليقين في قلبه اقتيد يسوع إلى برية اليهودية لكي يجربه ابليس، حتى يثبت كفايته كمخلص البشر وأهليته لهذا العمل العظيم، فكان عليه أن يبرهن أولاً على طاعته المطلقة من غير قيد ولا شرط للآب السماوي ويدل على قدرته في الانتصار على المجرب، وقد رأي بعض المفسرين في ذكر التجربة في بدء خدمة المسيح الجهارية مقابلة بينها وبين قصة السقوط في تكوين ص ٣ (٢) وكيف أن آدم الأول سقط وهو في احسن الظروف المواتية للانتصار، وكيف أن آدم الثاني الرب يسوع انتصر على المجرب وهزمه بالرغم عن الظروف القاسية التي وجد فيها، وخرج من التجربة ظافراً غالباً معلناً للعالم بأنه حقيق لان يكون ابن الله الوحيد (٣) ومخلص العالم بغير منازع >> (٤).

أما حديث الأناجيل عن تجربة إبليس له فيفهم من نصوصها أنه قد أخذ عليه السلام إلى البرية ليجرب من إبليس وذلك بعد صيامه مدة طويلة أربعين

(١) لا أدري كيف تستخدم النار في تطهير الروح فالمفسر لم يوضح هذا الأمر وإنما زاده إبهاماً.

انظر : المرجع السابق، ص ١٨٠

(٢) يقصد بالسقوط هنا الأكل من الشجرة المنهي عنها.

(٣) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٤) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ص ٨٦٦

يوماً بلياليها، وعندما جاع أخذ إبليس يجربه بقوله إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً فأجاب : ليس بالخبز يحيا الإنسان، ثم أخذه إبليس إلى الهيكل وقال له : أن كنت ابن الله فاخذف بنفسك إلى أسفل فإن الملائكة ستحملك فلا تصدم بالحجارة، وأخيراً أخذه إبليس إلى جبل عال وأراه ممالك العالم ووعدته بأن يملكه إياها إن سجد له، فأجابه يسوع بأن طرده بإذهب يا شيطان مكتوب للرب إلهك أن تسجد وإياه أن تعبد ثم تركه إبليس وبذلك يكون قد نجح في تجربته^(١) وفيما يلي نصوص الأناجيل والتي تحكي تجربته هذه :

>> ثم أضع يسوع إلى البرية من الروح ليحرب من إبليس، فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسه وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لانه مكتوب أنه يوحي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال أعطيك هذه جميعاً إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس وإذ ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه <<^(٢).

(١) لن ينسى القارئ الكريم أننا في هذا الباب في طور العرض، عرض حياة المسيح عليه السلام ودعوته كما يصورها العهد الجديد أما النقد والرد على جميع الشبه فسيكون في الباب الأخير أن شاء الله تعالى،
انظر : ص ٣٦٣ وما بعدها من هذه الرسالة

(٢) متى ٤ : ١ - ١١

وفي الإنجيل المنسوب إلى مرقس ما يلي:

>> وللوقت أخرجه الروح إلى البرية، وكان هناك في البرية أربعين يوماً
يجرب من الشيطان، وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه >> (١).

وإذا عدنا إلى شراح الأناجيل ومفسريه لتفسير نص إنجيل متى نجد ما يلي :

بعد أن نقل الشارح النص السابق لإنجيل مرقس ليستعين به في شرحه ثم
يقول: >> وهو بإرادته خضع لقيادة الروح، لأن الروح القدس نفسه هو روح
المسيح >> (٢) وينكر شراح الأناجيل معرفة البرية التي امتحن أو جرب فيها
المسيح ويعتبرون أن ذلك شيء غير مهم!! (٣)

ثم يقول المفسر :

>> إن كلمة شيطان باليونانية لها نفس المعنى بالعبراني < شيطان >
وتستعمل في بشارة مرقس بكلمة < المجرب > أو، المشتكي، والإسم نفسه يبين
طبيعة المعركة التي اجتازها الرب، فهو المخصص لذلك العمل وهو تأسيس

(١) مرقس ١ : ١٢ - ١٣

(٢) أما في الإسلام فالحقيقة أن روح القدس أمر مغاير لروح المسيح، فروح
القدس هو الروح الأمين هو جبرائيل عليه السلام وهو الذي ينقل
الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. { وآتينا عيسى ابن مريم
البنات وأيدناه بروح القدس } البقرة: ٨٧ ولم يقل روح القدس هي
روح المسيح وإنما كان تأييده بروح القدس، وقال تعالى: { ينزل الملائكة
بالروح من أمره على من يشاء من عباده } النحل: ٢

(٣) انظر : تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب القدس، ص ٢٨

ملكوت السموات على الأرض باعتبار أن ذلك هو الغرض الأعظم لرسالته الإلهية والغرض السماوي جرب بهذه الصورة المريعة، ووضع موضع الفحص والامتحان.

وبعد أن صام مدة الأربعين يوماً وبعد أن أنهك جاع، وهنا نستطيع أن نعرف البشرية الكاملة التي للمسيح ووحدته معنا كإنسان والحقيقة الكاملة لتجاريه <<(١).

ويدون مفسروا الأناجيل ملاحظات عامة لتفسير النص السابق من الإنجيل المنسوب إلى متى :

>> ١ - هذا التقرير لابد وأن الرب نفسه عرف به الرسل، مما يدل على أن الأمر له أهميته الخطيرة.

٢ - يوضح أيضاً عدم القابلية المطلق الذي للمسيح (٢) ضد الوقوع في الخطية، واستحالة إمكانية السقوط لها كيانها في طبيعته، ولهذا وجدت شخصية الشيطان.

(١) لا أدري كيف يستطيعون التصديق بهذا الاعتقاد إذ كيف يكون إلهاً كاملاً وبشراً كاملاً!!! وقد رددنا على هذه الشبه في الباب الأخير من هذا البحث، انظر : ص ٥٠١ وما بعدها.

انظر : تفسير إنجيل متى، ص ٢٨

(٢) هكذا كتبت

٤ - لدينا أيضاً أن التجربة يمكن أن تكون نوعاً من النظام الروحي الذي يمكن

أن نسهم في تطويره

٥ - إذا كان الأمر كذلك، فإننا نرى أن التجربة هي نوع من النظام الروحي الذي يمكن

أن نسهم في تطويره

٦ - إذا كان الأمر كذلك، فإننا نرى أن التجربة هي نوع من النظام الروحي الذي يمكن

المبحث الرابع

معجزات (١) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد

تروي أناجيل النصارى المعتمدة حالياً (٢) عدة معجزات للسيد المسيح عليه السلام وعند المقارنة بما ورد ذكره في القرآن الكريم (٣) من معجزاته عليه السلام

(١) لتعريف المعجزة انظر: هامش ص ٨١ من هذا البحث.

(٢) وهذه الأناجيل الأربعة منسوبة إلى متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهي باعترافهم ليست إنجيل المسيح عليه السلام أي لم يملها ولم تنزل عليه، وهي أسفار تاريخية محور حديثها شخصية المسيح عليه السلام من وقت الحمل به إلى وقت صلبه - في اعتقادهم - وقيامته من قبره بعد دفنه بثلاث ليال، وهي تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح والصلب والفداء في زعمهم.

ويروي لنا التاريخ أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى كثيرة، قد أخذت بها فرق قديمة، ولكن هذه الأناجيل قد أعدم وأحرق بعضها وألغي البعض الآخر وذلك في مجمع نيفيه والذي عقد سنة ٣٢٥م من قبل أولئك الذين قرروا ألوهية المسيح في ذلك المجمع، وقد أعدم وألغيت تلك الأناجيل والتي لاتلائم ولا تتفق وقرار ألوهية المسيح والذي ابتدعه بولس الرسول، ووافق المجمع فقط على الأسفار السبعة والعشرين والتي تكون العهد الجديد، وردّ كل ما سواه وعده كفراً بالغاً، وزيفاً يجب إفناؤه.

انظر : التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ٢٣، ٤٦

أيضا : محاضرات في النصرانية، للإمام أبي زهرة، ص ٤٨

أيضا : المسيحية د. أحمد شلبي، ط ٦، ص ٢٠٤

(٣) انظر : ص ٣٣٠ وما بعدها من هذا البحث

نجد أن بعضها يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم كإحياء الموتى وإبراء الأبرص، وتختلف في نقاط أخرى حيث أن القرآن الكريم قد ذكر عدة معجزات للمسيح عليه السلام لم تذكرها الأناجيل، وقد ذكرت الأناجيل معجزات له عليه السلام لم يذكرها القرآن الكريم.

ويجدر بالذكر هنا أهم نقطة في هذا الموضوع تختلف فيها عقيدة النصارى مع عقيدتنا الإسلامية اختلافاً بائناً وجلياً ألا وهي الاعتقاد بأن حصول هذه المعجزات ووقوعها بإرادة من الله عز وجل، أما بالنسبة لعقيدة النصارى المستنبطة من أناجيلهم الحالية والمحرقة فهي الاعتقاد بأن حصول ووقوع هذه المعجزات بقدرة المسيح وإرادته وحده!! على اعتبار أنه إله وابن إله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن معجزاته عليه السلام والتي وردت في الأناجيل ما يلي:

- ١ - تحويل الماء إلى خمر وهي أولى معجزاته.
- ٢ - شفاء المرضى (البرص والمشلولين والمحمومين والعمى ومن بهم جنون)
- ٣ - تكثير صيد السمك عندما عجز غيره عن اصطياد سمكة واحدة.
- ٤ - المسيح يهدى العاصفة الثائرة.
- ٥ - إحياء الموتى، فقد أحيا ابنة يائرس بعد موتها.
- ٦ - تكثير الطعام، فقد أشبع خمسة آلاف شخص من طعام قليل.
- ٧ - المسيح عليه السلام يمشي على الماء

١ - أولى معجزاته : تحويل الماء إلى خمر :

أما عن أولى معجزاته عليه السلام كما وردت في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فهي - كما ذكرنا تحويل الماء إلى خمر!! وذلك في قانا الجليل^(١) في حفل عرس حضره المسيح وأمه وبعض تلاميذه، وقد فرغت الخمر المعدة للضيوف فأخبرته أمه بذلك فأخذ يوجّها بقوله "مالي ولك يا امرأة" ثم يطلب يسوع من الخدم ملء ستة أجران من الماء فملأوها حسب أمره ثم أمرهم ان يشربوا منها ويقدموا لرئيس المتكأ فتحول الماء خمرًا بمجرد أمره بالشرب منها، وشهد رئيس المتكأ بجودة ذلك الخمر!! وفيما يلي أنقل النص من الإنجيل المنسوب إلى يوحنا.

>> كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: "ليس لهم خمر" قال لها يسوع: "مالي ولك يا امرأة! لم تأت ساعتين بعد" قالت أمه للخدام "مهما قال لكم فافعلوه" وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء، فملأوها إلى فوق، ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ، فقدموا، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا ولم يكن يعلم من أين هي ولكن الخدام الذين قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكأ العريس، وقال له. كل انسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون^(٢) أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة

(١) قرية في الشمال الشرقي من الناصرة وعلى أمد نحو ساعتين منها وآثارها واسمها باقية إلى هذا اليوم.

انظر : الكتز الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٣، ص ٢٦
(٢) التي تسبب سكر الإنسان وغيابه عن وعيه وعدم انتباهه إلى مصيره الأبدي، انظر: تفسير إنجيل يوحنا، جمع وتقديم هلال موسى، ص ٣٣

إلى الآن، هذه بداية فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده قآمن به تلاميذه >> (١).

ويعلق صاحب كتاب [سيرة المسيح] على النص السابق بقوله:

>> وفي أثناء العرس فرغت الخمر، فعلمت مريم العذراء بذلك بسبب معرفتها القريبة بأهل العرس، لكن المدعوين لم يعلموا، فقالت أمه: "لا ليس لهم خمر" وذلك إما لأن آمالها به تجددت بواسطة الأخبار الجديدة عما حدث له على ضفة الأردن فقصدت أن تدعوه لكي يرى الناس مقدرة تليق بما تعلمه هي عن أصله ومقامه، أو لأنها حسبت مجيئه مع زمرة تلاميذه سبب فروع الخمر، أو لأن روح افتخار الأمومه الطبيعي جعلها تحسب أن تعظيم ابنها ينيلها أيضا عظمة. أو بدافع آخر نجهله نحن >> (٢)

>> ومن جملة الأمور التي تبين لنا أن المسيح قدوة للبشر : موافقته على استعمال الخمر وتقديمه للمحتفلين بالعرس، لأنه يعلم الخفايا، وعمله قدوة لكل من يعلم علمه، فليس المقصود هنا السكر بالخمر، لأن السكر يؤدي الإنسان، وما نعلمه عن المسيح وعن مبادئه وتصرفاته يجعلنا نجزم بأنه لو كان في استعمال الخمر التي وضعها ضرر في حينه، لكان مستحيلا أن يضعها لهم. ولو تحول التلذذ بما هو جائز، إلى عثرة للآخرين يصير هذا التلذذ محرماً،

(١) يوحنا ٢ : ١ - ١١

(٢) جورج فورد، ص ١٠٢

إن شرب الخمر خطأ لو أُلجأ إلى السكر، أو لو أَعثر الآخريـن >> (١).

٢ - من معجزاته عليه السلام شفاؤه للمرضى

البرص والمشلولين والمحمومين والعمي ومن بهم جنون

معجزة شفاؤه البرص

أما في معجزاته عليه السلام والتي تحدث عنها الإنجيل في شفاؤه المرضى، ومن أولئك شفاؤه البرص، وهذا ما أكدته القرآن الكريم في سورة المائدة (٢).

وقصة شفاؤه الأبرص يحكيها الإنجيل المنسوب إلى مرقس ملخصها أنه في ذات يوم قد أتى إليه أبرص جاثياً يستجدي المسيح ليشفيه من مرضه، فمد المسيح عليه السلام يده إليه ولمسه وفور لمسه ذهب عنه البرص، ونهاه ان يجبر احداً بما حدث!! وأمره ان يذهب للكاهن ليشهد بطهارته وشفاؤه من مرضه - كما هي العادة في ذلك الحين.

لست أدري كيف ينسبون إلى المسيح عليه السلام عملاً كهذا؟ كيف ينسب إليه عليه السلام أنه يحول سائلًا نافعا للناس جميع الناس. بل جميع المخلوقات وهو الماء إلى سائل ضار كالخمر؟! وقد أعترف بضرره حديثاً الأطباء والمهتمين بصحة الإنسان فالخمر ضارة - بلا شك - فهي أم الحبائث لذلك حرمها الإسلام {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون} المائدة ٩٠-٩١ (٢) انظر ص ٣٣٤ من هذا البحث.

ويواصل إنجيل مرقس سرد تلك القصة بأن المريض الذي شُفي أخذ ينادي
ويذيع الخبر، خبر شفائه من مرضه بواسطة المسيح عليه السلام خلافاً لما نهاه عنه،
حتى أنه أي المسيح لم يستطع دخول أي مدينة من شدة ازدحام الناس عليه.
وفيما يلي أنقل نص إنجيل مرقس :

>> فأق إلىه أبرص يطلب جائئاً وقائلاً له: > إن أردت تقدر أن
تطهرني > فتحن يسوع ومدّ يده ولمسه، وقال له: > أريد فاطهر > فللوقت وهو
يتكلم ذهب عنه البرص وطهر، فانتبهه وأرسله للوقت، وقال له: > أنظر، لا تقل
لأحد شيئاً، بل اذهب أر نفسك للكاهن، وقدم عن تطهرك ما أمر به موسى شهادة
لهم > وأما هو فخرج وابتدأ ينادي كثيراً، ويذيع الخبر، حتى لم يعد يقدر
(المسيح) أن يدخل مدينة ظاهراً، بل كان خارجاً في مواضع خالية، وكان يأتون
إليه من كل ناحية >> (١)

(١) مرقس ١ : ٤٠ - ٤٥

يتبين من كتب الشرح والتفسير للأناجيل والواردة على نص إنجيل مرقس
السابق أن المفسرين يتحدثون عن مرض البرص الوارد في النص بأنه
الجدام - والعياذ بالله منه - ثم يستر سلون في الحديث عن مرض الجدام
وأنواعه وأعراضه إلى آخر ذلك.

انظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس) لـ وليم باركلي ص ٦١-٦٤، أيضاً
الكتر الجليل في تفسير الإنجيل لـ د. وليم إدي، ج ٢، ص ٢٠-٢١

أيضاً: سيرة المسيح لجورج فورد، ص ١٤٩-١٥٢

معجزة شفاء مشلول

ومن معجزاته عليه السلام والمذكورة في أناجيل النصارى المعتمدة حالياً في شفاؤه للمرضى حادثه وردت في الإنجيل المنسوب إلى مرقس في شفاؤه مشلولاً أو مفلوجاً، ويذكر مؤلف هذا الإنجيل أن المسيح عليه السلام بينما كان متواجداً في بيت أحدهم آنذاك، وقد احتشد حوله جمع كبير من الناس بحيث يستحيل وصول نفر من الناس إليه إلا بصعوبة بالغة إذ قدم نفر من الناس ومعهم مفلوجاً يحملونه ليقدم إليه عليه السلام الشفاء - كما يدعون - فلما لم يستطيعوا

== وفي الحقيقة أن مرض البرص يختلف تماماً في ماهيته عن مرض الجذام،

فالجذام : هو مرض مزمن معدٍ تسببه جرثومة معينة والتي تهاجم الجلد والغشاء المخاطي وأعصاب الأطراف انظر: The Merck Manual, ط ١٣، تأليف نخبة من الأطباء العالميين ص ١٢٦

أما البرص: فهو مرض جلدي يعود إلى فقدان مادة الميلانين Melanin وهي المادة الملونة من الجلد، والسبب غير معروف في أكثر الأحيان.

ويقول المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف: > وأما العرب فقالوا: ان البرص بياض يظهر في ظاهر الجلد ويفور فإن لم يكن غائراً سُمي عندهم بالبهق، وإن كان البرص عاماً في سائر الأعضاء حتى يصير لون الجلد كله أبيض قيل له المنتشر <، ج ٥، ص ٣٣٠

ويذكر بعض اطباء هذا العصر : ان المريض المصاب بالبرص، وكذلك الأكمه (المولود أعمى) لا يوجد لهما علاج طبي معروف حتى الآن وبذلك كانت المعجزة في شفاء امراض لاعلاج لها من قبل سيدنا المسيح عليه السلام.

أما الجزام والعشى الليل (ضعف أو انعدام الرؤيا ليلاً) فهما من الأمراض التي يمكن علاجها طبيياً في الوقت الحاضر بمشيئة الله تعالى، والله أعلم.

الوصول إليه صعدوا إلى سطح المنزل وثقبوا سقفه ودلوا سرير المفلوج من ذلك الثقب!!.. وعندما رأى يسوع ذلك قال مخاطباً المفلوج: يا بني مغفورة لك خطاياك، فاستنكر عليه قوم من كتبة اليهود قوله ذاك لأنه - على حسب علمهم - لا يغفر الذنوب إلا الله، ولكن استنكارهم ذاك كان في قلوبهم دون التصريح به، وشعر المسيح باستنكارهم، فطرح عليهم الاستفهام الاستنكاري: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ ويضيف الإنجيل وأنه لكي يثبت أن له سلطاناً على غفران الخطايا!! قال للمفلوج قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام على الفور، وحمل سريره وخرج أمام ذلك الحشد من الناس.

وفيما يلي أنقل نص الإنجيل:

>> ثم دخل كفر ناحوم أيضاً بعد أيام فسمع أنه في بيت، وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ماحول الباب، فكان يخاطبهم بالكلمة. وجاءوا إليه مقدمين مفلوجاً يحمله أربعة، وإذا لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع، كشفوا السقف حيث كان، وبعدما نقبوه دلوا السرير الذي كان المفلوج مضجعا عليه، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج << يا بني مغفورة لك خطاياك >> وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون في قلوبهم: << لماذا يتكلم هذا هكذا بتجديف؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟ فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا في أنفسهم، فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ أيهما أيسر: أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش ؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن

يغفر الخطايا^(١) قال للمفلوج: لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط! <<^(٢).

شفاءه المحموم

ومن معجزاته عليه السلام الواردة في الإنجيل شفاؤه المحمومين، الذين تصيبهم الحمى الشديدة التي أصابت حماة سمعان بطرس، فوقف المسيح وانتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت من فراشها وصارت تخدمهم، ثم قام عليه السلام كما ذكر النص بشفاء الكثير من المرضى وذلك بمجرد وضع يده على كل واحد منهم.

(١) يقول جورج فورد صاحب كتاب (سيرة المسيح) في التعليق على هذا النص:

>> أثبت المسيح حقه في منح الغفران، فأثبت لنفسه مقاماً فوق سائر البشر وقد أثر هذا كثيراً في الذين رأوا وسمعوا ما حدث <<، ص ١٥٦، ولا يخفى على القارئ الكريم ما يشتهه ديننا الإسلامي الحنيف من أنه لا يغفر الذنوب إلا الله سبحانه وتعالى وخاصة فيما بين العبد وبين ربه، فهو الخالق الصانع الحاكم العادل، قال تعالى: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون} آل عمران: ١٣٥، كما قال تعالى: {ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير} المائدة: ٤٠

(٢) مرقس ٢ : ١ - ١٢

وفيما يلي أنقل نص الإنجيل :

>> ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان، وكانت حماة سمعان (١) قد أخذتها حمى شديدة، فسألوه من أجلها، فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت وصارت تخدمهم، وعندما غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه، فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم، وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول: >> أنت المسيح ابن الله (٢) فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح << (٣).

(١) سمعان بطرس وقال مرقس انه بيت سمعان واندراوس وهما اخوان شريكان في الصيد، متى ١٨:٤

نقلا عن : الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، بيروت ٧٣

(٢) يقول صاحب كتاب (سيرة المسيح) في التعليق على هذه العبارة >> تُرى هل شعر أهل المدينة بالخجل عندما رأوا الشياطين تسمية المسيح وابن الله؟ هل يمكن أن الأبالسة تعظم كذباً الذي يطردها؟ << جورج فورد، ج ١، ص ١٤٢

ونرد عليه بأنه - وإن صدق هذا النص - فلأنهم شياطين سموه بالمسيح ابن الله، ولأنهم أبالسة - كما ذكر - أرادوا تضليل السامعين وليس هذا تعظيماً من الشياطين بل كذباً وافتراءً، فلم يكن إلهاً ولا ابن إله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.. { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون { المائدة: ٧٥

(٣) لوقا ٤ : ٣٨ - ٤١

شفاءه للعمي

ومن أمثله معجزاته عليه السلام في شفائه للعمي الوارده في الأناجيل
ماورد في إنجيل متى وفيما يلي نصه:

>> وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان: > ارحمنا
يا بن داود > ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان، فقال لهما يسوع: أتؤمنان
أني أقدر أن أفعل هذا ؟ (١) قالوا له نعم ياسيد حيثئذ لمس أعينها قائلاً بحسب
إيمانكما ليكن لكما، فانفتحت أعينها فانتهرهما يسوع قائلاً: أنظر، لا يعلم أحد
لكنهما خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها >> (٢)

ويروي إنجيل يوحنا بأن المسيح عليه السلام قد أشفى من كف بصره منذ

(١) ويعلق صاحب كتاب سيرة المسيح على هذه الفقرة بقوله: > تُرى لماذا
أبدى المسيح عدم الإهتمام بهما أولاً؟ لقد قصد أن يمتحن قوة إيمانهما به
لم يسألهما إن كانا يؤمنان أن الله قادر، بل كان سؤاله: هل تؤمنان أنني
قادر؟ <

انظر: جورج فورد، ص ٢٦٤

ولكن هذا على خلاف العقيدة الإسلامية والتي قررها القرآن الكريم بأن
جميع المعجزات التي تجري على أيدي الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة
والسلام ومن بينهم المسيح عليه السلام فإن الله سبحانه وتعالى هو الخالق
الصانع لها وأنها تجري بمشيئته وإرادته وحده.

انظر: الباب الثالث من هذا البحث، ص ٣٣٠ وما بعدها

(٢) متى ٩: ٢٧-٣١

ولادته^(١) دون أن يُطلب منه ذلك وفيما يلي نص الإنجيل المنسوب إلى يوحنا:

>> وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه > يامعلم، من أخطأ، هذا أم أبواه، حتى ولد أعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني مادام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. ماضت في العالم فأنا نور العالم.

قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطفى بالطين عيني الأعمى، وقال له: أذهب واغتسل في بركة سلوام الذي تفسيره مرسل فمضى واغتسل وأتى بصيراً >>^(٢)

شفأؤه عليه السلام لمن بهم داء الصرع أو مس من الجن، كما ورد ذلك

في الأناجيل

ومن معجزاته عليه السلام في شفائه لمن بهم مس من الجن أو داء الصرع - والعياذ بالله - كما ورد ذلك في أناجيلهم المعتمدة مايلي:

>> ولما جاء إلى التلاميذ رأى جمعا كثيرا حولهم، وكتبه يحاورونهم، وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيروا وركضوا وسلموا عليه، فسأل الكتبة: "بماذا تحاورونهم؟" فأجاب واحد من الجمع وقال: "يامعلم قد قدمت إليك ابني به روح

(١) وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بلفظ "الأكمه"

انظر: الآيات الكريمات في الباب الثالث، ص ٣٣١، ٣٣٤ من هذا البحث

(٢) يوحنا ٩: ١-٧

أخرس، حيثما أدركه ليمزقه فيزبد ويصر بأسنانه ويبيس، فقلت لتلاميذك أن يترجوه فلم يقدرُوا" فأجاب أيها الجليل غير المؤمن إلى متى أكون معكم؟ إلى متى احتملكم؟ قدموه إليَّ >>، فلما رآه للوقت صرعه الروح، فوقع على الأرض يتمرغ ويزبد فسأل أباه: كم من الزمان منذ أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه، وكثيراً ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه. لكن إن كنت تستطيع شيئاً فتحن علينا وأعنا فقال له يسوع: إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن، فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال: أوّمن ياسيد، فأعن عدم إيماني، فلما رأى يسوع أن الجمع يتراكمضون انتهر الروح النجس قائلاً له: أيها الروح الأخرس الأصم، أنا آمرك: أخرج منه ولا تدخله أيضاً، فصرخ وصرعه شديداً وخرج، فصار كميت حتى قال كثيرون إنه مات، فأمسكه يسوع بيده وأقامه، فقام، ولما دخل بيتا سأله تلاميذه على انفراد: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم: هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم (١)

>> وجاءوا عبر البحر إلى كورة الجدرين، ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس كان مسكنه في القبور، ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل، لأنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل، فقطع السلاسل وكسر القيود، فلم يقدر أحد أن يذله، وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال والقبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة، فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، وصرخ بصوت عظيم وقال: مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي؟ استحلفك بالله ألا تعذبني؟" لأنه قال له: أخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس وسأله

ما أسمك؟ فأجاب قائلاً: اسمي لجئون لأننا كثيرون، وطلب إليه كثيراً أن لا يرسلهم إلى خارج الكوره، وكان هناك عند الجبال قطع كبير من الخنازير يرعى، فطلب إليه كل الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة ودخلت الخنازير، فأندفع القطيع من على الجرف إلى البحر، وكان نحو الفين، فاختنق في البحر، وأما رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ماجرى، وجاءوا إلى يسوع، فنظروا المجنون الذي كان فيه اللجئون جالسا ولابسا وعاقلا، فخافوا، فحدثهم الذين رأوا كيف جرى للمجنون وعن الخنازير، فابتدأوا يطلبون إليه أن يمضي من تخوفهم، ولما دخل السفينة طلب إليه الذي كان مجنوناً أن يكون معه، فلم يدعه يسوع، بل قال له: إذهب إلى بيتك وإلى أهلِكَ وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك، فمضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع فتعجب الجميع» (١)

٣ - من معجزاته عليه السلام الواردة في الأناجيل تكثير صيد السمك عندما عجز غيره من اصطياد سمكة واحدة.

ومن معجزاته عليه السلام الواردة في أناجيل النصارى المعتمدة، تكثير صيد السمك، وذلك عندما كان واقفاً عند بحيرة جنيسارت فرأى سفينتين واقفتين عندها، والصيادون قد خرجوا منها وغسلوا الشباك، فأمر سمعان أن يبعد إلى العمق ويلقي الشباك، ومع أنهم قد امضوا الليل بطوله لم يصطادوا سمكة واحدة إلا أنهم حينذاك اصطادوا سمكا كثيراً وملأوا السفينتين بها.

وفيما يلي نص الإنجيل المنسوب إلى لوقا.

>> وإذ كان الجمع يزدحم عليه لسمع كلمة الله، كان واقفا عند بحيرة جنيسارت، فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منها وغسلوا الشباك فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان، وسأله أن يبعد قليلا عن البر، ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة، ولما فرغ من الكلام قال لسمعان: ابعد إلى العمق وألقوا اشباككم للصيد. فأجاب سمعان وقال له: يامعلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئا، ولكن على كلمتك ألقى الشبكة، ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكا كثيرا جداً، فصارت شبكتهم تتخرق فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا ويساعدهم، فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق!! فلما رأى سمعان بطرس ذلك خر عند ركبتَي يسوع قائلاً: أخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطئ، اذ اعترته وجميع الذين معه دهشه على صيد السمك الذي أخذوه، وكذلك أيضا يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللذان كانا شريكي سمعان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف من الآن تكون تصطاد الناس ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه >> (١)

٤ - من معجزاته: أنه يهدي العاصفة الثائرة

وقد ورد في أناجيل النصارى المعتمدة من معجزات المسيح عليه السلام في أنه كان يهدي العاصفة الثائرة مارواه إنجيل مرقس أنه عليه السلام كان ذات مساء مع جماعة من أصحابه في سفينة في عرض البحر، فحدث أن ثارت عاصفة

هو جاء وكان عليه السلام نائماً!!! فأيقظوه فانتهر الريح فسكنت، وأخذ يوجئهم لقلّة إيمانهم وفيما يلي أنقل نص إنجيل مرقس:

>> وقال لهم في ذلك اليوم لما كان مساء: لنجتز إلى العبر فصرفوا الجمع وأخذوه كما كان في السفينة، وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة، فحدث نوء ريح عظيم، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلئ، وكان هو في المؤخر على وساده نائماً، فأيقظوه وقالوا له: يامعلم، أما يهتمك أننا نهلك؟ فقام وانتهر الريح وقال للبحر: اسكت! ابكم! فسكنت الريح وصار هدوء عظيم، وقال لهم: ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟ فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض: من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه! >> (١)

٥ - أمثله من معجزاته على إحيائه الموتى:

ومن أمثلة ذلك ما حكاه الإنجيل المنسوب إلى مرقس: أنه ذات يوم جاءه رجل اسمه يائرس، وخر عند قدميه يرجوه أن يحيي ويشفي ابنته والتي على فراش الموت فمضى المسيح عليه السلام مع الرجل إلى داره وإذا برسول قادم من الدار يقابلهما وينبئهما بموت الفتاة، فطمأن المسيح والد الفتاة، وعندما قدما الدار وجد من بها يكون ويولولون لموتها، فدخل المسيح على الفتاة والتي قد ماتت وأمرها بأن تقوم.. فقامت لتوها تمشي ثم أوصى لها بطعام. وفيما يلي أنقل نص الإنجيل المنسوب إلى مرقس:

>> ولما اجتاز يسوع في السفينة أيضاً إلى العبر اجتمع إليه جمع كثير،

وكان عند البحر، وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه ياريس جاء. ولما رآه خرّ عند قدميه، وطلب إليه كثيراً قائلاً ابنتي الصغيرة على آخر نسمة، ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيًا، فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه << (١)

>> وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين ابنتك ماتت، لماذا تتعب المعلم بعد، فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط، ولم يدع أحداً يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأي ضجيجاً يبكون ويولولون كثيراً، فدخل وقال لهم لماذا تضحون وتبكون، لم تمت الصبية لكنها نائمة.

فضحكوا عليه، أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعه وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومي، الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي، وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة، فبهتوا بهتاً عظيماً، فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك، وقال أن تعطى لتأكل << (٢).

ومن أمثلة ذلك ما حكاه الإنجيل المنسوب إلى لوقا:

أنه عليه السلام كان وتلاميذه مع جمع غفير متجهين إلى مدينة تدعى

(١) مرقس ٥ : ٢١ - ٢٤

(٢) مرقس ٥ : ٣٥ - ٤٣

نايين^(١) وإذا به يميت محمول وهو وحيد أمه الأرملة، فلما رآها أشفق عليها ولمس نعش ابنها وأمره بالقيام، فجلس وبدأ يتكلم ثم دفعه إلى أمه. وفيما يلي ننقل النص :

>> وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعى ناين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير، فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول، ابن وحيد لأمه، وهي أرملة، ومعها جمع كثير من المدينة، فلما رآها الرب تحن عليها، وقال لها: لاتبكي ثم تقدم ولمس النعش، فوقف الحاملون فقال: أيها الشاب، لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم، واقتقد الله شعبه، وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة >>^(٢).

٦ - تكثيره عليه السلام للطعام فقد أشبع خمسة آلاف شخص من طعام قليل.

ومن امثلة ذلك ما ورد في الإنجيل أنه عليه السلام قد أشبع

(١) اسم عبري معناه لذيذ وهي بلدة على الطرف الشمالي الغربي من جبل الوحي أو حرمون، على بعد ميلين إلى الجنوب الغربي من عين دور وعلى بعد خمسة أميال جنوب شرقي الناصرة، وهي اليوم قرية صغيرة جداً، وفيها آثار تدل على أنها كانت ذات شأن.

انظر : قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط٦، ص ٩٤٨

(٢) لوقا ٧ : ١١ - ١٧

خمسة آلاف كانوا في موضع خلاء وليس هناك أي طعام سوى خمسة أرغفه
وسمكتان، فأمر بترتيب الأشخاص زمراً زمراً ثم أخذ يوزع الطعام عليهم حتى
شبعوا وفاض الطعام..

وفيما يلي أنقل النص من الإنجيل :

>> وبعد ساعات كثيرة تقدم إليه قائلين: > الموضع خلاء والوقت مضى.
اصرفهم لكي يمضوا إلى الضياع والقرى حوالينا ويبتاعوا لهم خبزاً، لأن ليس
عندهم ما يأكلون فأجاب وقال لهم: أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا له: أنمضى
ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا؟ فقال لهم: كم رغيفاً عندكم؟ اذهبوا
وانظروا.

ولما علموا قالوا: خمسة وسمكتان. فأمرهم أن يجعلوا الجميع رفاقاً رفاقاً
على العشب الأخضر، فاتكأوا صفوفاً صفوفاً، مئة مئة وخمسين خمسين، فأخذ
الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظرة نحو السماء وبارك ثم كسر الأرغفة،
وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم، وقسم السمكتين للجميع، فأكل الجميع وشبعوا،
ثم رفع من الكسرا اثنتي عشرة قفة مملوءة من السمك، وكان الذين أكلوا من
الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل >> (١).

٧ - المسيح عليه السلام يمشي على الماء.

ومن معجزاته عليه السلام الوارده في أناجيل النصارى الحالية أنه
باستطاعته ان يمشي على الماء، وهذا مارواه إنجيل متى: أن سفينة كانت تقلّ عدداً

من تلاميذه في عرض البحر الذي كان هائجاً، وكانت الرياح باتجاه مضاد للسفينة، وفي هذه الأثناء في أواخر الليل قدم إليهم المسيح ماشياً على الماء في البحر باتجاه سفينتهم لينقذهم مما هم فيه، ولما أبصروه ظنوه خيالاً واضطربوا وأخذوا يصرخون خائفين..

وفيما يلي نص إنجيل متى :

>> وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع، وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي، ولما صار المساء كان هناك وحده، وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج، لأن الريح كانت مضادة، وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال، ومن الخوف صرخوا، فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: تشجعوا: أنا هو! لا تخافوا، فأجابه بطرس وقال: ياسيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء، فقال: تعال، فتزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف، وإذا ابتداء يغرق صرخ قائلاً: يارب نجني، ففي الحال مدّ يسوع يده وأمسك به وقال له: يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟ ولما دخلا السفينة سكنت الريح، والذين في السفينة جاءوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله >> (١).

المبحث الخامس

الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته، ثم صلبه ودفنه وقيامته،

وصعوده إلى السماء كما يزعم النصارى في أناجيلهم

لابد هنا أن نجزئ الحديث في هذه الفقرة على فقرات صغيرة أيضاً فننتحدث أولاً عن القبض عليه كما تروي أناجيل النصارى:

القبض عليه كما تروي الأناجيل

وتتحدث أناجيل النصارى المعتمدة عن القبض على المسيح عليه السلام من قبل جنود الرومان التابعين للدولة الرومانية الحاكمة آنذاك فتذكر أنه عليه السلام قدم مع تلاميذه إلى ضيعة جشماني وطلب منهم المكوث والسهر في انتظاره وتسجل الأناجيل أنه كان حزيناً جداً حتى الموت!!^(١). وابتدأ يصلي وأخذ يرجو الله بأن يعبر عنه هذه الكأس، أي كأس الموت!! وعندما عاد لينظر إلى تلاميذه وجدهم نياماً فأخذ يلومهم لنومهم ثم عاد إلى الصلاة ثانية واستجداء الرب لاعفائه من شرب كأس هذه الميته، ثم أخذ يصلي للمرة الثالثة مع تكرار ذلك الرجاء!! ثم عاد إلى تلاميذه وأخذ يتحدث معهم وفيما هو كذلك إذ جاء يهوذا الخائن أحد تلاميذه الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي فقبله يهوذا

(١) والغريب في هذه الأناجيل أنها تسجل حزنه الشديد جداً عند معرفته بقرب موته مع أن العظماء لايهابون الموت وخاصة الأتقياء منهم، فكيف بمن يدعون أنه ابن للإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا دليل يُضاف إلى الأدلة الكثيرة على زيف هذه الأناجيل.

وكانت تلك القبله علامة بينه وبين الجنود للقبض عليه، فقبض الجنود على يسوع، فاستل احد تلاميذ المسيح سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه، فأخذ المسيح يلومه على فعلته تلك !!

وفيما يلي نص الإنجيل:

>> حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها حبشيماني، فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي.

ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت، ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف، فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك، ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا الآن واستريحوا، هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة، قوموا ننطلق^(١) هوذا الذي سلمني قد اقترب.

(١) يتضح التناقض في هذا النص من إنجيل متى إذ كيف يأمرهم بالنوم والاستراحة ثم وفي نفس اللحظة يأمرهم بالقيام والانطلاق.

وفيما هو يتكلم إذ يهوذا، احد الاثني عشر، قد جاء ومعه جمع كثير
بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذي أسلمه أعطاهم
علامة قائلاً: الذي أقبله هو هو أمسكوه، فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام
ياسيدي، وقبله فقال له يسوع: يا صاحب، لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا
الأيادي على يسوع وأمسكوه، وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ يده واستل
سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه^(١) فقال له يسوع: ردّ سيفك إلى
مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون أظن أني لا أستطيع الآن
أن اطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟ فكيف تكمل
الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون؟ >>^(٢)

محاكمته :

وبدأت محاكمته كما تروي الأناجيل بسؤال رئيس الكهنة عن تعليمه
فأجابه يسوع إساءل الذين قد سمعوا عني، وفيما يلي أنقل النصوص من الأناجيل:
>> فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. أجابه يسوع: أنا
كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع

(١) يتضح - أيضاً - أن هناك نقاطاً مهمة وكثيرة قد فاتت على كتاب
الأناجيل إذ كيف يقطع أحد تلاميذ المسيح إذن عبد رئيس الكهنة بسيفه!!
والذي قد اصطحب معه مجموعة كبيرة من الناس مسلحين بسيوف وعصى،
وذاك العبد واقف ينظر إليه هكذا ومن معه من الناس دون أن يحرك احد
منهم ساكناً.

(٢) متى ٢٦ : ٣٦ - ٥٤

اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء، لماذا تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا: ماذا كلمتهم، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا، ولما قال هذا لطم يسوع واحداً من الخدام كان واقفاً قائلاً: هكذا تجاوب رئيس الكهنة؟ أجابه يسوع: إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي، وإن حسناً فلماذا تضربني؟ (١) وكان جنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة >> (٢)

>> وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا مع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا، ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور وقالوا: هذا قال إني أقدر أن انقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام ابنه، فقام رئيس الكهنة وقال له: أما تجيب شيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكناً، فأجاب رئيس الكهنة وقال له: استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع أنت قلت، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحب السماء، فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً: قد جدف! ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه ماذا ترون؟ فأجابوا إنه مستوجب الموت. حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح

(١) من الواضح أن المسيح عليه السلام في هذا النص يعترض على من لطمه بقوله: >> إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي، وإن حسناً فلماذا تضربني ؟ <<، وهذا يتناقض تناقضاً واضحاً مع نص آخر في إنجيل لوقا يقول: >> من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً << ٦ : ٢٩

(٢) يوحنا ١٨ : ١٩ - ٢٤

من ضربك ! >> (١)

وتواصل الأناجيل حديثها عن محاكمته عليه السلام فتقول:

>> ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب، رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: >> إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم: إن قلت لكم لاتصدقون، وإن سألت لاتجيوني ولا تطلقوني، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون أي هو، فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة؟ لأننا نحن سمعنا من فمه >> (٢).

>> فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس >> (٣)

من النص السابق يتضح أن سبب القبض عليه وصلبه هو ادعاؤه أنه ابن الله، ومع أن سياق النص يوضح بأنه لم يقرّ بذلك فعندما طرحوا عليه السؤال أفأنت ابن الله؟ أجابهم أنتم تقولون أنا هو فلم يقرّ عليه السلام بذلك ولكنهم اعتبروا تلك الجملة إقراراً منه بأنه ابن الله !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) متى ٢٦ : ٥٩ - ٦٨

وهذا دليل - أيضاً - على تناقض نصوص الأناجيل واختلافها، إذ لماذا لم يعترض المسيح عليه السلام على كل هذه الأفعال المشينة من بصق ولكم ولطم وسخرية، ولماذا لم يعترض على الصلب ذاته، وقد اعترض على تلك اللطمة من أحد الخدم - انظر النص السابق ليوحنا - ونحن كمسلمين إذ نزهه عليه السلام عن عبث العابثين من سفهاء اليهود وغيرهم نضعه في مكانته التي قد وهبه الله إياها كني معصوم ومن أولى العزم من الرسل ومؤيد بالمعجزات

(٢) لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٧١

(٣) لوقا ٢٣ : ١

ثم تتحدث الأنجيل عن استجواب بيلاطس للمسيح أثناء محاكمته بما يلي:

>> ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له: أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع: أمن ذاك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: العلي أنا يهودي؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا، فقال بيلاطس: فأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول إني ملك، لهذا ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لاشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس: ما هو الحق؟ ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم: أنا لست أجد فيه علة واحدة >> (١).

ومع أن بيلاطس الحاكم الروماني لم يجد علة واحدة لعقاب المسيح إلا أن أعداءه من اليهود كانوا يشددون على المطالبة بعقابه واتهامه بتسليط الشعب في كل بلاد اليهودية وذلك كما تروي الأنجيل:

>> فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لأجد علة في هذا الإنسان، فكانوا يشددون قائلين: إنه يهيج الشعب، وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا >> (٢).

(١) يوحنا ١٨ : ٣٣ - ٣٨

(٢) لوقا ٢٣ : ٤ - ٥

ومع أن بيلاطس حاول ان ينقذ المسيح باقتراحه لهم أن يؤدبه ثم يطلقه فقد جرت العادة بأن يطلق في كل عيد واحداً وكانوا على أبواب عيد الفصح (١) إلا أن رؤساء الكهنة من اليهود شددوا عليه بصراخهم ولجاجهم بأن يصلب وأن يطلق بدلاً منه < باراباس > والذي سجن بسبب جرائمه وقتله. فحكم لهم كما أرادوا وسلم يسوع ليصلب، وحتى بعد توسط زوجة بيلاطس لانقاذه أصر كهنة اليهود على صلبه بازدياد صراخهم ليصلب ليصلب، وعندما يأس بيلاطس هو وزوجه من إنقاذ المسيح أخذ ماء وغسل يديه وعلن تبرأه من دمه فأجابه اليهود: دمه علينا وعلى أولادنا !!

وفيما يلي ننقل نص الأناجيل :

>> فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدمتم إليّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه، ولا هيردوس أيضاً، لأنني أرسلتكم إليه وها لاشئ يستحق الموت صنع منه، فأنا أؤدبه وأطلقه، وكان مضطراً أن يطلق لهم كل عيد واحداً، فصرخوا بجملتهم قائلين: خذ هذا وأطلق لنا < باراباس >، وذاك

(١) أول الاعياد السنوية الثلاثة التي كان مفروضاً فيها على جميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة، ويعرف أيضاً بعيد الفطير، أنشئ في مصر تذكراً للحادث الذي فيه خلاص بني إسرائيل، ويبدأ العيد مساء الرابع عشر من شهر نيسان،

انظر : قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط٦، ص ٦٧٨

كان قد طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة وقتل، فناداهم أيضاً بيلاطس، وهو يريد أن يطلق يسوع، فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه فقال له ثالثة: فأني شر عمل هذا؟ إني لم اجد فيه علة للموت، فأنا أؤدبه واطلقه، فكانوا يلجئون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة، فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم، فأطلق لهم الذي طرح في السجن لأجل فتنة وقتل، الذي طلبوه، واسلم يسوع لمشيئهم >> (١)

>> وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة: إياك وذلك البار (٢)، لأني تأملت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا < باراباس > ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم: من من الاثنين تريدون أن اطلق لكم؟ فقالوا: < باراباس > قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحرى يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني برئ من دم هذا البار أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب

(١) لوقا ٢٣ : ١٣ - ٢٥

(٢) تقصد المسيح عليه السلام أي ألا يصيبه بأي أذى

وقالوا: دمه عليها وعلى أولادنا، حينئذ أطلق لهم باراباس << (١)

(١) متى ٢٧ : ١٩ - ٢٦

وهناك نسخة لأسفار العهد الجديد صدرت عن (دار النشر اليهودية)
بالقدس عام ١٩٧٠م

انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة لأحد عبد الوهاب، ط١،
ص ٤١ قامت بتحريف بعض نصوص نسخة أسفار العهد الجديد المعتمدة
والتداوله حالياً بين المسيحيين، ويهدف اليهود من ذلك تبرئة أنفسهم من
دم المسيح بانكار التهمة الموجهة إليهم من قبل المسيحيين بأنهم صالبي
المسيح عليه السلام.

ومن بين النصوص المحرفة النص السابق فقد ورد النص السابق في نسخة
اليهودية المحرفة: < قال الوالي وأي شر عمل، فكانوا يزدادون صراخاً
قائلين ليتم بدلا من < ليصلب >، < فلما رأى ييلاطس أنه لا ينفع شيئاً
بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الرعاع - بدلا من
قدام الجميع - قائلاً اني برئ من دم هذا البار ابصروا أنتم.

فأجاب الرعاع وقالوا دمه عليه < بدلا من > فأجاب جميع الشعب وقالوا:
دمه علينا وعلى أولادنا <

والعبارة في النسخة الانجليزية المعتمدة كما يلي:

Then answered all the people and said His blood be on us and
on our children

بينما العبارة في النسخة الانجليزية المحرفة كما يلي

Then answered the rabble and said his blood be upon him

انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة أحمد عبد الوهاب، ص ٥٣

المبحث السادس

صلبه (١) كما يزعم النصارى في أناجيلهم

تروي الأناجيل أن المسيح عليه السلام عندما أرادوا صلبه أخذه جند الوالي الروماني وعروه وألبسوه رداءً قرمزيًا ووضعوا على رأسه إكليلًا من الشوك، وأخذوا يهينونه باللكم والبصق والضرب، وقد جرت العادة أن يحمل من أرادوا صلبه صليبه بنفسه، وعندما عجز عن حمله سخرّوا رجلاً قيروانيًا ليحمله عنه، ثم صلبوه بين لصين !! واقتسموا ثيابه مقترعين عليها. وفيما يلي ننقل نص الإنجيل:

>> وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب، فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية، وجمعوا عليه كل الكتيبة، فعروه وألبسوه رداءً قرمزيًا، وضفروا إكليلًا من شوك ووضعوه على رأسه، وقصبة في يمينه، وكانوا يجشون قدامه ويستهزئون به قائلين: السلام ياملك اليهود، وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب، وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان، فسخروه ليحمل صليبه، ولما أتوا إلى موضع يقال له < جلجثة > وهو المسمى موضع الجمجمة، أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة، ثم جلسوا يحرسونه هناك، وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود، حينئذٍ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار >> (٢).

(١) لتعريف الصلب، انظر ص ٥٢٧ من هذا البحث.

(٢) متى ٢٧ : ٢٦ - ٣٨

وتسجل الأناجيل ان المسيح عليه السلام أوصى تلميذه المحبوب بأمه مريم عليها السلام وذلك أثناء وجوده على الصليب !! يقول النص:

>> وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدليه، فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً، قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك، ثم قال للتلميذ هوذا أمك، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته >> (١).

>> ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شبقطني؟ الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا: هو ذا ينادي إيليا، فركض واحد وملاً إسفنجه خلا وجعلها على قصبه وسقاه قائلاً: اتركوا لنرَ هل يأتي إيليا ليزله (٢).

فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح، وانشق حجاب إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله (٣)، وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدليه ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومية اللواتي أيضاً تبعنه وخدمته حين كان في الجليل، وأخر كثيرات اللواتي سعدن معه إلى أورشليم >> (٤).

(١) يوحنا ١٩ : ٢٥ - ٢٧

(٢) يريدون السخرية منه. نثره أن يفعل به ذلك عليه الصلاة والسلام.

(٣) كيف يكون صراخ المصلوب على خشبة الصليب دليل على أنه ابن الله ؟ !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٤) مرقس ١٥ : ٣٣ - ٤١

المبحث السابع

تكفينه ثم دفنه كما تروي الأناجيل

>> ثم إن يوسف الذي من الرامه^(١)، وهو تلميذ يسوع، ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع وجاء أيضاً نيقوديموس^(٢)، الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مرّ وعود نحو مئة منّا، فأخذ جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يكفنوا، وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط، فهناك وضعوا يسوع لسبب استعداد اليهود، لان القبر كان قريباً >>^(٣).

(١) كان رجلاً غنياً وباراً صالحاً، وعضواً في مجلس السنهدريم، وكان القانون الروماني يجيز لذوي المحكوم عليه بالإعدام أن يطالبوا بجسده ويأخذوه، وهذا مما حفز يوسف على طلب جسد المسيح من بيلاطس (كما يزعم المسيحيون) ليتمكن من دفنه قبل دخول السبت.

انظر : قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ١١١٨

(٢) اسم يوناني معناه المنتصر على الشعب، وهو فريسي وعضو في السنهدريم، وكان واحداً من رؤساء اليهود، جاء إلى المسيح في الليل حتى لا يراه أحد ليشاوره ويباحثه، وقد اقتنع بكلام يسوع ودافع عنه في السنهدريم لما هاجمه الفريسيون ثم بعد أن مات يسوع عمل على تطييب جسده بالمر ودفنه.

انظر : المصدر السابق، ص ٩٨٨

(٣) يوحنا ١٩ : ٣٨ - ٤٢

المبحث الثامن قيامته من قبره

ويعتقد النصارى - كما تروي أناجيلهم - أنه عليه السلام بعدما صُلب ومات على الصليب وقبر قام من قبره، ثم مكث في الأرض يظهر لتلاميذه ومحبيه ويخاطبهم مدة أربعين يوماً.

وفيما يلي ننقل النصوص الدالة على هذا المعنى :

>> وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدليه^(١) إلى القبر باكراً والظلام باق، فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: اخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه، فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر، وكان الاثنان يركضان معاً، فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر، وانحنى فنظر الأكفان موضوعه، ولكنه لم يدخل، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعه والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً في موضع وحده، فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات، فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما <<^(٢).

(١) كانت ذات ثروة وصيت حسن، وقد ابتليت بسبعة شياطين أخرجهم منها المسيح فتبعته، وثبتت إلى المنتهى فكانت معه وقت الصلب والدفن، وكانت من جملة اللواتي أتين إلى القبر ليحطنه (هذا حسب زعم المسيحيين).

انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٥٨

(٢) يوحنا ٢٠ : ١ - ١٠

>> فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنه قام كما قال، هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعا فيه، واذها سريعا قولاً لتلاميذه إنه قد قام من الأموات، هاهو يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه، ها أنا قد قلت لكما، فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه اذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، فقال لهما يسوع لا تخافا، اذها قولاً لإخواني أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروني <<(١).

>> أما مريم (٢) فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض، جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً، فقالا لها: يا امرأة لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه، ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً، ولم تعلم أنه يسوع قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلين؟ فظنت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه، قال لها يسوع: يا مريم فالتفتت تلك وقالت له: ربوني الذي تفسيره يا معلم قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إني اصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا <<(٣).

(١) متى ٢٨ : ٥ - ١٠

(٢) مريم المجدلية، انظر: هامش ص ٢٣٤ من هذا البحث.

(٣) يوحنا ٢٠ : ١١ - ١٨

وتروي الأناجيل أن المسيح كان يظهر لكثير من تلاميذه وذلك بعد قيامه
من قبره :

>> ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب
مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في
الوسط وقال لهم: سلام لكم، ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ
رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضاً: سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا، ولما
قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتكم خطاياهم تغفر له، ومن
أمسكتكم خطاياهم أمسكت >> (١)

>> أراهم أيضاً نفسه حياً براهين كثيرة، بعد ما تألم، وهو يظهر لهم
أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله >> (٢).

(١) يوحنا ٢٠ : ١٩ - ٢٣

(٢) اعمال الرسل ١ : ٣

المبحث التاسع صعوده إلى السماء

تروي الأناجيل أنه عليه السلام بعد قيامه من قبره ومكوته في الأرض يظهر لتلاميذه بين الحين والآخر أنه بعد ذلك صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وفيما يلي النص من كتاب العهد الجديد :

>> ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابه عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليلون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون، الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت >> (١).

>> ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله. وأماهم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم، ويثبت الكلام بالآيات التابعة >> (٢).

(١) أعمال ١ : ٩ - ١٢

(٢) مرقس ١٦ : ١٩ - ٢٠

وقد نقل أبو محمد عبدالله الترجمان^(١) عن النصارى قولهم: أن المسيح عليه السلام بعد أن صُلب ودفن ومكث في قبره ثلاثة أيام وعاش على الأرض ثم نزل لجهم وأخرج منها آدم وذريته وجميع الأنبياء !!!

يقول رحمه الله: >> اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهم من أجل خطيئة آدم^(٢) في الأكل من الشجرة، ثم إنه تعالى حنّ عليهم فمّن عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى، فصار إنساناً وإلهاً، إنساناً من جوهر أمه وإلهاً من جوهر أبيه ثم ما أمكنه من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته، وبه يفدي جميع الخلق من الشيطان، وأنه مات بالقتل بل عاش بعد ثلاثة أيام ونزل لجهم، وأخرج منها آدم وذريته وجميع الأنبياء.

فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث ودينهم المرذول الخبيث كما مهد لهم أوائل شياطينهم من غير استناد إلى دليل ولانقل عن نبي ولارسول وحاشا

(١) هو عبد الله بن عبد الله الترجمان، وهو الاسم الذي اختاره بعد أن منّ الله عليه بالإسلام، في مدينة تونس بعد رحيله إليها، وقد كان يدعى قبل إسلامه (أنسلم تورميذا) لقب بالترجمان لكثرة انشغاله بترجمة الرسائل التي ترد إلى السلطان أبي العباس من قبل الفرنجة، وينسب إلى جزيرة (ميورقا) التي ولد فيها، وهي جزيرة جميلة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إسبانيا وقد توفي سنة ٨٣٢هـ.

انظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لأبي محمد عبدالله الترجمان، دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، ط ١٤٠٨هـ، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٢) انظر ص ٥٢٨ وما بعدها من هذا البحث.

أنبياء الله ورسله من هذه الخسائس المضحكة والفضائح المهلكة والتناقض الواضح >> (١).

ويذكر المهندس احمد عبد الوهاب في (كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية) تحت عنوان [هل نزل المسيح إلى الجحيم؟] قوله:

>> تذكر بعض المصادر المسيحية أن تلاميذ المسيح اجتمعوا معاً بعد رحيله ووضعوا قانوناً للايمان المسيحي يقرأ كل منهم فقرة من فقراته الإثني عشر، ويعرف هذا القانون باسم < قانون إيمان الرسل > الذي جاء في احدى صيغه المعروفة:

- ١- بطرس : أومن بالله الآب القادر.
- ٢- يوحنا : صانع السماء والأرض.
- ٣- يعقوب : ويسوع المسيح ابنه الوحيد، ربنا.
- ٤- أندراوس : الذي حبل به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم.
- ٥- فيلبس : وتألّم في عهد بيلاطس النبطي وصلب ومات ودفن.
- ٦- توما : ونزل إلى الجحيم، وفي اليوم الثالث قام ثانية من الأموات.
- ٧- برثولماوس : وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله الآب القادر >> (٢).

(١) انظر : أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي (تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب) دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، ط ١٤٠٨هـ، ص ١٤٩،

(٢) انظر : د. ادولف هرنك (تاريخ العقيدة)، ص ٢٠٤ نقلاً عن أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٦

>> وقد اختلفت الآراء في حقيقة هذا القانون وقامت مطاعن كثيرة ضده، ورغم ذلك فهو يوجد بهذه الصيغة في كتاب (الصلوات للكنيسة المتحدة في إنجلترا وإيرلندا) عدا تعديل طفيف يحذف أسماء الرسل ويضم الفقرتين الأولى والثانية معاً.

فمن ذلك القانون المزعوم نجد المسيح قد نزل إلى الجحيم قبل قيامته من الأموات! <<(١)

>> وقد جاء في إنجيل نيقوديموس أن آدم وإبراهيم والأنبياء استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء حيث قابلوا ثلاثة من بني آدم لم يذوقوا الجحيم وهم: أخنوخ وإيليا والصلب الذي صلب مع المسيح وكان كريماً معه.

ويقول هذا الإنجيل في نزول المسيح إلى الجحيم: >> جاء ملك المجد المسيح ووطأ الموت بقدميه وأمسك بأمير الجحيم وحرمه من كل قوته وأخذ أبانا الأرضي آدم معه إلى مجده <<(٢).

(١) انظر: أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٦، ٣٠٧

(٢) ١٧ : ١٣ أنظر:

The Lost Books of the Bible, The World Publishing Company
Cleveland and New York 1926, p.85

نقلا عن: المهندس / أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٧

وفي الحقيقة أنه لا يوجد أي نص يثبت أو يدل على نزول المسيح عليه السلام إلى الجحيم، بعد أو قبل دفنه - على زعمهم - في الكتاب المقدس والمعتمد حالياً من قبل النصارى (١).

هذا ما يعتقدّه المسيحيون في المسيح عليه السلام وهذا ما سجلته أناجيلهم عنه، ولا يخفى على القارئ الكريم، وعلى كل عاقل ذو نظر ثاقب زيف ما يزعمون فيه عليه السلام من تأليه له، وبنوته للإله، وصلبه فداءً عن الخليقة، ونزوله إلى الجحيم لانقاذ الأنبياء الذين نزلوا فيه !! أو صعوده وجلوسه عن يمين الله - تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً - وسند على شبههم هذه بتوفيق الله تعالى في الفصل الأخير من هذه الرسالة، وسنبين وجهة النظر الإسلامية المستقاه والمستمدة من الكتاب والسنة في المسيح وأمه عليهما السلام في الباب الثالث من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.



(١) وقد بحثت لذلك مستعينةً بكتاب قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتين، والذي يقرأ جدول الحوادث الرئيسية في حياة المسيح يلاحظ ذلك، ص ٨٧٠-٨٨٥
أيضاً بحثت في كتاب فهرس الكتاب المقدس، د. جورج بوست فلم أجد لهذا الموضوع أي أثر فيه.

الفصل الثالث

المسيح وأمه عليهما السلام في نظر الفرق المسيحية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

- ✽ المبحث الأول : أهم الفرق المسيحية التي ظلت محافظة على عقيدة التوحيد.
- ✽ المبحث الثاني : أهم الفرق التي إنحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد.

تمهيد

قبل أن نتحدث عن الفرق المسيحية وموقفها وعقائدها في المسيح عليه السلام لابد ان نتذكر حديث خير البرية عليه الصلاة والسلام والذي أخبرنا فيه وهو الصادق المصدوق عن افتراق النصارى إلى ما يقارب من اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

>> عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده ! لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم ؟ قال الجماعة >> (١)

-
- (١) أخرجه ابن ماجه في سننه، واللفظ له (باب افتراق الأمم)
- (أبواب الفتن) حققه محمد الأعظمي، ج ٢، ط ٢، ص ٣٧٧
 - والإمام أحمد في مسنده، وبهامشه منتخب كثر العمال، ج ٣، ص ١٢٠
 - والترمذي في صحيحه، بشرح الإمام ابن العربي في أبواب الإيمان، ج ١٠، ص ١٠٩
 - والإمام الدارمي في سننه، في (كتاب السير) باب افتراق هذه الأمة، ج ٢، ص ٢٤١
 - والإمام أبي داود في سننه، إعداد: عزت الدعاس. عادل السيد، ط ١، ج ٥، (أول كتاب السنة)، ص ٤
- يدل هذا الحديث الشريف على أن جميع الأمم من يهود ونصارى أو مسلمين ستفترق إلى فرق كثيرة ومتعددة - وهذا هو المشاهد في كل العصور - ستعذب في النار - والعياذ بالله - عدا الفرقة المتمسكة بعرى التوحيد الوثقى وبالأصول التي دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولانستطيع الحديث عن جميع هذه الفرق بالتفصيل، وإنما سنتحدث عنها على سبيل الحصر لأن معظمها قد باد، ولم تستوعبها المصادر والمراجع التي بين أيدينا، ولكن سنتحدث - إن شاء الله تعالى - عن أهم هذه الفرق مع بيان موقف كل منها ونظرتها وعقائدها في المسيح عليه السلام وهذا هو المحور الذي سيدور عليه حديثنا عن هذه الفرق. إذ سنعرض آراء هذه الفرق عرضاً في هذا الفصل، أما الرد والنقض فقد خصصنا له الباب الأخير من هذا البحث بمشيئة الله تعالى (١).

ويرى أحد الباحثين (٢) >> أن أول خلاف وقع بين النصارى وأحدث الفرقة بينهم، هو ما كان بين : برنابا (٣)

(١) انظر ص ٣٤٧ من هذه الرسالة.

(٢) هو الاستاذ آدم عبد الله الألوي مدير مركز التعليم العربي الإسلامي (أجيحي - نيجيريا).

(٣) اسم ارامي معناه < ابن الوعظ > وهو لاوي قبرصي الجنس، اعتنق المسيحية في زمان الرسل فترك علاقاته العالمية وابتدأ يجاهد في نشر بشرى الخلاص في العالم، ويحث الناس على اعتناق المسيحية، وكان كبير القلب كريماً فهو الذي رحب بيولس بعدما قبل المسيح، وعرف التلاميذ عليه لما رجع من دمشق إلى أورشليم،

انظر: قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ١٧٢، بتصرف

وينسب لبرنابا هذا إنجيل يوافق في جوهره العقيدة الإسلامية في المسيح، وفي نفس الوقت فهو يخالف العقيدة المسيحية الحالية في المسيح عليه السلام من تثليث والاعتقاد ببنوة المسيح لله - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - بالإضافة إلى أنه يبشر بنبينا محمد صلي الله عليه وسلم وقد ترجمه د/ خليل سعادته من الانجليزية إلى العربية ونشره السيد محمد رشيد رضا، منشئ مجلة المنار، ويقع الإنجيل في ٢٢٢ فصلاً. ==

وبولس^(١) واستطاع بولس بقوة بلاغته ودعايته أن يستميل إليه أكثر أتباع المسيح، وأن يدس سموم الفلسفة اليونانية والوثنية الرومانية في الديانة المسيحية >>^(٢).

ولا يخفى على القارئ المنصف الكريم بأن العقيدة المسيحية الأصلية عقيدة توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وهي العقيدة التي دعا إليها جميع أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ومن بينهم السيد المسيح عليه السلام.

{ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد }^(٣).

== وقد استدلل الباحث السابق ذكره بمقدمة هذا الإنجيل على ما قاله، وفيما يلي ننقل نصاً من مقدمة هذا الإنجيل:

>> أيها الأعداء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين، بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الحتان، الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلحكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد، مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً >>

انظر : إنجيل برنابا، ترجمة د/ خليل سعاده، ص ٣

- (١) للتعريف به، انظر : هامش ص ٣ من هذا البحث
- (٢) انظر : آدم الآلوي (تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم)، ص ٢، ص ١١١
- (٣) سورة المائدة : آية ١١٧

وعندما نستعرض فرق النصارى من المصادر التي بين أيدينا نجد أن بعض هذه الفرق قد حافظت على عقيدة التوحيد الأصلية في الله سبحانه وتعالى، وأن المسيح عبد الله ورسوله من أولئك فرقة أيبون، وفرقة بولس الشمشاطي، وفرقة أريوس وفرقة الموحدين في عصرنا الحاضر.

وهناك فرق مسيحية كثيرة قد انحرفت عن طريق العقيدة الصحيح >> إما بسبب تسرب المعتقدات الوافدة أحياناً من فلسفات قديمة، وأحياناً من روااسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بأهلها المسيحيون.

فانقسم حينئذٍ المسيحيون إلى طائفتين : طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله - والعياذ بالله - وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد، وضمت كل طائفة من الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة >> (١).

(١) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط ٣، ص ١٠٥-١٠٦.

المبحث الأول

أهم الفرق المسيحية التي ظلت محافظة على عقيدة التوحيد

ومن أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد فرقة المرقيونيين، وفرقة البربرانية، وفرقة الاليانية، وفرقة اليعقوبيين، وفرقة الملكانية، وأتباع نسطور. وسنبداً الحديث - فيما يلي - عن فرق النصارى التي ظلت عقائدها محافظة على التوحيد وإنكار ألوهية المسيح وتثبت بأنه بشر ورسول:

[١] فرقة أيون أو الأيونيين Ebionites

>> أتباع ايون (١) Ebion وكانت تقر جميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدث عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية، ويحتوى هذا الإنجيل على إقرار جميع شرائع موسى، كما ينكر ألوهية المسيح ويعتبره المسيح المنتظر وأنه مجرد بشر رسول، وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن الكريم، وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي >> (٢).

(١) كان يهودياً سامرياً معاصراً ليوحنا الرسول، وذهب الأكثرون إلى أنه لم يوجد شخص بهذا الاسم، ويقال ان اصل هذا الاسم من ايونيم بالعبرانية ومعناه قوم فقراء.

انظر: بطرس البستاني (دائرة المعارف)، ج ٢، ص ٤٢٦
(٢) انظر: علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٨، ص ٩٥

وتقول دائرة معارف البستاني : >> كانت هذه الطائفة تنكر لاهوت المسيح وتحافظ على الحتان مع استعمالها المعمودية والعشاء الرباني وتحفظ اليوم السابع الاسبوع سبتاً >> (١).

[٢] فرقة بولس الشمشاطي Paul de Somosate :

>> وكان بولس الشمشاطي أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٠م وأنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول، وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بجرمانه وطرده، وقد بقي لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي >> (٢)

ويذكر الإمام ابن حزم (٣) في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل :

(١) ج ٢، ص ٤٢٦

(٢) انظر : د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٨، ١٠٩

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبه (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) وكان أبوه وزيراً للحاجب المنصور، وبعد سقوط الدولة العامرية نُفي إلى (المرية) ثم إلى (بلنسية)، وكان ابن حزم في أول أمره شافعي المذهب ثم أصبح من الظاهريه الذين يرفعون لواء الإسلام، وفي النصف الثاني من حياته وضع عدداً ضخماً من المؤلفات التاريخية والفقهيه عندما وجد الأمن عند حاكم جزيرة (ميورقه) وتوفي عام ٤٥٦هـ.

انظر : مقدمة كتاب الفصل في الملل، تحقيق د/ محمد نصر، د. عبد الرحمن عميره، ط ١، ص ٣-٤

>> إن بولس هذا كان بطريكاً بأنطاكيه، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح،
وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن
مريم من غير ذكر، وأنه انسان لا إلهية فيه ألبته، وكان يقول لا أدري ما الكلمة ؟
ولاروح القدس ؟ >> (١).

ويذكر الإمام الشهرستاني (٢) في كتابه الملل والنحل :

>> أن بولس الشمشاطي يرى أن الإله واحد، وأن المسيح ابتداءً من مريم
عليها السلام، وأنه عبد صالح مخلوق، إلا أن الله شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابناً على
التبني لا على الولادة والاتحاد >> (٣).

>> ويتبين من هذا أن مذهب بولس هذا كان توحيداً خالصاً، وأن عيسى
ليس إلا رسولاً من رب العالمين، وأنه كان إذا عرض له البحث في كلمة الله وروح
القدس أمسك عن ذلك، ولم يخض فيه، وتوقف واعتصم بذلك.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) اسمه محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي المتكلم وصاحب
التأليف المشهورة، وقد وُلد شمالي خراسان ببلدة شهرستان، وإليها نسب، وبها
تعلم وتربى، وساعده على هذا ما وهبه الله من ذكاء ودقة في البحث عاش ما بين
٤٧٩-٥٤٨هـ

انظر: مقدمة كتاب الملل والنحل للشهرستاني، تقديم وإعداد د. عبد اللطيف
محمد العبد، ط ١، ص ٣ - ٤

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٠

ويظهر من هذا أن هاتين الكلمتين كانتا المشار الذي يثير منه أنصار ألوهية المسيح الشبهات حول التوحيد، ليلقوا الريب في نفوس معتنقية، فإذا استولى الريب عليهم ألقوا أمانهم، ووجدوا من الحيرة والاضطراب ما يتخذونه ذريعة إلى ما يريدون >> (١).

ويقول ابن البطريق (٢) في بيان مذهبه.

>> إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم أي أنه محدث وليس قديماً.. ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا بروح القدس وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وهم البولبقانيون >> (٣)

[٣] أتباع أريوس Arius :

ومن فرق النصارى التي بقيت محافظة على عقيدة توحيد الله - تعالى -

(١) انظر: مثلاً (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، ج ٢، ص ٣١٢

(٢) من أشهر مؤرخي المسيحية، وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري، وكان من مترجمي الكتب في بلاط الخليفة المأمون، وقد ترجم له من اليونانية كتاب المجسطي في الفلك لبطليموس الفلكي وكتاب الأصول في الهندسة لأقليدس،

انظر: الأسفار المقدسة د/ علي وافي، ص ٧٦

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٩

أيضاً : محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهره، ط دار الفكر، ص ١٨١

بالعبادة وإثبات عبودية المسيح لله تعالى، وإنكار ألوهيته، من أولئك أريوس^(١) وأتباعه >> وكان هذا الرجل في مصر داعية قوي الدعاية، جريئاً فيها، واسع الحيلة، بالغ الأدب قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبشه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو إليه، فقام هو محارباً بذلك، مقراً بوحداية الله منكرأ ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية >>^(٢)

ويقول الإمام ابن حزم عند حديثه عن هذه الفرقة الموحدة:

>> والنصارى فرق، منهم اصحاب أريوس، وكان قسيساً بالإسكندرية: ومن قوله: التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية، وأول

(١) هو ابن أصفانوس بن بطلينس، ويلقب برشيد قومه، وكان من علماء الروم بالعزائم، وله من الكتب: كتاب يذكر فيه أولاد إبليس، وتفرقهم في البلاد، وما يختص به كل جنس منهم في العلل والأرواح، وهو أكبر تلاميذ (ماربطرس) بطريك الاسكندرية، ومن خريج المدرسة اللاهوتية، وخالف استاذة كثيراً فسخطه وطرده وجرده من كهنوته، ولما مات بطرس رجع أريوس عن المخالفة فأدخله (اسكندروس) إلى الكنيسة وصيره قساً، ولكن مجمع الأساقفة قرر نفيه فنفاه القيصر وأمر بقتله، ولكنه اختفى وظهر بعد موت القيصر،

انظر: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٣٢٠

أيضاً: خلاصة تاريخ المسيحية بمصر، ص ٨١، نقلاً عن هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم، ج ١، ص ١٠٩، تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميره.

(٢) انظر: الإمام محمد أبي زهرة (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر، ص ١٤٧

من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس هذا >> (١).

>> ويلخص ابن البطريق مذهب أريوس بقوله: كان يقول ان الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب حيثما لم يكن الابن >> (٢).

>> ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقض عدد أتباعه بعد ان حكم مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بطرد أريوس وكفره واصدر قراره بألوهية المسيح، وما زال يضمحل

(١) الفصل في الملل والنحل، ج ١، ط ١ تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبدالرحمن عميرة، ص ١٠٩

ويتضح خطأ النقل الذي وقع فيه الإمام ابن حزم - رحمه الله - حيث ان قسطنطين ليس أول من تنصر، ولم يكن على مذهب أريوس، بل على العكس من ذلك كان ضد مذهب أريوس - وهذا ما يراه أيضاً الإمام ابي زهرة.

انظر : محاضرات في النصرانية، ص ١٨٠ - إذ نصر مذهب مؤلهي المسيح على مذهب أريوس الموحد، وهذا ما حصل في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م فمع أن مذهب أريوس يعتنقه الأكثرية، فقد كان اسقف مقدونية، وأسقف فلسطين، وكنيسة أسيوط كلها على مذهب أريوس الموحد، وضده بطريك الأسكندرية فقط، أما قسطنطين الامبراطور الروماني فلأنه وثني جنح إلى رأي مؤلهي المسيح ونصرهم بقوة السلطان مع أنهم القلة إذ كان عددهم ٣١٨ من ٢٠٤٨ من الأساقفة، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي !! فباركوه وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذبح عنه، فكان من نتائج ذلك المجمع أن أحرقت جميع الكتب التي تخالف رأي تأليه المسيح حتى لاتصل إلى الناس فيتبعون ما بها من آراء تخالف ما اتفق عليه اصحاب ذلك المجمع.

انظر : محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر العربي، ص ١٤٦-١٥٤

(٢) نقلا عن د. علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٩، ولم يذكر المصدر الذي قد نقل عنه.

ويتناقص عدد أتباعه حتى انقرض كل الانقراض في أواخر القرن الخامس الميلادي >> (١).

[٤] فرقة الموحدين في العصر الحاضر *Untarians* :

ومما يجدر ذكره وجود طائفة الموحدين في عصرنا الحاضر >> وهذه الطائفة اسم لمجموعة دينية ترفض العقيدة المسيحية القديمة المألوفة للكنيسة المسيحية سواء كانت في عصر قديم، أو في عصر ما بعد التجديد.

تأسست في القرن ١٦م في المجر ورومانيا وبولندا، وفي القرن ١٨م و١٩م انتشرت في بريطانيا والولايات المتحدة وغيرها، وهي تؤمن بأن الاله واحد لا شريك له، وتنكر ألوهية عيسى وعقيدة التثليث >> (٢).

>> وهي موجوده الآن في امريكا الشمالية وبريطانيا وأوربا الوسطى، وتوجد مجموعات صغيرة منها في انحاء أخرى، وعدد افرادها ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة الف) ويزعم بعضهم أن عددهم يزيد على مليونين >> (٣).

>> وفي القرن ١٧م ترجمت كتب عقائد هذه الطائفة من البولندية إلى الانجليزية ونشرت في إنجلترا، وقد تم احراق نسخ منها علناً في لندن عام ١٦١٥م، وعام ١٦٥٢م، ثم انتشرت موجة التوحيدية في بريطانيا، وكذا في امريكا بين ابناء الطائفة الكالفنية المتطهره، وهؤلاء يدعون إلى أن الله وحده خالق العالم ومالكة، وأنها نستطيع ان نعبده جيداً بأن نتحلى بالأخلاق الفاضله، وأن عيسى المسيح رسوله >> (٤).

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) (٣) (٤) ملخص ومترجم من (الموسوعة البريطانية) ج ١٨، ص ٨٥٩، ٨٦٠
مادة: *Untarians*.

>> وتأسس في عام ١٨٢٥ اتحاد التوحيدين البريطانيين والأجانب، ولا تزال هذه الطائفة موجودة في بريطانيا، وقد توحد أعضاؤها بعد أن كانوا متفرقين في منظمة سُميت الجمعية العمومية لطائفة الموحدين والكنائس الحرة في عام ١٩٢٨م << (١).

>> وفي بوسطن (أمريكا) تأسس اتحاد الموحدين الأمريكيين في عام ١٨٢٥، وادعى هذا الاتحاد أن خمسة من رؤساء جمهورية أمريكا (الولايات المتحدة) وكثيراً من الشخصيات البارزة في الأدب والتربية واصلاح المجتمع والحياة العامة كانوا من طائفتهم.

وحينما انتشرت التوحيدية في مناطق الغرب الاوسط المفتوحة قريباً تحولت اسس ديانتها إلى نزعة إنسانية عالمية وعقائد علمية، مفضلةً ذلك على المسيحية والكتاب المقدس.

وأسس الأمريكيون في عام ١٩٠٠م الاتحاد الدولي للمسيحية الحرة والحرية الدينية.

وفي عام ١٩٦١م توحد التوحيديون والعالميون في كنيسة واحدة وهي:

(١) المرجع السابق، ص ٨٦١

الاتحاد الامريكي التوحيدي العالمي << (١).

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

وأعتقد أنه من السهولة بمكان دعوة هؤلاء الموحدين إلى الإسلام، بشرح هذا الدين القويم لهم شرحاً وافياً فهم - بلا شك - قريين منه بتوحيدهم لله تعالى ومخالفتهم عقائد المسيحيين المنحرفة، وصبرهم على الأذى والاضطهاد من قتل وتشريد وتغريب فقد حدث في << القرن ١٦م أن أعلن شخص منهم يدعي (ميشال سيرفيتوس) انكاره للتثليث فقبضوا عليه وأحرقوه عام ١٥٥٣م في جنيف، وهناك آخرون لم يؤمنوا بعقيدة التثليث تم القبض عليهم وإحراقهم في ذلك الحين، فهاجر بعضهم إلى بولندا، وتأسست فيها كنيسة جديدة سميت الكنيسة الصغيرة المجده (الاخوان البولنديين).

وانتشرت هذه الطائفة في ترانسيلفانيا في المجر، وأعلن زعيمها فيرنيس دافيد انكاره ان تكون الصلاة موجهة إلى عيسى المسيح، فسجنوه ومات في السجن عام ١٥٧٩م <<

انظر : المرجع السابق، ص ٨٦٠

أما دعوة هؤلاء إلى الإسلام وشرحه وتوضيحه لهم فهو واجب يقع على اعناق الدعاة المسلمين المتمكنين من الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً، قال تعالى:

{ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون } آل عمران: آية ١٠٤

وأعتقد أيضاً أنه يجب على أفراد هذه الطائفة البحث والتحقيق من الدين الصحيح الذي يوافق عقيدتهم وذلك بما منحهم الله من عقل سديد وفطرة صافية من شوائب الشرك لكي يزدادوا إيماناً على إيمانهم، ولكي يسلكوا الطريق الصحيح في أداء عبادتهم لله تعالى، وذلك لأن الدين عند الله الإسلام.

انظر : التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص

المبحث الثاني

أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد

أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد، وهي كما يلي:

[١] فرقة المرقيونيين:

>> تنسب إلى مرقيون أو مرسيون *Marcion*، وهو من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان قسيساً، ثم حكم عليه بالطرد والحرمان، ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين: أحدهما الإله العادل *Dieu Juste* أو الإله ديمورج *Demiurge* أي الخالق وهو الإله الذي أتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة، والآخر إله الخير *Dieu Bon* الذي ظهر متمثلاً في المسيح وخلص الإنسانية من خطاياها، وقد كان للإله الأول السلطان على العالم حتى ظهر الإله الثاني فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه، ومن ثم يقوم هذا المذهب على أطراح العهد القديم^(١) (كتب اليهود المقدسة) في جملته وتفصيله، ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد، والأسفار القليلة التي يعترف بها من أسفار هذا العهد وهي إنجيل لوقا ورسائل بولس، ولا يعترف بها إلا بعد أن يدخل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن أوضاعها ومدلولاتها الأولى، ويقال أنه كان لهذه الفرقة إنجيل خاص >>^(٢).

(١) أي تركه وعدم الاعتراف به.

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة

>> ومنهم من كان يقول إن هناك ثلاثة آلهة: صالح، وطالح، وعدل بينهم <<(١).

>> ولعل هذا المذهب متأثر بالديانة الزرادشتية الفارسية في مراحلها الأخيرة، فقد انتهى الأمر بالزرادشتيين إلى الاعتقاد بوجود الهين، إله للخير وكانوا يسمونه أهورا مزدا، وإله للشر وكانوا يسمونه أهريمان <<(٢).

>> ويقول ابن البطريق في هذه النحلة وأصحابها: زعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين، وأنكروا بطرس، فالمنتحلون لهذه النحلة يزعمون أن مرقيون داعيتها والمنادي بها حوارى من حوارى عيسى عليه السلام بل كبير الحواريين ورئيسهم <<(٣).

ومن أهم ما تختص به هذه الفرقة أنها حرمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفراد نحلته.. وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب فقد انتشر وتبعه خلق كثير في إيطاليا وأفريقيا ومصر، وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث، ثم أخذ يضمحل ويتناقص أتباعه تناقصاً كبيراً، ولكنه لم ينقرض إلا في حوالي القرن العاشر الميلادي <<(٤)

(١) انظر: الشيخ أبي زهره (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر العربي، ص ١٨٢

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٦

(٣) الإمام أبي زهره (محاضرات في النصرانية)، ص ١٨٢-١٨٣

(٤) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٠٧ باختصار.

إذاً نستخلص مما سبق أن هذه الفرقة تعتقد بألوهية المسيح، وبأنه إله للخير، وهو الذي خلص الإنسانية من خطاياها وأوزارها، وقد سلب جميع حقوق الإله الأول الإله الخالق، وأصبح هو الإله ذو السلطان والمسيطر على العالم كله - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

[٢] فرقة البربرانية:

ويروي عنهم الإمام ابن حزم - رحمه الله - قولهم : >> إن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل ، وهذه الفرقة قد بادت << (١)

>> ويقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول : ومنهم من كان يقول ان المسيح وأمه الهان من دون الله وهم البربرانية، ويسمون الريميتين << (٢)

ولعل هؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله تعالى عيسى ابن مريم اذ يقول : { واذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب << (٣).

(١) انظر : الفصل في الملل والنحل، ج ١، د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميره، ط ١، ص ١١٠

(٢) نقلا عن : د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٧

(٣) سورة المائدة : آية ١١٦

وإذ يرد عليهم بقوله تعالى: { ما المسيح إبن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون >> (١).

>> وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية القرن الرابع الميلادي، وان كان يبدو من ذكرها في القرآن الكريم أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (القرن السابع الميلادي).

ومهما يكن من شئ فإن الاتجاه إلى تقديس مريم قد ترك آثاراً ورواسب كثيرة في معظم الفرق المسيحية الباقية، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتنقها وتقيمها جميع فرق المسيحيين في الوقت الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت >> (٢).

[٣] فرقة اليان :

>> وأما فرقة اليان فيؤخذ مما ذكره في صدها إبن البطريق والشهرستاني في الملل والنحل أنها كانت تؤله المسيح، وتقرر أنه إبن الله، وتصور حقيقته وحمل أمه به وقصة صلبه في صورة خاصة، فتذهب إلى أن مريم لم تحمل به كما تحمل النساء بالأجنه، وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة (الابن) دخلت من أذنها، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين إنما هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرأة، فلم يكن المسيح جسماً متجسماً كثيفاً في الحقيقة، وكذلك القتل والصلب، فانهما وقعا على الخيال والظن لاعلى الحقيقة.

(١) سورة المائدة : آية ٧٥

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٧

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية القرن الرابع الميلادي وان كان يبدو مما ذكره الشهرستاني في صددها اذ يقول: >> وهؤلاء يقال لهم الاليانيه، وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية <(١) أنه كان ولا يزال لهذه الفرقة أتباع في عصره (القرن السادس الهجري والثالث عشر الميلادي <(٢).

[٤] فرقة اليعقوبين: (٣)

وينقل الإمام ابن حزم - رحمه الله - في كتابه (الفصل في الملل والنحل) عن هذه الفرقة قولهم:

>> إن المسيح هو الله تعالى نفسه وأن الله - تعالى عن عظيم كفرهم - مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تقديم وإعداد/ د. عبداللطيف محمد العبد، ط ١، ج ٢، ص ٢٤٢

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٧-١٠٨

(٣) هم أتباع يعقوب البراذعي، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب لأنه مبتدعه ومنشئه فإن ذلك المذهب اسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريك الاسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، أما يعقوب فقد وجد في القرن السادس الميلادي، ويقرر صاحب كتاب سوسنة سليمان في إطلاق اسم اليعقوبيين على أصحاب هذا الرأي، يطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبة إلى يعقوب البراذعي، الذي أعاد هذه الشيعة ورتبها في القرن السادس للتاريخ المسيحي، بعد أن كادت تتلاشى.

انظر: الإمام أبي زهره (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر، ص ١٩٠-١٩١

كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثاً، وأن المحدث عاد قديماً، وأن الله تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به (١).

وهم في أعمال مصر، وجميع النوبة، وجميع الحبشة، وملوك الأمتين المذكورتين >> (٢)

وذهب بعض اليعقوبية إلى قولهم: >> انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم } (٣)

ومنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لاعن طريق حلول (٤) جزء فيه ولا على سبيل الاتحاد (٥) الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما أخبر التنزيل عن جبريل - عليه السلام - { فتمثل لها بشراً سوياً } (٦)

(١) ويظهره واضحاً بطلان وزيف وسفسطة أقوالهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، وسيجد القارئ الكريم الرد عليهم في الباب الرابع.

انظر ص ٥٢٦ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) ج ١، ط ١، تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميره، ص ١١١

(٣) سورة المائدة : آية ٧٢

(٤) (٥) لتعريف الحلول والاتحاد انظر ص ٤٨١ من هذا البحث.

(٦) سورة مريم : آية ١٧

وزعم أكثر اليعقوبيه : أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركباً كما تركب النفس والبدن فصارا جوهرأً واحداً، أقنوماً واحداً، وهو إنسان كله وإله كله.

فيقال : الإنسان صار إلهاً، ولا ينعكس فلا يقال: الإله صار إنساناً كالفحمه تطرح في النار، فيقال: صارت الفحمة ناراً، ولا يقال: صارت النار فحمه، وهي في الحقيقة لانار مطلقه ولا فحمه مطلقه، بل هي جمرة وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزبي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع، والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآه المجلوه >> (١).

[٥] فرقة الملكانيه: (٢).

قال بعضهم : >> إن الله تعالى - عبارته عن قولهم - ثلاثة أشياء أب وابن،

(١) انظر : الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم د/ عبداللطيف محمد العبد، ص ٢٤١

أيضاً : الإمام الآمدي (أبكار الأفكار في اصول الدين)، تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة دكتوراه) من جامعة الأزهر، ص ٥٤٦-٥٤٧

(٢) هي من أقدم المذاهب المسيحية، وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، وكان معظم الروم ملكانيه، وهذا المذهب كان منتشراً في البلاد التي فتحها المسلمون ويبدو أنه كان المذهب الرسمي في ذلك العهد (انظر المغني ٨٤/٥). الملل ٢٧/٢-٢٩، نشأة الفكر الفلسفي ٩٧/١، ٩٨) نقلاً عن هامش أبكار الأفكار للآمدي، تحقيق د/ أحمد مهدي، ص ٥٤٤

وروح القدس، كلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد إبن الله، تعالى الله عن كفرهم >> (١).

وقال بعضهم : >> إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته (٢) ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به < ابن > فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر - أو الماء - اللبن وصرحوا كذلك بإثبات التثليث وأخير عنهم القرآن الكريم: { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة } (٣)

== >> الملكانية : طائفة مسيحية من الطقس البيزنطى منتشرة في سورية ومصر وفلسطين، ومنها جالية هامة في أمريكا وكنيستهم تسمى كنيسة الروم، ويتكلم معظمهم العربية ويرأسهم بطريرك يقيم في دمشق، سموا الملكيين لأنهم أيدوا القرار الذي اتخذته مجمع خلقدونية عام ٤٥١م ضد بدعة أو طيخا القائله بطبيعة واحدة للمسيح، فلقبهم مخالفوهم ازدراءً لهم بالملكيين لوقوفهم في صف مرقيانوس الذي كان يعاضد المجمع، ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما، ويسمون الروم الكاثوليك (الموسوعة العربية الميسره، ص ١٧٤٢).

نقلا عن هامش كتاب الفصل في الملل والنحل، ج ١، تحقيق د/ محمد نصر، د/
عبد الرحمن عميره، ص ١١٠

(١) انظر : الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ١١١

(٢) اللاهوت تدرع الناسوت، أي أن ذات الله تعالى تدرعت بالمسيح، أي اتخذته درعاً كما يتدرع الإنسان ثوبه، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٣) المائدة : آية ٧٣

وقالت الملكانية : إن المسيح ناسوت كلي لاجزئي^(١) وهو قديم أزلي، من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهاً أزلياً >>^(٢).

>> واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم، وقال بعضهم : إن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معاً، واطلقوا لفظ الابن على عيسى، والأب على الله تعالى >>^(٣) تعالى الله عما يقوله الكافرون علواً كبيراً.

[٦] أتباع نسطور : (٤)

في الحقيقة أني عندما أردت الكتابة عن هذه الفرقة ترددت في وضعها في قائمة

(١) الجزئي : هو المعنى (المفهوم) الذي يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه مثل محمد والنيل، وهذا الإنسان.

والكلي : هو المعنى (المفهوم) الذي لا يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه مثل : إنسان، ومثلث وشمس.

انظر : د/ عوض الله حجازي (المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم)، ط ٤، ص ٥٣

(٢) انظر : الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم وإعداد، د/ عبد اللطيف العبد ، ط ١، ص ٢٣٦، ٢٣٧

(٣) انظر : الإمام الآمدي (أبكار الأفكار) تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة دكتوراه)، ص ٥٤٤، ٥٤٥

(٤) هو مؤسس النسطورية وقد ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي، وجلس على كرسي البطريركية في بيزنطة (القسطنطينية) وفيها أعلن مذهبه في طبيعة المسيح، وقد أثار عليه ثورة كبرى في العالم المسيحي وقتئذٍ

انظر : هامش أبكار الأفكار للآمدي تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة دكتوراه)، ص ٥٤٥

الفرق المسيحية التي انخرفت عن عقيدة التوحيد الأصلية، وذلك لان بعض المراجع التي بين يدي تقرر ان نسطور هذا والتي تنسب اليه هذه الفرقة كان موحداً ويرى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، وأن اتحاد ذلك الإنسان بالأقنوم الثاني كان اتحاداً مجازياً، وأن المسيح، عبد صالح مخلوق، وان الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابناً على سبيل التشريف، لا على سبيل البنوة الحقيقية.. إلا أن أتباع نسطور هم الذين انخرفوا عن الطريق الصحيح وعن مبادئ نسطور الحقيقية، وكان اختلافهم عن مبادئه اختلافاً جوهرياً في الحقيقة والمعنى لافي الشكل واللفظ (١).

وينقل الإمام أبو زهره عقيدة نسطور هذا فيقول:

>> وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره، بل كان يرى ان مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني، وليس ذلك الإتحاد بالمزج وجعلهما شيئاً واحداً، أو ذلك الإتحاد ليس اتحاداً حقيقياً، بل كان اتحاداً مجازياً، لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن، وهذا التخريج لاشك يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم، وحوكم وعوقب في زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله.

ولما قال نسطور ذلك القول كاتبه كيرلس بطريك الإسكندرية ويوحنا بطريك أنطاكية في ذلك الإبان ليعدل عن رأيه، فلم يصغ إليهما، ولم يجب طلبهما، فانعقد

(١) لذلك فقد عنونت لهذه الفرقة (بأتباع نسطور) ووضعيتها في قائمة الفرق التي انخرفت عن عقيدة التوحيد الأصلية والصحيحة.

مجمع إفسس سنة ٤٣١، وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء قد ولدت الإنسان والإله !!

ولقد أبعد بعد ذلك نسطور عن منصبه، ونفي فصار إلى مصر وأقام في أخميم إلى أن مات << (١)

>> وقد انحرف النسطوريون عن مبادئ نسطور، لأن نسطور كما قررت صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية وكما قرر ابن البطريق لا يرى أن الأقنوم الثاني مازج المسيح قط (٢) بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة بالحقيقة، واستنبطنا كما استنبط غيرنا أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الإلهي خلواً تاماً، وهو يصرح بأن مريم ولدت الإنسان فقط بينما غيره يقرر أنها ولدت الإله والإنسان، وهذا اختلاف جوهري في الحقيقة والمعنى لافي الشكل واللفظ، وإذا كان النسطوريون في هذا الزمان قد قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت كما يقول غيرهم، فقد انحرفوا عن مقالة نسطور << (٣)

ويقول الإمام الآمدي في كتابه (أبكار الأفكار)

>> ومنهم من قال بأن الإله واحد، وإن المسيح ابتداءً من مريم، وأنه عبد صالح مخلوق، إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته، وسماه ابناً على سبيل

(١) محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر، ص ١٨٨

(٢) يقصد : أن اللاهوت وهو الجزء الإلهي لم يمازج الناسوت أي الجزء الإنساني.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٩، ١٩٠

التبني، لا أنه ولد منه >> (١)

واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لاعلى طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة (٢) وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم >> (٣).

>> وزعموا أن الإبن لم يزل متولداً من الأب، وانما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحداً، وهما جوهران أقنومان طبيعتان: جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام وإنسان

(١) تحقيق د/ أحمد المهدي، ص ٥٤٦

(٢) صنف من الزجاج المتقن واحدته بلوره، وهو جوهر شفاف تام الصفاء أصلب وأثقل وأكثر كسراً للضوء من الزجاج العادي،

انظر: محمد فريد وجدي (دائرة معارف القرن العشرين)، ج ٢، ط ٣، ص ٣٣٠

(٣) تقديم وإعداد د/ عبداللطيف محمد العبد، ط ١، ص ٢٣٩

تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحاً واحداً،
طبيعة واحدة >> (١).

>> وقالوا : إن القتل وقع على المسيح، من جهة ناسوته لامن جهة لاهوته، لأن
الإله لا تخله الآلام >> (٢).

أما الإمام ابن حزم فينقل عنهم قولهم :

>> إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان
وإنما ولد الإله - تعالى الله عن كفرهم - وهذه الفرقة غالبه على الموصل والعراق
وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور وكان بطريركاً بالقسطنطينية >> (٣).

تلك هي الفرق المسيحية القديمة، وقد ذاب اليوم أكثرها في الفرق أو الطوائف
الآتية:

وهي كما يلي :

(١) انظر : الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم د/ عبد اللطيف العبد، ط ١،
ص ٢٤٠

أيضاً : الإمام الآمدي (أبكار الأفكار) تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة
دكتوراه)، ص ٥٤٥

(٢) لتعريف الحلول و الاتحاد، انظر ص ٤٨١ من هذه الرسالة.

(٣) انظر : الفصل في الملل والنحل، ج ١، تحقيق د/ نصر، د/ عميره، ط ١، ص ١١١

أ - >> الكاثوليك : وكنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحوارين ورئيسهم، والبابوات في روما خلفاؤه <<(١)

ب - >> الأرثوذكس : وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولايوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤^(٢) وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة <<(٣).

(١) انظر : د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٧

(٢) *Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol.3, p.590*

نقلا عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٨

(٣) انظر : د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٨

أما عن عقيدة هاتين الطائفتين في المسيح عليه السلام فيتفقان على عبادة الثالوث المقدس لديهم، والذي احد عناصره المسيح عليه السلام فيعتقدون بأنه ابن لله - تعالى عما يقولون علواً كبيراً - والثالوث معروف لديهم وهو (الأب والابن وروح القدس).

وتختلف هاتين الطائفتين في النقاط الآتية:

>> ١ - قالت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الله الأب، والله الابن معاً، وأصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط.

٢ - قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإله الابن، وقالت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الإثنين.

٣ - قالت الكنيسة الشرقية بأن المسيح طبيعة واحدة ومشئمة واحدة (١) وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ومشئمتان >> (٢)

ج - >> البروتستانت: (٣) وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية وقصد بهذه

(١) أي أن اللاهوت اختلط بالناسوت اختلاطاً تاماً.

(٢) أي لاهوتي : يحيي ويميت ويشفي به، وناسوتي: يتألم ويجوع ويعطش به.

انظر : د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٧ باختصار

(٣) سُمى الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية بروتستانت، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى بالانجليزية بروتستانت، فسمى الذين أمضوا القرار بروتستانت أي المحتجين، انظر: هامش كتاب محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهرة، ص ٢٠٠

التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسؤولون أمام هذا الكتاب، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة، والتي لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحد عن الآخر (١).



(١) وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا وإنجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية.

والصراع عنيف بين هذه المذاهب في الحاضر كما كان في الماضي، فقد اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المصريين كفرة وملاحدة ومنعوهم من الحج للقدس لأنهم أرثوذكس، وقد ساد هذا الاتجاه جميع المذاهب المسيحية فكتاب القسطاس البروتستنتي يهاجم الكاثوليكية بعنف وكتاب الصخرة الأرثوذكسية يفند تعاليم كل من الكاثوليكية والبروتستانتية، ولو صدقنا هذه الكتب التي دونها قادة مسيحيون لانتبهنا إلى نتيجة حاسمة هي بطلان كل هذه المذاهب والقضاء على المسيحية كلها.

انظر : ميخائيل فكس : القدس عبر التاريخ، ص ٥٧

أيضاً كتاب القسطاس البروتستنتي وكتاب الصخرة الأرثوذكسية لحبيب جرجس.

نقلا عن : د/ أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٤٠، ٢٤١

الباب الثالث

المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

✽ الفصل الأول :

مريم عليها السلام في الكتاب والسنة.

✽ الفصل الثاني :

المسيح عليه السلام في الكتاب والسنة.

تمهيد

حيث أن الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة هما الميزانان المنصفان والعدلان اللذان يمكن للمسلمين، بل وللمحققين المنصفين أن يزنوا بهما حقيقة كل شيء لينظروا أهو من الحقيقة والصدق في شيء أم لا ؟

فكتابنا العظيم، القرآن الكريم قد حفظه الله بحفظه فلم تمسه أيدي العابثين فله الحمد والمنة { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } (١)

وما سُمي هذا الكتاب فرقانا إلا لأنه يفرق بين الحق والباطل وإن لم يكن هذا إسماءً له على التخصيص { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً } (٢)، بل إن القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة أي >> الأمين عليها فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل، وقد جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب خاتماً وأشملها، وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها << (٣)

قال تعالى: { وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله .. } (٤).

(١) سورة الحجر : آية ٩

(٢) سورة الفرقان : آية ١

(٣) انظر : تفسير ابن كثير، ج ٢، ط دار المعرفة، ص ٦٥

(٤) سورة المائدة : آية ٤٨

أما السنة النبوية المطهره فلا يخفى شدة إهتمام المسلمين بها، فهي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وذلك في جمعها وتدوينها وحفظها ودراستها، وتصنيفها، حتى أن المحدث قد يسافر مسيرة شهر أو أكثر لأجل أن يحصل أو يصحح سند حديث واحد فقط إذا عُلِمَ له مكان رواته.

لذلك كله كان لابد أن نفرد باباً خاصاً، في هذه الرسالة للحديث عن السيد المسيح وأمه الصديقة مريم ابنة عمران في كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهره

الفصل الأول

مريم عليها السلام في الكتاب والسنة

ويشتمل على أربعة مباحث :

- * المبحث الأول : البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام.
- * المبحث الثاني : البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته.
- * المبحث الثالث : فضل الصديقة مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة، ثم من واقع السنة النبوية المطهرة.
- * المبحث الرابع : الآراء في القول بهجرتها عليها السلام.

المبحث الأول

البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام

إن الله سبحانه وتعالى، وهو المتصرف في كونه كيفما يشاء يصطفى من عباده من يشاء، وقد بين لنا كتاب الله الكريم أن الله تعالى يصطفى من عباده أناساً تميزوا بالتقى والصلاح وطيب المنبت وصفاء السريرة عن بقية خلقه، كأنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام ومن هؤلاء المصطفين آل عمران، وهم من تنتسب إليهم هذه الصديقة الطاهرة مريم عليها السلام.

قال تعالى : { إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم } (١).

>> والاصطفاء هو الاختيار والاجتباء، واستصطفى الشيء واصطفاه: أي اختاره.. والصفة الخالص من كل شيء { (٢) }.

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - >> أن المراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليها السلام، قال محمد بن إسحاق بن يسار - رحمه الله - هو عمران بن بإشم بن ميشا بن خزقيا بن إبراهيم بن غرايا بن ناوش بن أجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن إياز بن رخييم بن سليمان بن داود عليهما السلام فعيسى من ذرية إبراهيم << (٣)

(١) سورة آل عمران : ٣٣ ، ٣٤

(٢) انظر : لسان العرب، مادة صفو، ج ٤، ص ٤٦٣

(٣) انظر : تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٥٨

وهناك رأي آخر مفاده : أن المقصود بعمران في هذه الآية الكريمة هو عمران ابن يصهر أبو موسى ، ولا يخفى أن هذا الرأي ضعيف ومرجوح ، وذلك لأن السورة تسمى (آل عمران) ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة.. ذكر ذلك الإمام الألوسي في تفسيره .

يقول رحمه الله :

>> والمراد بآل عمران عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود عليهما السلام قاله الحسن ووهب ، وقيل : المراد بهم موسى وهارون عليهما السلام فعمران حينئذ هو عمران ابن يصهر أبو موسى .. وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة والظاهر هو القول الأول ، لأن السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة ، وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم ، وأيضا يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاها بعد ونص عليه وأنه قال سبحانه : { إذ قالت امرأة عمران .. والمراد بالعالمين : أهل زمان كل واحد منهم أي اصطفي كل واحد منهم على عالمي زمانه ، ويدخل الملك في ذلك ، والتأويل خلاف الأصل >> (١).

وقد وصف والد هذه السيدة الجليلة بأنه >> رجل عظيم وعالم جليل من علماء بني إسرائيل >> (٢).

-
- (١) انظر : روح المعاني (تفسير الألوسي) ، ج ٣ ، ط دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ١٣١
- (٢) انظر : عبد الوهاب النجار (قصص الأنبياء) ، ط ٣ ، ص ٣٧٤
- أيضاً : الأستاذ محمد الصابوني (النبوة والأنبياء) ، ط ٢ ، ص ١٨٨

وبالإضافة إلى إصطفاء الله تعالى لآل عمران - والد الصديقة مريم عليها السلام - فقد اصطفاه الله تعالى هي بذاتها مرتين، وبين هذين الاصطفائين التطهير، وذلك لتمييزها وتفضيلها على نساء عالمها.

قال تعالى : { وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين } (١).

>> والمراد بالملائكة هنا جبريل وحده وهذا كقوله تعالى : { ينزل الملائكة بالروح من أمره } (٢) يعني جبريل، وهذا وإن كان عدولاً عن الظاهر إلا أنه يجب المصير إليه، لأن سورة مريم دلت على أن المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل عليه السلام وهو قوله تعالى : { فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً } (٣).

>> والمذكور في هذه الآية الكريمة أولاً هو الإصطفاء، وثانياً: التطهير، وثالثاً: الإصطفاء على نساء العالمين، ولا يجوز أن يكون الإصطفاء أولاً (٤) من الإصطفاء الثاني، لما أن التصريح بالتكرير غير لائق، فلا بد من صرف الإصطفاء الأول إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة أول عمرها، والإصطفاء الثاني إلى ما اتفق لها في آخر عمرها.

(١) سورة آل عمران : آية ٤٢

(٢) سورة النحل : آية ٢

(٣) سورة مريم : آية ١٧

انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٣

(٤) هكذا كتبت وقد يُقصد بها (الأول)

أما النوع الأول من الإصطفاء فهو أمور:

أحدهما : أنه تعالى قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الإناث.

ثانيها : قال الحسن : إن أمها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين بل ألقته إلى زكريا^(١) وكان رزقها يأتيها من الجنة.

وثالثها : أنه تعالى فرغها لعبادته وخصها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة.

ورابعها : أنه كفها أمر معيشتها، فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ما قال الله تعالى: { أئى لك هذا قالت هو من عند الله }.

خامسها : أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاهاً، ولم يتفق ذلك لآنثى غيرها، فهذا هو المراد من الإصطفاء الأول.

وأما التطهير ففيه وجوه:

أحدها : أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية فهو كقوله تعالى في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم << ويطهركم تطهيرا >>^(٢).

وثانيها : أنه تعالى طهرها عن ميسيس الرجال.

وثالثها : طهرها عن الحيض قالوا: كانت مريم لا تحيض.

ورابعها : طهرها من الأفعال الذميمة والعادات القبيحة.

خامسها : طهرها عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم.

(١) لم يرد لهذا الرأي أي دليل، والظاهر - والله أعلم - أن رزقها الذي كان يأتيها من ربها جلّ وعلا كان يأتيها بعد أن أخذت تتعبد في بيت المقدس كما تدل عليه الآيات التالية في هذا الفصل.

(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٣

وأما الاصطفاء الثاني، فالمراد أنه تعالى وهب لها عيسى عليه السلام من غير أب، وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة، وجعلها وابنها آية للعالمين فهذا هو المراد من هذه الألفاظ الثلاثة >> (١)

وقد تربت وترعرعت هذه السيدة الجليلة تحت عناية الله سبحانه وتعالى حيث أعدت لتكون أما لنبي من أنبياء الله تعالى ومن أولي العزم من رسله تعالى وهو عيسى عليه السلام، ولأنها خُصت بمزايا ومواهب عديدة، فقد أمرها الله تعالى بمزيد من الطاعات فأمرها بالقنوت والسجود والركوع.

قال تعالى : { يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين } (٢).

وقد قدم ذكر السجود على ذكر الركوع لعدة وجوه :

الأول : أن الواو تفيد الإشتراك.

الثاني : أن غاية قرب العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً.

الثالث : إن الصلاة تسمى سجوداً كما في قوله تعالى : { وأدبار السجود } لأن أشرف أجزاء الصلاة السجود وفي قوله تعالى : اقنتي : أمر بالعبادة على العموم >> (٣).

(١) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٣

(٢) سورة آل عمران : آية ٤٣

(٣) المرجع السابق، ص ٤٤ بتصريف قليل.

وقد صرحت آيات الذكر الحكيم بأن السيدة مريم عليها السلام كانت مندورة من قبل أمها (امرأة عمران) قبل ولادتها للخدمة والعبادة في بيت المقدس تقرباً إلى الله تعالى، وقد أخبرنا القرآن الكريم بقبول الله تعالى لذلك النذر بقبول حسن وأنه تعالى قد أنبتها نباتاً حسناً كناية عن طيب نشأتها عليه السلام وقد قام بكفالتها ورعاية مصالحها بعد موت والدها عمران نبي الله زكريا زوج خالتها على إحدى الروايات (١).

فُهيئ لها أن تُربي في بيت نبي من أنبياء الله تعالى لكي تنجب نبياً من أنبياء الله تعالى؛ والذي يجد عندها الرزق الموهوب لها من خالقها سبحانه وتعالى - في غير حينه وذلك دليل تمييزها بكرامات الله تعالى.

قال تعالى :

{ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم • فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب } (٢).

(١) انظر : تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٦٠، ط دار المعرفة.

(٢) سورة آل عمران : آية ٣٥ - ٣٧

>> وأمرأة عمران هذه أم مريم عليها السلام وهي حنه بنت فاقوذ >> (١).

>> وفي كيفية هذا النذر روايتان :

الرواية الأولى.. إنها كانت عاقراً لاتلد، وكانت تغبط النساء بالأولاد ثم قالت: اللهم إن لك على نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس ليكون من سدننه.

والرواية الثانية.. إن أم مريم ما كان يحصل لها ولد حتى شاخت، وكانت يوماً في ظل شجرة فرأت طائراً يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد، فدعت ربها أن يهب لها ولداً فحملت بمريم وهلك عمران، فلما عرفت جعلته لله محرراً، أي خادماً للمسجد، قال الحسن البصري: إنها إنما فعلت ذلك بإلهام من الله ولولاه ما فعلت كما رأى ابراهيم ذبح ابنه في المنام فعلم أن ذلك أمر من الله وإن لم يكن وحي (٢)، كما ألهم الله أم موسى فقذفته في اليم وليس بوحي (٣).

والمحرر الذي يجعل حراً خالصاً يقال: حررت العبد إذا خلصته عن الرق، وحررت الكتاب إذا أصلحته، أما التفسير فقيل: خلصا للعبادة.. وقيل خادماً للبيعة (٤).

-
- (١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٥٩
(٢) يشير إلى قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام {يا بني إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى} سورة الصافات: آية ١٠٢
(٣) يشير إلى قوله تعالى: {إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي أن اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم فليلقه اليم بالساحل} سورة طه: آية ٣٩
(٤) جمعها بيع والبيعة بالكسر متعبد النصرى.
انظر: القاموس المحيط، للفيروز أبادي، ج ٣، ط دار الفكر، ص ٨، (ومن الملاحظ أنه لا يوجد نصرى آنذاك).

وقيل : كان المحرر يجعل في الكنيسة يقوم بخدمتها حتى يبلغ الحلم ، ثم يخير بين المقام والذهاب فان أبى المقام وأراد ان يذهب ذهب ، وإن اختار المقام فليس له بعد ذلك خيار >> (١).

>> فتقبل مني : أي ما نذرته والتقبل أخذ الشيء على وجه الرضا.. { قالت رب إني وضعتها أنثى } لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله تعالى أو لأنه مؤول بالحبل أو النفس أو النسمه.. { والله أعلم بما وضعت } تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أي والله أعلم بالشيء الذي وضعت وماعلق به من عظام الأمور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك >> (٢).

>> ثم قال تعالى حكايةً عنها { وليس الذكر كالأنثى } وفيه قولان : الأول : أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى وسبب هذا التفضيل من وجوه :

أحدها : أن شرعهم يجوز تحرير الذكور دون الإناث.

الثاني : إن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة ، ولا يصح ذلك في الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان.

الثالث : الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فانها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

الرابع : أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والإختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى.

الخامس : أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى فهذه الوجوه تقتضى فضل الذكر على الأنثى.

(١) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير) ، ح ٨ ، ط ٢ ، ص ٢٥ بتصرف قليل .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ، ح ٢ ، ط دار إحياء التراث ، ص ٢٨

والقول الثاني : أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر، كأنها قالت الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة الله، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه >> (١).

ويرجح عندي الرأي الأول عن الثاني وهو أن مراد - امرأة عمران أم مريم عليها السلام تفضيل الولد الذكر على الأنثى - في قول الله تعالى حكاية عنها { وليس الذكر كالأنثى } وذلك لقوة وجوهه وكثرتها.

{ وإني سميتها مريم } ويستدل الإمام الفخر الرازي من هذا القول : >> أن عمران قد مات حال حمل حنه، فلذلك تولت الأم تسميتها، لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء >> (٢).

أقول : بأن هذا ليس دليلاً كافياً على موت عمران حال حمل أو ولادة حنه، فقد تتولى الأمهات التسمية في حال وجود الآباء.

>> ومريم في لغتهم العابده، فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من الآفات >> (٣).

(١) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٢٦، ٢٧

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

{ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نباتاً حسناً }.

>> يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرةً وأنه أنبأها نباتاً حسناً أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلماذا قال تعالى: { وكفلها زكريا }.. قال ابن اسحاق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمه، وذكر غيره إن بني إسرائيل أصابتهم سنة جذب فكفل زكريا مريم لذلك، ولامنافاة بين القولين والله أعلم، وإنما قدر الله كون زكريا كفلاً لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها.. وقيل: زوج أختها << (١).

وعلى ذكر كفالة نبي الله زكريا للسيدة مريم عليهما السلام هناك آية أخرى في هذه السورة الكريمة (سورة آل عمران) يفيد مضمونها أنه قد حصل اختصاص ثم اقتراح بشأن كفالة هذه الصديقة الطاهرة، فلأنها بنت إمامهم وكبيرهم وعالمهم، وقد توفي وتركها - على أرجح الأقوال - فقد أخذ أتباعه يتنافسون لكفالتها لذلك حصل الاختصاص والاقتراح بشأن كفالتها عليها السلام.

يقول الله تعالى:

{ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون } (٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٦٠

(٢) سورة آل عمران: آية ٤٤

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريم:

>> خرجت بها أمها - يعني مريم - فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حررتها وهي انثى.. ولا أردّها إلى بيتي فقالوا: هذه ابنة إمامنا، وكان عمران يؤمهم في الصلاة.. فقال زكريا: ادفعوها لي فإن خالتها تحتي فقالوا: لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها، وقيل: أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأبهم يثبت في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت، ويقال: إنه ذهب صاعداً يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبههم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين >> (١).

>> كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب >>.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن رزقاً كان يأتي هذه السيدة الطاهرة مريم عليها السلام موهوباً من الله تعالى، بحيث أن كافلها نبي الله زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب يجد عندها رزقاً، عندما يسألها عن مصدر هذا الرزق تجيبه بأنه من عند الله، وقد تواترت الروايات بأنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف (٢) والمعنى المفهوم من الآية الكريمة هو أنه كان يجد عندها

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار النشر، ص ٣٦٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٦٠

أيضاً: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج ٤، ص ٧١

أيضاً: تفسير أبي السعود، ط دار إحياء التراث، ج ٢، ص ٣٠

أيضاً: التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٨، ص ٣٠

أيضاً: الكشف للزحشري، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٤٢٧

أيضاً: روح المعاني للإمام الألوسي، ج ٣، ط دار إحياء التراث، ص ١٤٠

رزقاً غريباً لا يمكن أن يوجد مثله عند غيرها في ذلك الوقت، وهذه كرامة لها^(١).

والمحارب : أرفع المواضع وأشرف المجالس، وكانوا يتخذون المحارب فيما ارتفع من الأرض >> (٢)

وانفرد الإمام الفخر الرازي - دون بقية الإئمة المفسرين - بذكر الأدلة على صحة القول بكرامة الأولياء ضد من ينفيها، يقول :

>> ووجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أن زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم: أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله فحصل ذلك الرزق عندها إما أن يكون خارقاً للعادة أو لا يكون، فإن قلنا: إنه غير خارق للعادة فهو باطل من خمسة أوجه :

الأول : أن على هذا التقدير لا يكون حصول ذلك الرزق عند مريم دليلاً على علو شأنها وشرف درجتها وامتيازها عن سائر الناس بتلك الخاصية ومعلوم أن المراد من الآية هذا المعنى.

الثاني : أنه تعالى قال بعد هذه الآية { هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة } والقرآن دل على أنه كان آيساً من الولد بسبب شيخوخته وشيخوخة زوجته، فلما رأى انخراق العادة في حق مريم طمع في حصول الولد فيستقيم قوله { هنالك دعا زكريا ربه } أما لو كان الذي شاهده في حق

(١) الكرامة : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح كرامة له.

(٢) انظر : القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ط دار إحياء التراث، ص ٨٤، ٨٥

مريم لم يكن خارقاً للعادة لم تكن مشاهدة ذلك سبباً لطمعه في الخراق العادة
بحصول الولد من المرأة الشبيخة العاقر.

الثالث : أن التنكير في قوله تعالى: {وجد عندها رزقاً} يدل على تعظيم حال ذلك
الرزق كأنه قيل: رزقاً أي رزق غريب عجيب، وذلك إنما يفيد الغرض اللائق
لسياق هذه الآية لو كان خارقاً للعادة.

الرابع : هو أنه تعالى قال: {وجعلناها وابنها آية للعالمين} ولولا أنه ظهر عليهما
من الخوارق، وإلا لم يصح ذلك.

فان قيل: لم لا يجوز أن يقال: المراد من ذلك هو أن الله تعالى خلق لها ولداً
من غير ذكر؟ قلنا: ليس هذا بآية، بل يحتاج تصحيحه إلى آية، فكيف نحمل
الآية على ذلك^(١)، بل المراد من الآية ما يدل على صدقها وطهارتها، وذلك
لا يكون إلا بظهور خوارق العادات على يدها كما ظهرت على يد ولدها
عيسى عليه السلام.

الخامس : ما تواترت الروايات به أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. فثبت أن الذي ظهر في حق
مريم عليها السلام كان فعلاً خارقاً للعادة فتقول: إما أن يقال: إنه كان

(١) أي : أن المقصود بالآية في قوله تعالى: {وجعلناها وابنها آية للعالمين} ظهور
خوارق العادة لديها كوجود الرزق، وليس المقصود أنه تعالى خلق لها ولداً
من غير ذكر، لأن هذا ليس بآية أي معجزة، بل يحتاج تصحيحه إلى آية لأن
قومها - قاتلهم الله - اتهموها بالفاحشة عندما أتت بعيسى فاحتاج إلى آية
أخرى وهي انطاقه في المهد.

معجزة لبعض الانبياء أو ما كان كذلك والأول باطل لأن النبي الموجود في ذلك الزمان هو زكريا عليه السلام، ولو كان ذلك معجزة له لكان هو عالماً بحاله وشأنه، فكان يجب أن لا يشتبه أمره عليه وأن لا يقول لمريم { أنى لك هذا } وأيضاً فقوله تعالى { هنالك دعا زكريا ربه } مشعر بأنه لما سألها عن أمر تلك الأشياء ثم أنها ذكرت له أن ذلك من عند الله فهناك طمع في اخراق العادة في حصول الولد من المرأة العقيمة الشيخة العاقر وذلك يدل على أنه ما وقف على تلك الأحوال إلا باخبار مريم، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أن تلك الخوارق ما كانت معجزة لزكريا عليه السلام فلم يبق إلا أن يقال: إنها كانت كرامة لعيسى عليه السلام أو كانت كرامة لمريم عليها السلام وعلى التقديرين فالمقصود حاصل، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على وقوع كرامات الأولياء >> (١).

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٣٠-٣١

المبحث الثاني

البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته

وقد بشر الله تعالى هذه السيدة الطاهرة بواسطة سيد الملائكة جبريل عليهما السلام بأنها سترزق بنبي من أنبيائه تعالى المصطفين الأخيار، قد تضمنت البشارة التصريح بلقبه واسمه ونسبته إليها (المسيح عيسى ابن مريم)، وأخذت تتعجب من هذه البشارة حيث أنها غير ذات زوج ولم يمسسها بشر، ولكن الله تعالى { إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون }

قال تعالى :

{ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون } (١)

>> والبشارة كل خير صدق يتغير به بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير اغلب << (٢).

ولتفسير الكلمة في هذه الآية الكريمة عدة وجوه :

(١) سورة آل عمران : سورة ٤٥ - ٤٧

(٢) انظر : التعريفات للجرجاني، ص ٤٦

الأول : >> أن كل علوق وإن كان مخلوقاً بواسطة الكلمة وهي قوله (كن) إلا أن ما هو السبب المتعارف كان مفقوداً في حق عيسى عليه السلام وهو الأب، فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمه كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة إنه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال فكذا ههنا.

الثاني : أن السلطان العادل قد يوصف بأنه ظل الله في أرضه، وبأنه نور الله، لما أنه سبب لظهور العدل، ونور الإحسان فكذلك كان عيسى عليه السلام سبباً لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه فلا يبعد أن يسمى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل >> (١).

الثالث : >> إن المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحي، ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن الباري عز وجل مما يعلو عقول البشر عبر عنه سبحانه بقوله: { إنما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } فكلمة (كن) هي كلمة التكوين، وههنا يقال أن كل شئ قد خلق بكلمة التكوين فلماذا خص المسيح باطلاق الكلمة عليه وأجيب عن ذلك بأن الأشياء تنسب في العاده والعرف العام في البشر إلى أسبابها ولما فقد في تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جعله الله سبباً للعلوق هو تلقيح ماء الرجل

(١) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٢، ص ٤٧، ٤٨

أيضا : الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٠

لما في الرحم من البيوض التي يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله وأطلقت الكلمة على المكون إيداناً بذلك أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة.

الرابع : أنه اطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه قومه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه وجعلوا الدين مادياً محضاً >> (١)

الخامس : >> أنه اطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به فهو قد عرف بكلمة الله أي بوحيه لأنبيائه.

السادس : إن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه فقوله بكلمة منه معناه بخبر من عنده أو بشارة وهو كقول القائل ألقى إلى فلان كلمة سرني بها بمعنى أخبرني خبراً فرحت به، واستشهد له بقوله تعالى: { وكلمته ألقاها إلى مريم { يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها >> (٢).

وهناك من يحاول تقريب موضوع حمل مريم بالمسيح عليه السلام من غير ذكر لأذهان الناس فيأخذ بآراء غريبة ومادية محضة فيبتعد بذلك عن الحقيقة والتي صرح بها الحق سبحانه وتعالى بقوله: { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } (٣).

(١) انظر : تفسير المنار (محمد رشيد رضا) ويقول: إنه قد أخذ هذا الرأي عن الإمام الرازي، وقد رجعت لتفسير الرازي فلم أجد ذكراً لليهود عند تفسيره للكلمة في هذه الآية الكريمة، ولعله قد أخذه من كتبه الأخرى.

تفسير المنار، ج ٣، ط ٢، ص ٣٠٤

(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٣) سورة يس : آية ٨٢

ومن تلك الآراء ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره يقول:

>> إن التخيلات الذهنية كثيراً ما تكون أسباباً لحدوث الحوادث الكثيرة أليس أن تصور المنافي يوجب حصول كيفية الغضب، ويوجب حصول السخونة الشديدة في البدن أليس اللوح الطويل إذا كان موضوعاً على الأرض قدر الإنسان على المشي عليه ولو جعل كالقنطرة على وهدة لم يقدر على المشي عليه، بل كلما مشى عليه يسقط^(١)، وما ذاك إلا أن تصور السقوط يوجب حصول السقوط، وقد ذكروا في كتب الفلسفة أمثلة كثيرة لهذا الباب، وجعلوها كالأصل في بيان جواز المعجزات والكرامات، فما المانع من أن يقال إنه لما تخيلت صورته عليه السلام كفى ذلك في علوق الولد في رحمها، وإذا كان كل هذه الوجوه ممكناً محتملاً كان القول بحدوث عيسى عليه السلام من غير واسطة الأب قولاً غير ممتنع >>^(٢).

واعتراضي مُنصب على قول الإمام الرازي - يرحمه الله - >> فما المانع من أن يقال إنه لما تخيلت صورته عليه السلام كفى ذلك في علوق الولد في رحمها >> وما دخل التخيلات والصور الذهنية في عملية الحمل وعلوق الولد في الرحم، ويكفي أنه قول ليس له دليل لامن العقل ولا من النقل وليست التخيلات والصور الذهنية سبباً

(١) هاهم لاعبي السيرك في بلاد كثيرة يمشون على القناطر الرفيعة بل وعلي الحبال - كما رأيناها - دون أن يسقطوا فلا ينطبق هذا المثل على جميع الناس كما هو مشاهد في هذا العصر.

(٢) التفسير الكبير، ج ٨، ط ٢، ص ٤٨، ٤٩

لوقوع الحوادث في جميع الأحيان، بل هو مجرد رأي واهم يستند على ركيزة واهية، وحمل السيدة مريم بعيسى عليهما السلام مجرد أمر من الله تعالى، والذي باستطاعته ان يحرق السنن الكونية المتعارف عليها في أي وقت ومكان يشاءه سبحانه وتعالى. وقد قال تعالى:

{إن مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} (١).

وقد عجبت للأستاذ محمد رشيد رضا - وهو مفسر معاصر - يأخذ بهذا الرأي فيقول :

>> يمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام الكائنات بوجهين:

أحدهما : أن الاعتقاد القوي الذي يستولي على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد، فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضاً، وكم من امرئ سقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقداً أنه سم نافع فمات مسموماً به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب، وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولداً بمحض قدرته، وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد إنفعلاً فعل في الرحم فعل التلقيح كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ وكان نفخ الروح الذي ورد في

سورة أخرى متمماً لهذا التأثير >> (١).

وينقل د/ حسن عز الدين الجمل النص السابق ويضيف إليه قوله: >> وإذا ترجمنا هذا الكلام إلى لغة الطب نقول: انفعّل مزاجها - بإذن الله - ثم بهذا الاعتقاد، انفعلاً فعل في البويضة فعل الانقسام والتوالد >> (٢).

ونحن لانكر أن الحالة النفسية للإنسان تؤثر في صحته لذلك يعتمد الأطباء إلى الاستبشار أمام المريض بتحسّن حالته الصحيه حتى ولو لم تكن كذلك، والعكس صحيح، فإذا توهم الإنسان السليم الأمراض قد يُصاب بها، ولكنّا لانجزم بذلك، والتخيل والتصور والتوهم لطفل لا يوجب الحمل به، وهذا - في رأيي - يختلف تماماً عن النفخ الذي ورد في سورة التحريم (٣) والذي بمثابة الخلق والإنشاء من قبل الحق سبحانه وتعالى.

أما الإمام الألوسي - يرحمه الله - فإنه ينقل ما ذكره الإمام الرازي ثم يعلق عليه بقوله:

>> وليس بشئ (٤) لأنه يعود بالنقص لحضرة البتول، وأنها لتزّه ساحتها عن

(١) انظر: تفسير المنار، ط ٢، ج ٣، ص ٣٠٩

(٢) (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم)، ط ١، ص ٦٧

(٣) {ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا}، سورة التحريم: آية ١٢

(٤) يقصد الرأي القائل بأن التصورات والتخيلات الذهنية توجب حدوث الحوادث ومن هذا القبيل كان حمل مريم بعيسى عليها السلام عندما تخيلت صورته !!

مثل هذا التخيل كما لا يخفى، وفي جواب هذه الظاهرة ليوسف النجار ما يؤيد ما قلناه، فقد أخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر عن وهب أنه قال: لما استقر حمل مريم وبشرها جبريل وثقت بكرامة الله تعالى واطمأنت وطابت نفساً، وأول من اطلع على حملها ابن خالٍ لها يقال له يوسف، واهتم لذلك وأحزنه وخشي البلية منه لأنه كان يخدمها فلما رأى تغير لونها وكبر بطنها عظم عليه ذلك فقال معرضاً لها: هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم، قال: وكيف يكون ذلك، قالت: إن الله تعالى خلق البذر الأول من غير نبات وأنبث الزرع الأول من غير بذر، ولعلك تقول: لم يقدر أن يخلق الزرع الأول إلا بالبذر؟ ولعلك تقول: لولا أن استعان الله تعالى عليه بالبذر لغلبه حتى لا يقدر على أن يخلقه ولا ينبت؟ قال يوسف: أعوذ بالله أن أقول ذلك قد صدقت وقلت بالنور والحكم، وكما قدر أن يخلق الزرع الأول وينبت من غير بذر يقدر أن يجعل زرعاً من غير بذر فأخبريني هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: ألم تعلم أن للبذر والماء والمطر، والشجر خالقاً واحداً فلعلك تقول لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر؟ قال أعوذ بالله تعالى أن أقول ذلك قد صدقت فأخبريني خبرك قالت: بشرني الله تعالى { بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم } إلى قوله تعالى { ومن الصالحين } فعلم يوسف أن ذلك أمر من الله تعالى لسبب خير أراده بمريم فسكت عنها فلم تزل على ذلك حتى ضربها الطلق فنوديت أن اخرجي من المحراب فخرجت >> (١).

>> أما قوله تعالى { بكلمة منه } فلفظة (من) ليست للتبعيض وهنا إذ لو كان كذلك لكان الله تعالى متجزئاً متبعضاً متحملاً للإجماع والإفتراق وكل من كان

(١) انظر: روح المعاني، ط ٢، ج ٣، ص ١٦٥

كذلك فهو محدث وتعالى الله عنه، بل المراد من كلمة (من) ههنا ابتداء الغاية وذلك لأن في حق عيسى عليه السلام لما لم تكن واسطة الأب موجودة صار تأثير كلمة الله تعالى في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر فكان كونه كلمة الله مبدأً لظهوره ولحدوثه أكمل فكان المعني لفظ ما ذكرناه >> (١).

والسيدة مريم - عليها السلام - إذ تتعجب من بشارة جبريل لها بالولد لم تستبعد من قدرة الله تعالى شيئاً.

{ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر } (قالت رب) أي يا سيدي تخاطب جبريل عليه السلام لأنه تمثل لها قال لها: { إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً } فلما سمعت ذلك استفهمت عن طريق الولد فقالت: { أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر }؟ يشمل الحرام والحلال، نقول: العادة الجارية التي أجراها الله في خلقه أن الولد لا يكون إلا عن نكاح أو سفاح وقيل: وما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً، ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد: أمن قبل زوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداءً؟ >> (٢).

{ إذا قضى أمراً } أي أراد شيئاً فالأمر: واحد الأمور والقضاء في الأصل الإحكام، وأطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلقة بإيجاد المعدوم وإعدام الموجود وسميت بذلك لايجابها ما تعلق به البتة ويطلق على الأمر، ومنه { وقضى ربك }، { فإنما يقول له كن فيكون } أي فهو يكون أي يحدث وهذا عند الأكثرين تمثيل لتأثير

(١) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٩

(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، المجلد الثاني، ط دار إحياء التراث (بيروت)، ص ٩٢

قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف >> (١).

وفي الآيات الكريّات من السورة المسماة باسمها.. تحكي قصة هذه السيدة الطاهرة عندما قابلها سيد الملائكة جبريل عليهما السلام وتمثل لها بشراً سوياً، ففزعت منه وظننته يريد أن يمسه بسوء، فقد كانت في خلوتها منعزلة لا يوجد من يحميها سوى خالقها جلّ وعلا، ولكنه عليه السلام طمأنها - على الفور - وبشرها بغلام زكي نبي.. وقد أخذت عليها السلام تتعجب من بشارة الملك لها بالغلام من غير أن يمسه بشر، وهي نفي عام للنكاح الشرعي وغيره، وهي في تعجبها لم تنكر قدرة الله تعالى، فأجابها رسول ربها بأن ذلك عليه هين، وأنه تعالى جعل هذا الغلام آية ومعجزةً ورحمةً منه، ثم تواصل الآيات الكريّات سرد بقية القصة لهذه السيدة الجليلة حيث حملت بالغلام الزكي النبي بقدرة الله تعالى من غير أن يمسه بشر.

ومع اختلاف المفسرين في مدة الحمل إلا أن الثابت أنها حملت به والراجح أن حملها كحمل النساء المعتاد إذ لم يرد في سياق الآيات الكريّات ما يخالف ذلك. وعندما جاءتها آلام المخاض الشديدة والتي تنتاب كل والدّة، ثمّنت أنها قد ماتت قبل ذلك اليوم وكانت نسياً منسياً، وفي ذلك دليل على تمّني الموت حين الخوف في الوقوع في الفتن، وتمنيها للموت يظهر أنه خوف من إتهام قومها لها بالفاحشة كما ثبت عنهم فيما دلت عليه الآية الكريمة، أو خوفاً من وقوع الناس في البهتان بسببها..

فطمأنها (من تحتها) فمنهم من فسره بأنه جبريل عليه السلام، ومنهم من فسره بأنه ابنها عيسى عليهما السلام.

(١) انظر: الإمام الألوّسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٤

ثم تذكر الآيات الكريمات بأنه طُلب منها بأن تهز النخلة ويقال أنها كانت نخلةً يابسة قد ماتت، وكرامة لهذه السيدة الطاهرة وإرهاصاً لابنها نبي الله عيسى عليهما السلام عادت إلى النخلة الحياة ونبت البلح فيها ثم استوى وصار رطباً، ثم تساقط رطباً جنياً كل ذلك في لحظات، ثم أمرت بالأكل من الرطب والشرب من السري وهو النهر الذي أجراه الله من تحتها أو بالقرب منها، من ذلك استدلوا بعظيم فائدة الرطب للنفساء، ثم أمرت بأن تصوم صمتاً بأن تمتنع عن الكلام لأن الله تعالى سيضع لها كرامة أخرى وإرهاصاً لابنها النبي عليهما السلام حيث أنها ستشير إليه عند اتهام قومها لها، ثم ينطقه الله وهو في مهده فيتكلم ببراءتها..

وفيما يلي ننقل نص الآيات الكريمات من السورة المسماة باسمها (سورة مريم).

{ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً، قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً، فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً، وهزي إليك الجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، فكلي واشربي وقري عيناً فإمّا ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً } (١).

>> والنبد أصله الطرح والإلقاء، وانتبذت أي تنحت وتباعدت على سزعة إلى مكان ناحية الشرق >> (١).

وبمعنى آخر : >> اعتزلت وانفردت من أهلها وأتت مكاناً شرقياً من بيت المقدس أو من دارها لتتخلى هناك للعبادة >> (٢).

{ فأرسلنا إليها روحنا } >> قيل : هو روح عيسى عليه السلام لأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد، فركب الروح في جسد عيسى عليه السلام الذي خلقه في بطنها، وقيل هو جبريل وأضيف الروح إلى الله تعالى تخصيصاً وكرامة، والظاهر أنه جبريل عليه السلام لقوله تعالى : { فتمثل لها بشراً سوياً } أي تمثل لها الملك بشراً مستوي الخلقه >> (٣).

>> ولأن جبريل عليه السلام يسمى روحاً قال تعالى : { نزل به الروح الأمين على قلبك }، وسمى روحاً لأنه روحاني وقيل خلق من الروح وقيل لأن الدين يحيا به، أو سماه الله تعالى بروحه على المجاز محبة له وتقريباً كما تقول لحبيبك روحي >> (٤).

(١) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢، ط ٢، ص ١٩٦

(٢) الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٧٤

(٣) انظر : الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، المجلد ٦، ج ١١، ص ٩٠

(٤) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢، ص ١٩٦

{ فتمثل لها بشراً سوياً } >> سوي الخلق كامل البنيه لم يفقد من حسان نعت
الآدمية شيئاً، وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس، وذلك
لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة
الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته، وأما ما قيل من أن ذلك لتهيج شهوتها
فتنحدر نطفتها إلى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله
تعالى: { قالت إني أعوذ بالرحمن منك } فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل
ما إليه فضلاً عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة، نعم كان
تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من
الورع والعفاف مالا غاية وراءه، وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به
تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى: { إن
كنت تقيا } أي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به { (١) }.

{ قال إنما أنا رسول ربك } >> يريد عليه الصلاة والسلام إني لست ممن
يتوقع منه ماتوهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به { لأهب لك
غلاماً } أي لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله
تعالى ويؤيده القراءة باليا (ليهب) والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها
(لك) لتشريفها وتسليتها والإشعار بعلّة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام
تربيتها >> (٢). (زكيا) أي طاهراً من الذنوب وقيل: نبياً وقيل: نامياً على الخير أي
مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح >> (٣).

(١) ، (٢) انظر: الإمام أبي السعود (التفسير)، ج ٥، ص ٢٦٠

(٣) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٧٧

{ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا }

>> وقد ذكرت هذا تأكيداً لأن قولها لم يمسنى بشر يشمل الحلال والحرام،
وقيل: ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد؟ من
قبل الزوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداءً؟ وروي أن جبريل عليه السلام حين قال
لها هذه المقالة نفخ في جيب درعها وكمها.. وقال ابن عباس: أخذ جبريل ردن قميصها
بإصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى >> (١)

{ ولنجعله آية } >> دلالة على قدرتنا العجيبة و { رحمة } أي لمن آمن به
{ وكان أمراً مقضياً } مقدراً في اللوح مسطوراً.

{ فانتبذت به مكاناً قصياً } أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس:
إلى أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم.. وإنما بعدت فراراً من تعيير قومها إياها
بالولادة من غير زوج >> (٢).

{ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة } >> المخاض: بفتح الميم أو بكسرهما وهو
الطلق وشدة الولادة وأوجاعها، والجذع ساق النخلة اليابسة في الصحراء الذي
لاسعف عليه >> (٣).

>> وقيل: كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة،
وكان الوقت شتاءً والتعريف (النخلة) إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة
كتعريف النجم والصدق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس،

(١) (٢) (٣) انظر: الأمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ط دار احياء
التراث العربي، ص ٩١، ٩٢ بتصرف

فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سواه، وإما أن يكون تعريف الجنس أي إلى جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله أرشدها إلى النخلة ليطعمها الرطب الذي هو أشد الأشياء موافقة للنفساء >> (١).

{ قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً }

>> تمت مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين:

أحدهما : أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك.

ثانيهما : لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة إلى الزنى وذلك مهلك، وعلى هذا الحد يكون تمني الموت جائزاً.. قيل: وقد سمعت عليها السلام نداء من يقول: أخرج يا من يُعبد من دون الله فحزنت لذلك.

{ نسياً منسياً } >> النسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى ولا يتألم لفقده >> (٢).

{ فنادها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً }

{ من تحتها } قرأت من بالفتح وبالكسر وقيل: إن المنادي هو عيسى عليه السلام قد انطقه الله تعالى، وقيل: إنه جبريل عليه السلام >> (٣) ولا نستطيع ههنا

(١) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٢١، ص ٢٠٣

(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ص ٩٢

(٣) انظر: (التفسير الكبير)، ط ٢، ص ٢٠٤

الترجيح بدون مرجح. {سريا} وهو النهر والجدول وذلك لأن الماء يسري فيه،
وقيل: هو عيسى عليه السلام والسري هو النيل الجليل >> (١).

والراجع - والله أعلم - المعنى الأول يؤيده قوله تعالى: {فكلي واشربي}.

{وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً}

>> وهز الشئ تحريكه إلى الجهات المتقابلة.. (إليك) إلى جهتك (تساقط) أي
تسقط النخلة عليك إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز.. (جنياً) صفة له وهو ما قطع
قبل يبسه، أي رطباً جنياً أي صالحاً للإجتناء >> (٢).

وأخذت إرشادات من ناداها (من تحتها) تتوالي عليها بأن لاتحزن وبأن تأكل
من ثمار النخلة وتشرب من السري الذي أجراه الله من تحتها، وبأن تقر عينها
بالطمأنينة والرضا من الله تعالى، وبالنظر إلى وليدها والذي وصف بأنه غلام زكي.

{قري عيناً} > أي طيبي نفساً وارفضي ما أحزنك < (٣)

{فإما ترين من البشر أحداً} > أي آدمياً كائناً من كان < (٤).

{فقلولي} له إن استنطقك: {إني نذرت للرحمن صوماً}، قيل: المراد الصوم
عن المفطرات المعلومة وعن الكلام، وكانوا لا يتكلمون في صيامهم، وكان قرية في
دينهم فيصح نذره، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه فهو منسوخ في شرعنا..

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٥

(٢) انظر: تفسير أبي السعود، ج ٥، ص ٢٦٢

(٣) (٤) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٨٦

وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه دخل على امرأة قد نذرت أن لا تتكلم فقال: إن الإسلام هدم هذا فتكلمي >> (١).

{ فأنت به قومها تحمله } >> روي أن مريم لما اطمأنت بما رأت وعلمت أن الله تعالى سيبين عذرها، أتت به تحمله من المكان القصي الذي إنتبذت فيه.. وقيل، ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت أربعين يوماً للنفاس، ثم أتت قومها تحمله، فلما رأوها ومعها الصبي حزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، فقالوا منكبين: { لقد جئت شيئاً فرياً } أي جئت بأمر عظيم كالآتي بالشئ يفتريه، قال مجاهد " > فرياً < أي عظيماً، وقيل : أي مختلفاً مفتعلاً، وقيل: لما أتت به قومها تحمله تسامع بذلك بنو إسرائيل، فاجتمع رجالهم ونسأؤهم، فمدت امرأة يدها إليها لتضربها فأجف الله شطرها فحملت كذلك، وقال آخر: ما أراها إلا زنت فأخرسه الله تعالى: فتحامى الناس من أن يضربوها، أو يقولوا لها كلمة تؤذيها، وجعلوا يخفضون إليها القول ويلينون، فقالوا: { يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً } أي عظيماً.

قال تعالى: { يا أخت هارون } إختلف الناس في معنى هذه الأخوة، ومن هارون؟ فقيل: هو هارون أخو موسى، والمراد من كنا نظنها مثل هارون في العبادة تأتي بمثل هذا، قيل على هذا كانت مريم من ولد هارون أخي موسى فنسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده كما يقال للتميمي: يا أختي، وللعربي يا أخت العرب،

(١) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٨٦

وقيل: كان لها أخ من أبيها اسمه هارون، لأن هذا الاسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركاً باسم هارون أخي موسى، وقيل: هارون هذا رجل صالح في ذلك الزمان تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً.. وقيل: كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله عز وجل يسمى هارون فنسبوا إلى إخوته من حيث كانت على طريقته قبل، إذ كانت موقوفة على خدمة البيع، أي ياهذه المرأة الصالحة ما كنت اهلاً لذلك >> (١).

(١) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ص ٩٩-١٠٠

المبحث الثالث

فضل الصديقة مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة،

ثم من واقع السنة النبوية المطهرة

فبالإضافة إلى الآيات الكريمة السابقة والتي تحدثت عن البيئة التي عاشت فيها هذه السيدة الطاهرة، وتحدثت عن بشارة الملائكة لها بأن الله تعالى سيهب لها غلاماً زكياً هو نبي الله عيسى عليهما السلام.

بالإضافة إلى تلك الآيات الكريمة فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة احتوتا على نصوص عديدة تدل على فضل هذه السيدة الطاهرة.

ولأننا الآن في هذا الباب (المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة) في مجال العرض والتنبيه لما احتواه القرآن الكريم، واحتوته السنة النبوية المطهرة لفضل هذه السيدة الطاهرة، بل من خيرة نساء العالمين على الإطلاق.

لذا فإننا نذكر بعض تلك الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة على سبيل الإجمال:

أولاً : الآيات الكريمة

قال تعالى: {ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين} (١)

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره هذه الآية الكريمة:

(١) سورة التحريم : آية ١٢

{أحصنت فرجها} أي حفظته وصانته، والإحصان هو العفاف والحرية
{فنفخنا فيه من روحنا} أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها
فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فتزلت
النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليهما السلام، ولهذا قال تعالى:
{فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه} أي بقدره وشرعه (١) في أن
وهبها تعالى هذا الغلام الزكي من غير زوج.

وقوله تعالى: {المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه
صديقه كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون} (٢)

>> أي أن المسيح عليه السلام له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه
وأنه عبد من عباد الله رسول من رسله الكرام > وأمه صديقه > أي مؤمنة به مصدقة
له وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبيه كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب
إلى نبوة ساره أم أسحاق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى إستدلالاً منهم بخطاب
الملائكة لسارة ومريم.. وهذا معنى النبوة عندهم، والذي عليه الجمهور أن الله لم
يبعث نبياً إلا من الرجال قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من
أهل القرى} (٣)،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، ط دار المعرفة، ص ٣٩٤

(٢) سورة المائدة : آية ٧٥

(٣) سورة يوسف : آية ١٠٩

وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الاجماع على ذلك >> (١)

ثانيا : الأحاديث الشريفة:

وبالإضافة إلى الآيات الكريمة والتي صرحت بلفظ اسم السيدة مريم عليها السلام وامتدحتها بأن رفعت ذكرها في أشرف وأصدق كتاب نزل به الروح الأمين على سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، بالإضافة إلى ذلك فقد ورد ذكرها صريحا في السنة النبوية المطهرة في أصدق وأصح كتابين بعد القرآن الكريم (صحيح البخاري ومسلم)

وفيما يلي أذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل السيدة البتول :

١ - >> عن أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم >> كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على

(١) انظر: ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ط دار المعرفة، ج ٢، ص ٨١

وهذا ما أرجحه لقوة أدلته وصحتها، فالنبوة مقصورة على الرجال دون النساء، فالمرأة عاجزة عن أن تحمل أعباء النبوة فهو حمل ثقيل عليها { إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا } سورة المزمل: آية ٥، وكل صور الخطاب من الملائكة للسيدة مريم عليها السلام أو غيرها من النساء كأم إسحاق وأم اسماعيل لا تخرج عن حدود الإلهام أو البشارة أو التشييت وإلا فأين الأمر بالتبليغ؟ وما هي معجزاتها؟ وإلى من بعثت؟! وهذا بحث يطول، وليس له مكان في هذه الأطروحة فهو خارج عن صميم موضوعها.

سائر الطعام >> (١).

٢ - >> عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مامن مولود يولد

إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه ثم قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم { وإني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } (٢)

٣ - عن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: >> خير نسائها

مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد" قال أبو كريب وأشار وكيع إلى السماء والأرض >> (٣)

>> وأراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في نسائها أن المراد به جميع نساء

(١) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري) كتاب الأنبياء، ج ٦، ص ٤٤٦، رقم الحديث ٣٤١١

أيضا: سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمه، ج ٢، ص ١٠٩١، رقم الحديث ٣٢٨٠
أيضا: أخرجه الامام مسلم في صحيحه (شرح النووي) ج ١٥، ص ١٩٨-١٩٩ ك فضائل الصحابة

أيضا: مسند الامام احمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٩٤
أيضا: سنن الترمذي، ك الأطعمه ب ٣١ رقم الحديث ١٨٣٤، ج ٤، ص ٢٧٥
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٦٩، رقم الحديث ٣٤٣١، كتاب الأنبياء

أيضا: صحيح مسلم (شرح النووي) ج ١٥، ص ١٢٠، ك الفضائل
أيضا: مسند الامام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٨٨
(٣) صحيح مسلم (شرح النووي) ج ١٥، ص ١٩٨، باب فضائل خديجة
أيضا: صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٧٠، رقم الحديث ٣٤٣٢ ك الأنبياء

أيضا: سنن الترمذي ك المناقب ب (٦٢) رقم الحديث ٣٨٧٧، ج ٥، ص ٧٠٣
أيضا: مسند الامام أحمد، ج ١، ص ٨٤

الأرض أي كل ما بين السماء والأرض من النساء والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه >> (١)

٤ - قال أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: >> نساء قریش خير نساء ركن الإبل أحناه على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده قال يقول أبو هريرة على إثر ذلك لم تركب مريم بنت عمران بغيرا قط >> (٢)

٥ - عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم >> أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضى الله عنهن أجمعين >> (٣)

٦ - عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم >> الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران >> (٤)

-
- (١) شرح النووي، ج ١٥، ص ١٩٨
- (٢) صحيح مسلم (بشرح النووي) ج ١٦، ص ٨٠، باب فضائل نساء قریش أيضا: صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٧١، رقم الحديث ٣٤٣٤ كتاب الأنبياء.
- (٣) مسند الامام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٩٣
- (٤) مسند الامام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٦٤

المبحث الرابع

هجرتها عليها السلام ووفاتها

قال تعالى: { وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين } (١)

هذه الآية الكريمة تدل بدهاءة على أن السيدة مريم وابنها عليهما السلام قد انتقلا من مكان إلى مكان آخر، وهذا الانتقال أو هذه الهجرة بالطبع جزء من تاريخ حياتهما، ولم يحدد القرآن الكريم صراحة هذا المكان، وذلك لأن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ فقد أكد وركز على لب القصة ومواضع العبرة منها. وترك مالا يفيد ذكره منها.

وقد اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة والتي وردت في هذه الآية الكريمة، فمنهم من فسرها بأنها مدينة الرملة، ومنهم من قال انها بيت المقدس، ومنهم من قال إنها دمشق لوجود نهر فيها والتي تقضي بوجود الربى.

وفي القاموس المحيط: (والراية والرباه مأرتفع من الأرض) (٢).

>> وعن ابن عباس: الربوة المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمه.. ثم اختلف المفسرون في مكان الربوة من أي أرض هي؟ فقال عبدالرحمن بن زيد: ليس الربى إلا بمصر والماء حين يسيل يكون

(١) المؤمنون آية ٥٠

(٢) الفيروز أبادي، ص ٣٣٢

الربى عليها القرى ولولا الربى لغرقت القرى .. وروى عن سعيد بن المسبب في قوله:
< وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين > قال هي دمشق >> (١)،

>> وروى عن أبي هريرة أنه قال: هي الرملة من فلسطين >> (٢)

>> وروى عن ابن عباس وابن سلام أنها دمشق، وقال كعب وقتادة: أنها بيت المقدس >> (٣).

>> ذات قرار : أي مستوية يستقر عليها وقيل ذات ثمار ولأجل الثمار يستقر فيها الساكنون، > ومعين < ماء جار ظاهر للعيون >> (٤).

وقد ذكر الامام الطبري في تاريخه: أن مريم عليها السلام قد فاجأها المخاض وهي في طريقها إلى مصر، وقد كانت بصحبة يوسف النجار يقول:

>> فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها، حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس وألجأها إلى آري حمار - يعني مزود الحمار - في أصل نخله، وذلك في زمان شتاء، فاشتد على مريم المخاض، فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفاً محدقين بها >> (٥).

(١) (٢) انظر: الامام ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج ٣، ط دار المعرفة، ص ٢٤٦

(٣) (٤) انظر : (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١٢، ص ١٢٦

(٥) ط ١، ج ١، ص ٣٥٠

والراجع - والله أعلم - أن المراد بالربوة في هذه الآية الكريمة هني (بلاد مصر) وذلك لوجود نهر النيل فيها وهو كما لا يخفى من أطول أنهار العالم فيقضي بوجود الربى فيها، أيضاً لوجود الكثير من الآثار والتي تدل على هجرتها مع ابنها عليهما السلام إلى مصر مثل >> وادي النظرون ويوجد بها دير ابو مقار، والانباشوي، والسيدة العذراء، منطقة عين شمس، منطقة جبل الطير، ومنطقة قوسقام >> (١).

وهناك بعض الباحثين (٢) قد أوصل هذا القول بهجرة السيدة مريم وابنها إلى مصر إلى مرتبة التواتر وهذا خطأ، لأن التواتر: هو رواية جمع عن جمع في عصر من العصور يستحيل تواطؤهم على الكذب وهذه الروايات والتي تقول بهجرتها مع ابنها عليهما السلام إلى مصر لم تصل إلى حد التواتر.

أما كتب السنة النبوية المطهرة فلم تذكر أي شيء - فيما نعلم - عن هجرتها عليها وعلى ابنها أفضل الصلاة والسلام.

وكذلك وفاتها عليها السلام فلم يذكر القرآن الكريم ولا حتى السنة النبوية المطهرة - فيما نعلم - أي شيء عن وفاتها، وكما ذكرت - سابقاً - لأن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ فهو يسكت دائماً عما لا يفيد وهو يركز على لب القصة لاستخلاص العبر والمواعظ منها.

(١) انظر: المؤتمر الخامس للآثار في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٦٩م صادر عن جامعة الدول العربية الأمانة العامة، الإدارة الثقافية ص ٧٠٠-٧٠٨ نقلاً عن لولو جفري (مريم في الكتاب والسنة) (رسالة ماجستير) ص ٢٩٨

(٢) انظر: مريم في الكتاب والسنة (رسالة ماجستير)، للأخت لولو جفري، ص ٢٩٩

الفصل الثاني

المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة

ويشتمل على أربعة مباحث وهي :

- * المبحث الأول : صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
- * المبحث الثاني : آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام
- * المبحث الثالث : فضل عيسى بن مريم عليه السلام من واقع السنة النبوية المطهرة.
- * المبحث الرابع : نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة.

المبحث الأول

صفاته وميزاته عليه السلام الوارده في القرآن الكريم

وبما أن القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة والأمين عليها - كما ذكرت سابقاً - فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، لذلك فإنني سأكمل في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - ما بدأت في الفصل السابق عن السيدة مريم عليها السلام بالحديث عن ابنها هذا النبي الكريم والتي وردت صفاته وميزاته في القرآن الكريم.

وقد ذكرت في الفصل السابق الآيات الكريمات من سورة آل عمران عند الحديث عن السيدة مريم عليها السلام وبشارة الملائكة لها بعيسى عليه السلام وسأكرر ذكر الآيات هنا - في هذا الموضع - لاستنباط صفاته عليه السلام منها.

قال تعالى :

{ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين * قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولاً إلى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين } (١).

(١) سورة آل عمران : آية ٤٥ - ٤٩

ومن صفاته الواردة في هذه الآيات الكريمات :

أولاً : أنه كلمة الله، وقد سبق وأن تحدثت عن معنى الكلمة في الفصل السابق (١).

ثانياً : تلقيبه وتسميته عليه السلام من قبل الله تعالى وهذا شرف مابعد شرف، وهو شرف يليق بنبي ورسول بل ومن أولى العزم من الرسل، وذلك كما صدرت تسميات من الله تعالى لبعض أنبيائه كإسحاق ويعقوب (٢) ويحيى (٣).
قال تعالى :

{ إذ قالت الملائكة إن الله ييشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم }.
>> والمشهور أن المسيح لقبه عليه السلام وهو له من الألقاب المشرفة كالفاروق، وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك، وقيل: معناه الصديق >> (٤)،
>> وقيل: إنه اسم موضوع وقيل: إنه مشتق وهذا هو ما عليه الأكثرون ثم ذكروا فيه وجوهاً :

(١) انظر ص ٢٩١ من هذا البحث.

(٢) قال تعالى: { وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب } سورة هود : آية ٧١

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: { يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً } سورة مريم: آية ٧

(٤) انظر : الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦١

- ١ - قال ابن عباس: إنما سُمي عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ من مرضه.
 - ٢ - لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها.
 - ٣ - لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى.
 - ٤ - أنه مسح من الأوزار والآثام.
 - ٥ - لأنه ما كان في قدمه خمص.
 - ٦ - لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر يمسح به الأنبياء.
 - ٧ - لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه وقت ولادته. ليكون ذلك صوتاً له عن مس الشيطان، وعلى هذه الأقوال يكون المسيح بمعنى الممسوح ففعل بمعنى مفعول <<(١)>>.
- أما لفظ عيسى فهو <<معرب أيسوع ومعناه السيد >>(٢).
- وقيل في عيسى: <<إنه مشتق من العيسى وأنه إنما سُمي به عليه السلام لأنه كان في لونه عيسى أي بياض تعلوه حمرة >>(٣).
- <<قيل: وإن جعل عربياً كان مشتقاً من عاسه يعوسه إذا ساسه وقام عليه >>(٤).

-
- (١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٣، ط ٢، ص ٤٩
 - (٢) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ط ٢، ص ١٦١
 - (٣) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٠
 - (٤) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

ثالثاً : وصف الله تعالى له بأنه وجيهاً في الدنيا والآخرة.

>> ومعنى الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر يقال: وجه الرجل، يوجه وجهه وجاهه فهو وجيه، إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان، وقال بعض أهل اللغة: الوجيه: هو الكريم، لأن أشرف أعضاء الإنسان وجهه فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال.. وللمفسرين في ذلك أقوال:

الأول : كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوه، وفي الآخرة بسبب علو منزلته عند الله تعالى.

الثاني : أنه وجيه عند الله تعالى في الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه ويحيى الموتى ويبري الأكمه والأبرص، ووجيه في الآخرة بسبب أنه يجعله شفيع أمته المحقين ويقبل شفاعته^(١). فيهم كما يقبل شفاعه أكابر الأنبياء عليهم السلام.

الثالث : أنه وجيه في الدنيا بسبب أنه كان مبرأ من العيوب التي وصفه اليهود بها، ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلو درجته عند الله تعالى.

فان قيل: كيف كان وجيهاً في الدنيا واليهود عاملوه بما عاملوه، قلنا: وقد سمى الله تعالى موسى عليه السلام بالوجيه^(٢) مع أن اليهود طعنوا فيه،

(١) وبذلك قال الإمام ابن كثير - يرحمه الله - انظر: التفسير، ج ١، ٣٦٤

(٢) قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً} سورة الأحزاب : آية ٦٩

وآذوه إلى أن برأه الله تعالى مما قالوا، وذلك لم يقدح في وجاهة موسى عليه السلام فكذا هنا >> (١).

رابعاً : أن الآية الكريمة من سورة آل عمران تصف نبي الله عيسى عليه السلام بأنه من المقربين :

وفي تفسير ذلك عدة وجوه :

>> أحدها : أنه تعالى جعل ذلك كالمُدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة.

وثانيها : أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه عليه السلام سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة (٢).

وثالثها : أنه ليس كل وجه في الآخرة يكون مقرباً لأن أهل الجنة على منازل ودرجات >> (٣).

خامساً : وصف الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام بأنه { يكلم الناس في المهد وكهلاً }.

(١) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٥١، ٥٠.

(٢) وبمثل هذا الرأي قول الإمام الألوسي انظر : (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٢.

وأيضاً : الإمام أبي السعود، انظر التفسير، ج ٢، ص ٣٧.

(٣) انظر : الإمام الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٥١.

وقد تكلم نبي الله عيسى عليه السلام بأمر من الله تعالى وهو في مهده
ليدراً عن أمه الطاهره البتول شبهة اليهود القذرة، باتهامهم إياها قاتلهم
الله باتيان الفاحشة عندما أتت بنبي الله عيسى وهي لم تكن ذات زوج.
قال تعالى :

{ فأنت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت
هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً، فأشارت إليه قالوا
كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً،
وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً
بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حياً } (١).

{ ويكلم الناس في المهد و كهلأ }

المهد هو إما حجر أمه أو المكان المعد لنوم الرضيع.

والكهل في اللغة: >> ما اجتمع قوته وكمل شبابه أي الكامل التام
وأكمل أحوال الإنسان إذا كان بين الثلاثين والأربعين، وقيل إنه يكون
كهلأ بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناس (٢) ويقتل
الذجال << (٣).

(١) سورة مريم : آية ٢٧ - ٣٣

(٢) وهذا ما نقله الإمام الألويسي في تفسيره (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٤

وأيضاً : الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٠

(٣) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥١-٥٢ باختصار

سادساً : وصف الله تعالى له بأنه من الصالحين.

والصلاح كما لا يخفى أهم ميزة يتصف بها المؤمن، وهي من أكبر نعم الله تعالى، فالصلاح يمتد خيره من الدنيا إلى الآخرة ليكون سبباً في دخول النعيم المقيم والنجاة من الجحيم، وكيف لا يكون صالحاً وهو النبي المصطفى المختار بل ومن أولي العزم من الرسل.

>> فإن قيل: كون عيسى كلمة الله، وكونه { وحيها في الدنيا والآخرة } وكونه من المقربين عند الله تعالى، وكونه مكلماً للناس في المهد، وفي الكهولة كل واحد من هذه الصفات أعظم وأشرف من كونه صالحاً فلم يختم الله تعالى أوصاف عيسى بقوله { ومن الصالحين ؟ }.

قلنا : إنه لارتبة أعظم من كون المرء صالحاً لأنه لا يكون كذلك إلا ويكون في جميع الأفعال والتروك مواظباً على النهج الأصلى، والطريق الأكمل، ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين في أفعال القلوب، وفي أفعال الجوارح، فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفه بهذا الكلام الذي يدل على أرفع الدرجات >> (١).

سابعاً { ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل }.

>> والمراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة >> (٢). >> وروى عن ابن عباس

(١) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٣

(٢) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٤

أنه قال: أعطى الله عيسى عليه السلام تسعة أجزاء من الخط وأعطى سائر الناس جزءاً واحداً، وذهب أبو علي الجبائي إلى أن المراد بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام سوى التوراة والإنجيل مثل الزبور وغيره، وذهب كثيرون إلى أن - أَل - فيه للجنس والمراد جنس الكتب الإلهية إلا أن المأثور هو الأول >> (١).

>> والحكمة أي الفقه وعلم الحلال والحرام قاله ابن عباس، وقيل: جميع ما علمه من أمور الدين وسنن الأنبياء عليهم السلام، الصواب في القول والعمل، وإتقان العلوم العقلية >> (٢) وقيل: المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة ومحيطاً بالعلوم العقلية والشرعية، يعلمه التوراة، وإنما أخرج تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة لأن التوراة كتاب إلهي وفيه أسرار عظيمه، والإنسان مالم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث عن أسرار الكتب الإلهية، ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل، وإنما أخرج ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسرار ذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية >> (٣).

(١) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٦

(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٣) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٤

ثامناً : قوله تعالى { ورسولاً إلى بني إسرائيل }.

>> وهذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان رسولاً إلى كل بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود إنه كان مبعوثاً إلى قوم مخصوصين منهم << (١).

وفي الآيات الكريمات من سورة مريم، وصف نبي الله عيسى عليه السلام نفسه بثمان صفات وهي كما قال تعالى:

{ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } (٢).

الصفة الأولى: وهي قوله عليه السلام { إني عبد الله } فكانت أول صفة وصف بها نفسه بأنه لا يعدو أن يكون عبداً لله.

والعبودية أسمى درجات العبادة، بل هي أرفع منازل الإيمان والشرف، والإعتراف بالعبودية لله تعالى أول مقام المؤمنين وفيه رد على من يزعم بألوهيته أو بأنه ابن للإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد يخطر في ذهن القارئ الكريم هذا الاستفهام، وهو: لماذا بدأ عليه السلام بالإقرار بعبوديته لله تعالى مع أن المقام يتطلب نفي التهمة عن أمه عليها السلام ؟

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) سورة مريم : آية ٣٠ - ٣٣

ويجيب عن ذلك الإمام الفخر الرازي فيقول :

>> إن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام ثم إن عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات عبودية نفسه كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى ^(١) أولى من إزالة التهمة عن الأم، فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم بها.

والتكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة، وأما التكلم بإزالة التهمة عن الأم فلا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى << ^(٢)

الصفة الثانية : قوله تعالى { آتاني الكتاب }

>> روى عكرمه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال المراد بأن حكم وقضى بانه سبيعيثني من بعد ولما تكلم بذلك سكت وعاد إلى حال الصغر ولما بلغ ثلاثين سنة بعثه الله نبيا << ^(٣).

(١) يقصد بذلك - والله أعلم - إتهام النصارى قاتلهم الله بشركة المسيح لله تعالى في ملكه وألوهيته، أو أنه أي المسيح ابن لله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) التفسير الكبير، ج ٢١، ط ٢، ص ٢٠٩

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٣

أيضاً، انظر : الإمام الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦٠

الصفة الثالثة: قوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام { وجعلني نبياً } .
وقد كان عليه السلام نبياً رسولاً، خاصةً وأن الله تعالى قد قرن نبوته بآياته
الكتاب لأن النبوة والرسالة بينهما عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل
نبي رسولاً.

الصفة الرابعة: { وجعلني مباركاً أينما كنت } .

>> مباركاً أي نفاعاً، وقيل: كانت بركته بالأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر << (١).

>> وقيل: إنما كان مباركاً لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق
الحق فان ضلوا فمن قبل أنفسهم لامن قبله << (٢)

الصفة الخامسة: { وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً }

أي: >> يقول: وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة يعني بالمحافظة على
حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها عليّ وفي الزكاة معنيان أحدهما: زكاة الأموال
أن يؤديها، والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه: وأوصاني بترك
الذنوب واجتناب المعاصي، وقوله: مادمت حياً يقول: ما كنت حياً في الدنيا موجوداً
وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع تطهير البدن من الذنوب لأن الذي
يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيئاً لغد فتجب عليه
زكاة المال إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته
فيكون ذلك وجهاً صحيحاً << (٣).

(١) انظر: الإمام الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦١

(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ط ٢، ص ٢١٤

(٣) انظر: الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦١

الصفة السادسة : { وبرا بوالدتي }.

>> إشارة إلى تنزيه أمه عليها السلام عن فعل الفاحشة إذ لو كانت كذلك لما كان مأموراً بالبر بها وتعظيمها >> (١).

والأنبياء - كما لا يخفى - هم قدوة البشر جميعاً في أقوالهم وأفعالهم، كما أن برّ الوالدين من أوجب الواجبات التي فرضها الله تعالى على المؤمنين.

الصفة السابعة : { ولم يجعلني جباراً شقياً }.

>> أي لم يقض عليّ سبحانه بذلك في علمه الأزلي، وقد كان عليه السلام في غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب، ولم يتخذ مسكناً، وكان عليه السلام يقول: سلوني فاني لين القلب صغير النفس >> (٢).

وكما هو معلوم فإن التواضع ولين الجانب من أهم صفات أنبياء الله تعالى، وكذلك يجب أن يتصف بها الدعاة إلى الله تعالى: فالدعوة إلى سبيل الله تعالى تتطلب التواضع ولين الجانب، والصبر على الصعوبات التي تعترض طريق الداعي، وكذلك فإن التجبر والتكبر من الصفات التي تنفر من الدعوة وصاحبها..

{ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك } >> (٣).

(١) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ص ٢١٤، اقتباساً

(٢) انظر الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٩٠

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٩

{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} (١).

الصفة الثامنة : قوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام.

{والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا }.

>> وفي هذا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل ، وأنه مخلوق من خلق الله تعالى يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه >> (٢)

ويعرض الإمام الفخر الرازي شبهة النصارى (٣) ضد نطق المسيح عليه السلام في مهده والتي تحدث عنها القرآن الكريم ويرد عليها فيقول :

>> اعلم أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى عليه السلام تكلم في زمان الطفولية (٤) واحتجوا عليه بأن هذا من الوقائع العجيبة التي تتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان ذلك لعرفه النصارى لاسيما وهم من أشد

(١) سورة الشعراء : آية ٢١٥

(٢) ابن كثير (التفسير) ، ج ٣ ، ص ١٢٠

(٣) ذكرت هذه الشبهة هنا وذلك لإكمال الحديث عن نطق المسيح عليه السلام في المهد ، ولأنها شبهة فرعية وليست من الشبه الكبيرة والتي يختص بها الباب الأخير من هذا البحث .

(٤) يقصد نطق المسيح عليه السلام في مهده .

الناس بحثاً عن أحواله وأشد الناس غلواً فيه حتى زعموا كونه إلهاً، ولا شك أن الكلام في الطفولية من المناقب العظيمة والفضائل التامة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عن أحواله علمنا أنه لم يوجد ولأن اليهود أظهروا عداوته حال ما أظهر ادعاء النبوه فلو أنه عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه أشد ولكان قصدهم قتله أعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا أنه ما تكلم، أما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على أنه تكلم فإنه لولا كلامه الذي دلهم على براءة أمه من الزنا لما تركوا إقامة حد الزنا عليها ففي تركهم لذلك دلالة على أنه عليه السلام تكلم في المهد، وأجابوا عن الشبهه الأولى بأنه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله >> (١).

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ص ٢١٦

المبحث الثاني

آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد أيد أنبياءه الذين اصطفاهم واختارهم ليكونوا رحمة للناس لاتقاذهم من الضلال والانحلال، وقد أيدهم بدلائل ومعجزات تدل على صدقهم فيما يدعون إليه من توحيد وإيمان وسير في طريق الحق المستقيم، وذلك ضد اتهامات وشكوك خصومهم من الكفرة والملحدين، وإلا فأخلاقهم وصفاتهم وسيرتهم عليهم السلام تكفي لأن يكونوا قدوة ومثلاً أعلى لجميع من خلق من البشر في زمانهم وغير زمانهم وليس لأقوامهم فحسب.

وقد تحدث القرآن الكريم عن دلائل نبوة نبي الله عيسى عليه السلام (معجزاته) بكل بيان ووضوح، وقيد حدوث تلك الدلائل بأنها بإذن الله سبحانه وتعالى وإرادته فهو الخالق والمصور الأصلي لكل شيء، وإنما النبي يقدر ويصور فقط، وقد صدر هذا الإقرار في القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام وهذا من الأمور التي يمتاز ويختلف فيها القرآن الكريم عن أناجيل النصارى الحالية والمحرفة فهي تذكر أنه عليه السلام هو الخالق والصانع الأصلي لمعجزاته تلك ^(١)!! ولاغرو فإنهم يزعمون ألوهيته كما يزعمون بأنه ابن للإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ^(٢).

(١) انظر ص ٢٠٣ من هذا البحث.

(٢) للرد على شبهة تأليه ونبوة المسيح لله تعالى.

انظر الباب الأخير من هذا البحث ص ٣٦٣ وما بعدها.

ودلائل نبوته عليه السلام الوارده في القرآن الكريم خمس منها وردت في سورة آل عمران والسادسة في سورة المائدة.

قال تعالى : { ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين } (١).

ويتبين من هذه الآية الكريمة خمس من دلائل نبوته (معجزاته) عليه الصلاة والسلام وهي كما يلي :

النوع الأول : أنه عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيراً فيطير بجناحيه في الهواء أمام قومه، وهذا بأمر الله تعالى وبإذنه فهو الخالق والصانع الحقيقي.

>> والمراد بالخلق - هنا - التصوير والإبراز على مقدار معين لا الإيجاد من العدم << (٢)، >> والهيئة هي الصورة المهيئة من قولهم هيأت الشيء إذ قدرته، وقوله (فأنفخ فيه) أي في ذلك الطين المصور << (٣).

>> وروي عنه عليه الصلاة والسلام لما أدعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فأخذ طيناً وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم

(١) سورة آل عمران : آية ٤٩

(٢) انظر : الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ط ٢، ص ١٦٨

(٣) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٧، ص ٥٦

سقط ميتاً ليميز من خلق الله تعالى (بغير واسطه) قيل: إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً وأبلغ دلالة على القدرة لأن له ثدياً وأسناناً وهي تحيض وتطهر، وتلد كسائر الحيوان، وتضحك كما يضحك الإنسان، وتطير بغير رش، ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر، وقيل: خلق أنواعاً أخرى من الطير >> (١)

النوع الثاني: أنه يرى الأكمه.

>> ذهب أكثر أهل اللغة أن الأكمه الذي ولد أعمى، وقال الخليل وغيره هو الذي عمي بعد أن كان بصيراً، وعن مجاهد هو الذي لا يبصر بالليل >> (٢)

النوع الثالث: يرى الأبرص.

أي أنه عليه السلام يرى المريض المصاب بالبرص بأمر الله وبإذنه، والبرص: مرض جلدي معروف يذهب بجمال البشرة وبلونها الأصلي إلى اللون الأبيض الباهق.

وفي دائرة معارف البستاني عرف البرص بأنه:

>> يياض يظهر في ظاهر الجلد ويفور فان لم يكن غائراً سُمي عندهم بالبهق، وان كان البرص عاماً في سائر الأعضاء حتى يصير لون الجلد كله أبيض قيل له المنتشر >> (٣).

(١) انظر أبو السعود (التفسير)، ج ٢، ص ٣٩
أيضاً: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ط ٢، ص ١٦٨
أيضاً: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٧، ص ٥٦
أيضاً: القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٤
والحقيقة أن كل هذه الآراء اجتهادات للمفسرين ليس لها أي سند من الكتاب والسنة.

(٢) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٧، ص ٥٧

(٣) المجلد الخامس، ط دار المعرفة، ص ٣٣٠

النوع الرابع : احيائه للموتي بإذن الله تعالى :

>> قيل : كان عليه السلام يحيي الأموات بيا حي يا قيوم وأحيا عاذر وكان صديقاً له، ودعا سام بن نوح من قبره فخرج حياً، ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله فتزل عن سريرته حياً، ورجع إلى أهله وولد له، وقوله < بإذن الله > رفع لتوهم من اعتقد فيه الإلهية >> (١).

النوع الخامس : أنه عليه السلام ينبي قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة:

>> أنهم لما أحيا لهم الموتي طلبوا منه آية أخرى، وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا، فذلك قوله < وانبئكم >، وعن قتاده: أخبرهم بما أكلوه من المائدة وما ادخروه منها خفية >> (٢).

النوع السادس : إنزال المائدة من السماء بطلب من الحواريين لتطمئن قلوبهم ويعلموا ان قد صدقهم ويكونوا عليها من الشاهدين.

(١) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٧، ص ٥٧

ولا يخفي على القارئ الكريم أن القول باحيائه لهؤلاء الأفراد لم يكن يستند على أساس من الكتاب والسنة، وإنما هو اجتهاد ونقول للأئمة المفسرين فحسب.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٩٥

قال تعالى :

{ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين، قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين } (١).

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: {هل يستطيع ربك؟} لأنه طلب واستفهام صادر من الحواريين أتباع نبي الله عيسى عليه السلام وقد امتدحهم الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة لهذه الآيات قال تعالى: {وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون} فالبعض منهم فسرهما بـ >> هل تستطيع أن تسأل ربك؟، أو هل تستطيع سؤال ربك؟، وهناك من فسرهما على ظاهر الآية بأنهم بالفعل كانوا شاكين متوقعين فإن هذا القول لا يصدر عمن كان كاملاً في الإيمان، وقالوا: ونعلم أن قد صدقتنا وهذا يدل على مرض في القلب وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يدل على أنهم ما كانوا كاملين في الإيمان << (٢).

(١) سورة المائدة : آية ١١٢ - ١١٥

(٢) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ١٢، ص ١٢٩ بتصرف واختصار.

أيضاً: الألوسي (روح المعاني)، ج ٧، ص ٥٨-٥٩ بتصرف واختصار.

ونحن لانستطيع الترجيح بين هذين الرأيين بدون مرجح.

<< والمائدة : كل ما يُد وييسط >> (١).

ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:

<< والمعنى كأنهم لما طلبوا ذلك، قال عيسى عليه السلام لهم: انه قد تقدمت المعجزات الكثيرة فاتقوا الله في طلب هذه المعجزة بعد تقدم تلك المعجزات القاهرة، فأجابوا وقالوا: إنا لانطلب هذه المائدة لمجرد أن تكون معجزة بل لمجموع أمور كثيرة: أحدها: انا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد غلبنا ولانجد طعاماً آخر، وثانيها: انا وإن علمنا قدرة الله تعالى بالدليل ولكننا اذا شاهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين والعرفان وتأكدت الطمأنينة.

وثالثها : أن جميع تلك المعجزات التي أوردتها كانت معجزات أرضيه وهذه معجزة سماوية وهي أعجب وأعظم فاذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين، نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ونكون عليها من الشاهدين لله بكمال القدرة ولك بالنبوة >> (٢).

{ تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا } أي نتخذ اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا، ونزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيداً، والعيد في اللغة اسم لما يعود إليك في وقت معلوم >> (٣)

(١) المرجع السابق، ص ٥٩

(٢) (التفسير الكبير)، ج ١٢، ص ١٣١

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

{ فأني اعذبه عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين }

>> قال ابن عباس : يعني مسخهم خنازير وقيل : قردة وقيل جنساً من العذاب لا يعذب به غيرهم ، قال الزجاج : ويجوز أن يكون ذلك العذاب معجلاً لهم في الدنيا ، ويجوز أن يكون مؤخراً إلى الآخرة ، وقوله : { من العالمين } يعني عالمي زمانهم >> (١)

>> وروي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً ، ثم قال : { اللهم أنزل علينا ... } فزلت سفرة حمراء بين غمامتين ، غمامة فوقها وأخرى تحتها ، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عليه السلام وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثله وعقوبة >> (٢)

ويتحدث الإمام أبي زهره - يرحمه الله - عن الحكمة في كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع فيقول :

>> وي الحق إن الذي نراه تعليلاً مستقيماً لكون معجزات المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه ، لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء ، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم ، وأفعال جميعهم ، فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة ، مصدق لما يأتي به الرسول وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح ،

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢

أيضاً : (روح المعاني) ، ج ٧ ، ص ٦٢

(٢) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير) ، ج ١٢ ، ص ١٣٣

وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيكون حياً، ماذا لك إلا لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه، فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد أكله البلى وأخذت أشلاؤه في التحلل، وأوشكت أن تصير رميماً أو صارت يناديه المسيح عليه السلام فإذا هو حي يجب نداء من ناداه، وماذا لك إلا لأن روحاً غير الجسم الذي غيره البلى حلت فيها بذلك النداء، ففاضت عليه بالحياة، وهكذا، فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازي فيها المحسن بإحسانه والمسيء بأساءته إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، وهل ترى أن معجزة إحياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار في إنكاره أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر في جحوده >> (١).

(١) انظر : محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر، ص ٢٥ - ٢٦

المبحث الثالث

فضل عيسى ابن مريم عليه السلام من واقع السنة النبوية المطهرة

ومن الأحاديث الواردة في فضله وصفاته عليه الصلاة والسلام ما يلي:

١ - >> عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طويلاً جعداً كأنه من رجال شنوءه^(١)، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس <<^(٢).

أخرجه البخاري في صحيحه^(٣)

والإمام مسلم في صحيحه^(٤)

٢ - >> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم، ليلة أسرى به: لقيت موسى قال فنعتته فإذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس

(١) قبيلة معروفة ويقال إنها من اليمن، مضطرب: وهو طويل الجسم.

(٢) أي الشعر المسترسل ليس فيه تكسر، ورجلاً مربوعاً: أي متوسط الطول انظر: شرح النووي، ط دار الفكر، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٧

(٣) فتح الباري، ط دار المعارف، ج ٦، ص ٣١٤، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث ٣٢٣٩

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٦، ط دار الفكر، ص ٢٢٧

أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٤٥

كأنه من رجال شنوءه، قال ولقيت عيسى، فنعتته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس^(١) يعني الحمام... >>^(٢)

٣ - >> عن أبو هريرة رضي الله عنه >> قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم > كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب >>^(٣)

٤ - >> عن ابن عباس قال: ليس من مولود إلا يستهل واستهلاله بعصر الشيطان بطنه إلا عيسى بن مريم عليه السلام >>^(٤).

٥ - >> عن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته^(٥) ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل >>^(٦)

-
- (١) قوله: خرج من ديماس: يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن، انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ٢٣٢
- (٢) أخرجه الشيخان، انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٦، رقم الحديث ٣٤٣٧، أيضاً: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ٢٣٢
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري كتاب بدء الخلق، ج ٦، ص ٣٣٧، رقم الحديث ٣٢٨٦، ط دار المعرفة
- (٤) انظر: سنن الدارمي، ج ٢، ص ٣٩٣، ط دار الكتب العلمية.
- (٥) لتفسير الكلمة انظر ص ٢٩١ من هذا البحث.
- (٦) انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٤، رقم الحديث ٣٤٣٥، ط دار المعرفة
- أيضاً: صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٧، رقم الحديث ٤٦
- أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ٣١٤

٦ - >> عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد >> (١)

٧ - >> عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم > إذا أدب الرجل أمتة فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران >، وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران >> (٢)

(١) صحيح البخاري فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٨ رقم الحديث ٣٤٤٣

أيضاً: صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٤٥

أيضاً: سنن أبي داود، ج ٥، ص ٥٥، رقم الحديث ٤٦٧٥

أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٤٨٢

(٢) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٧٨، رقم الحديث ٣٤٤٦

أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٩٥

المبحث الرابع

نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة

وقد دلّ على نزول المسيح - عليه السلام - آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة قول الله تعالى :- >> ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا أألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبي إسرائيل * ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تترنّ بها واتبعون هذا صراط مستقيم >> (١) وقد وردت أحاديث صحيحة تدل على نزول نبي الله عيسى عليه السلام آخر الزمان كعلامة أو شرط من أشراط قيام الساعة، واقترب انتهاء الحياة كلية على هذه البسيطة.

١ - >> عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان (٢) والدجال (٣) والدابة (٤) وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الزخرف الآية ٥٧-٦١.

(٢) دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام .. انظر : شرح النووي، ج ١٨، ص ٢٧

(٣) الدجال : يقال إنه شيطان وله فتنة عظيمة ومن صفاته أنه اعور العين اليسرى وجعد الشعر ومعه جنة ونار فناره جنة، وجنته نار.

(٤) هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا، قال تعالى: { وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون } سورة النحل: آية ٢٧، قيل: لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وتسم الناس سواء منهم المؤمن والكافر، فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر - والعياذ بالله - فتتكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر، انظر : محمد السفاريني (المسيح الدجال وأسرار الساعة)، ص ١٢٥-١٣٣

ويأجوج ومأجوج^(١) وثلاثة خسوف خسف بالشرق، وخسف بالمغرب،
وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى
محشرهم >>^(٢).

وتدل الأحاديث الصحيحة بأنه عليه السلام سيحكم بشريعة الإسلام عند
نزوله، فيكون حكماً مقسطاً عدلاً - ولا عجب فهو نبي ورسول من رسل الله
تعالى - فيكسر الصليب دليل على إنكاره له، ويقتل الخنزير دليل على كراهته
وإهانته ويضع الجزية، ويكثر المال حتى يفيض فلا يقبله أحد.

٢ - >> عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنتم إذا نزل

(١) يقال انهم أناس من بني آدم مؤذون باستطاعتهم أن يشربوا كل ماء البحار
والأنهار، وأن يأكلوا كل ما يصادفوه من وحوش وحيوانات وطيور!! وقد
أعان الله ذي القرنين على أن يجبسهم بينائيه السد عليهم، قال تعالى: { قالوا
ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً
على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل
بينكم وبينهم ردماً، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا
حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً، فما استطاعوا أن يظهره وما
استطاعوا له نقبا، قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان
وعد ربي حقاً } سورة الكهف: آية ٩٤-٩٨

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٨،
ص ٢٧، ط دار الفكر.

أيضاً: سنن أبي داود، كتاب الملاحم، ج ٤، ص ٤٩١، رقم الحديث ٤٣١١

أيضاً: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، ج ٢، رقم الحديث ٤٠٥٥

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٦

فيكم ابن مريم فأمكم منكم فقلت لابن أبي ذئب إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة وإمامكم منكم، قال ابن أبي ذئب تدري ما أمكم منكم قلت تخبرني قال فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم <<.

أخرجه البخاري في صحيحه (١)

ومسلم في صحيحه (٢)

٣ - >> عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فيتزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول: أميرهم تعالى صلّ لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض امرأ تكرمه الله هذه الأمة << (٣).

٤ - >> عن أبي هريرة قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب (٤)، ويقتل

(١) انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٩١، رقم الحديث ٣٤٤٩

(٢) بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٣، واللفظ له.

أيضاً انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٣٣٦

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٣، ١٩٤ ط دار الفكر.

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٣٨٤

(٤) معناه: يبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه.

انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ١٩٠

الختير (١)، ويضع الجزية (٢) ويفيض المال حتى لا يقبله أحد (٣) <<
أخرجه البخاري في صحيحه (٤)
أخرجه مسلم في صحيحه (٥).

٥ - << عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا
تقوم الساعة حتى يتزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل
الختير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد >> (٦)

(١) أي يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين
يدعون أنهم على طريقة عيسى ثم يستحلون أكل الختير ويبالغوه في محبته.

انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤١٤

(٢) أي أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتل.

(٣) أي تكثير البركات والخيرات بسبب العدل وعدم التظالم.

انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ١٩٠

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤١٤، رقم الحديث ٢٢٢٢، ط
دار المعرفة.

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٠، ط دار الفكر

أيضاً: سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٠٦، رقم الحديث ٢٢٣٣

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٢٧٢

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري، ج ٥، ص ١٢١، رقم الحديث
٢٤٧٦، ط دار المعرفة.

أيضاً: سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٦٣ رقم الحديث ٤٠٧٨

٦ - >> عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص^(١) فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء^(٢) والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد >>^(٣)

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه^(٤)

٧ - >> عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأنبياء اخوة لعلات دينهم واحد وأمهااتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض سبط كأنه رأسه يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين^(٥) فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الامنة في الأرض حتى ترتع الابل مع الأسد جميعاً والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكث ماشاء

(١) كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال.

(٢) أي العداوة والبغضاء.

(٣) لكثرة الأموال، وقصر الآمال وعدم الحاجة وقلة الرغبة للعلم بقرب الساعة.

أنظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٢، ١٩٣، ط دار الفكر

(٤) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٥) الممصر من الثياب الملون بالصفرة

الله أن يمكث ثم يتوفي فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه >> (١)

٨ - >> عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء (٢) حاجاً أو معتمراً أو ليشينهما (٣) >>.

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤)

٩ - >> عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لأرجو أن طالت بي الحياة أن أدرك عيسى ابن مريم عليه السلام فان عجل بي موت فمن أدركه فليقرئه مني السلام >> (٥)

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٤٣٧، ط المكتب الإسلامي

أيضاً: سنن أبي داود، ج ٤، ص ٤٩٨، ٤٩٩، رقم الحديث ٤٣٢٤، كتاب الملاحم، ط دار الحديث

(٢) بين مكة والمدينة قال كان طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع.

(٣) أي يقرن بينهما وهذا يكون بعد نزوله عليه السلام من السماء في آخر الزمان.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٨، ص ٢٣٤، ط دار الفكر

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٩٨، ط المكتب الإسلامي